مارك ليفي

ماذا لو كانت واقعية ...

رواية

WWW.REWITY.COM
^RAYAHEEN^

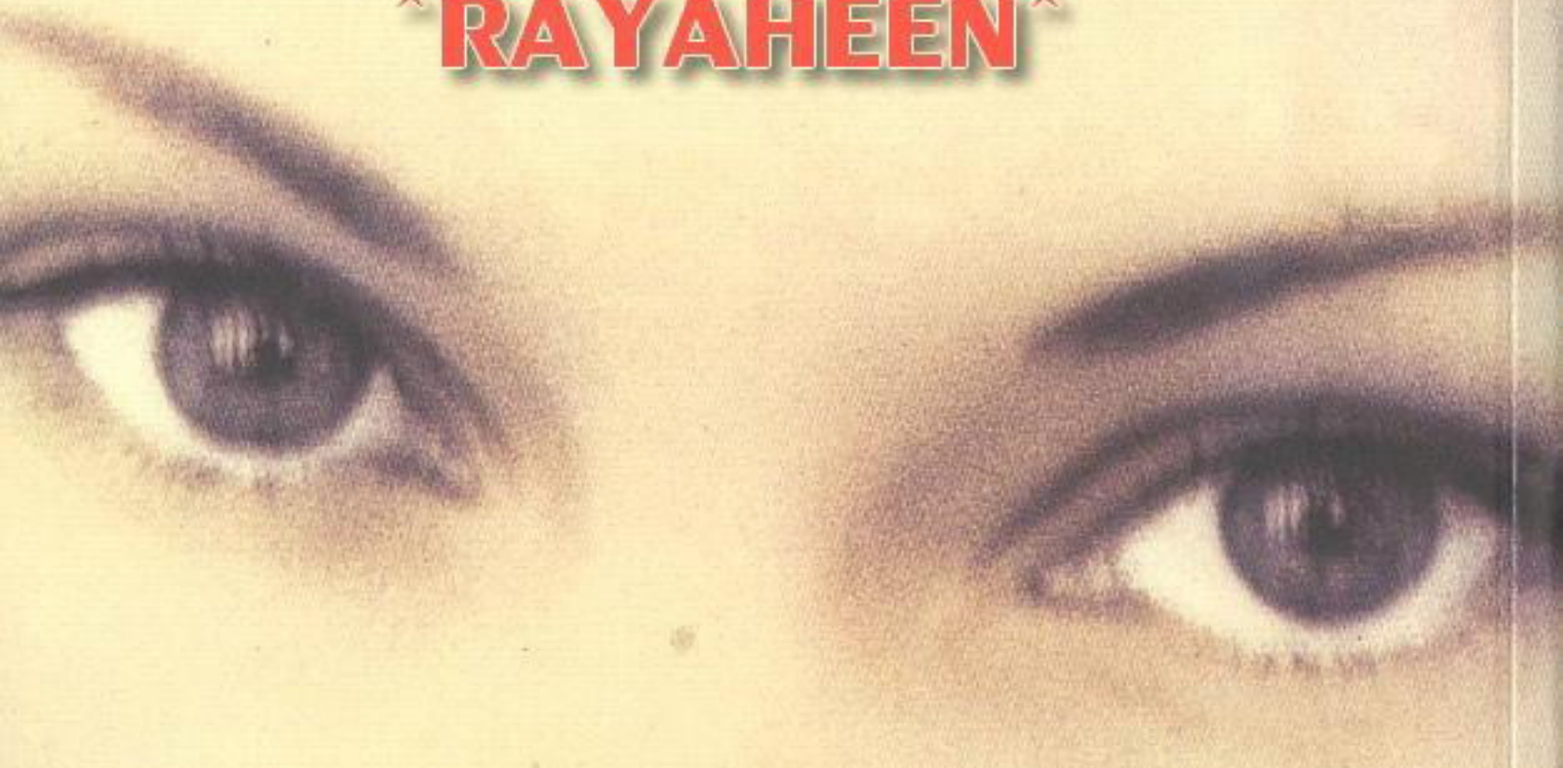

دار الخيال

WWW.REWITY.COM

ماذا تفعل لو عدت إلى بيتك مساءً لتجد فيه إمرأة غريبة تسألها من أنت؟ فتقول: «أنا شبح امرأة تعاني من الغيبوبة التامة»، جسدها ممدد في إحدى مستشفيات سان فرنسيسكو، أتنصحها بمراجعة طبيب نفسي أم تذهب أنت إليه أم تصدق ما تسمع؟ أم تنغمس في مخاطرة لا أحد يعلم مداها؟

هذا ما حدث مع آرثر. والأغرب أنه الوحيد في العالم كله الذي كان قادراً على رؤيتها وسماعها ولمس جسدها، ولا أحد غيره يشعر بوجودها.

وحين يئس الأطباء من شفائها قرروا اللجوء إلى وسيلة الموت الرحيم. فماذا بإمكان آرثر أن يفعل لمنعهم من فعل ذلك؟

ماذا لو كانت واقعية؟ رواية لفتت انتباه جميع النقاد والقراء. فقرأوها وأنفاسهم محبوسة. عاشوا ساعات بين الحقيقة والخيال، وتساءلوا: «ماذا يريد مارك ليفي من روايته هذه؟».

A. Antoine CONTEMPORAIN TRADUIT
ماذا لو كانت واقعية ...
3 000000248577
7.00$ TTC

دار الخيال للطباعة والنشر والتوزيع
بناية يعقوبيان - بلوك ب طابق 3 - شارع الكويت - المنارة - بيروت 2036 6308
لبنان - تلفاكس: 009611-740110 E-Mail: alkhayal@inco.com.lb

WWW.REWITY.COM
RAYAHEEN
WWW.REWITY.COM

1

حزيران

دقت الساعة الموضوعة على المنضدة الخشبية معلنةً الخامسة والنصف فجراً. تململت لورين تحت الغطاء على سريرها المعدني الوثير وعادت إلى النوم، لكن رنين الساعة لم يتوقف.

ثانية تململت لورين... والنعاس يغالب عينيها...ما تزال بحاجة إلى النوم بعد ليلة متعبة.

قبيل انتهاء دوامها في مستشفى سان فرنسيسكو التذكاري بعشر دقائق، أي عند الساعة العاشرة وخمسين دقيقة، أخذت سيارات الإسعاف تأتي ناقلة جرحى وضحايا حريق شب في إحدى البنايات. لم تنتظر لورين وصول الفريق الطبي المناوب، بل أخذت تقوم بواجبها كطبيبة أقسمت يمين أبقراط، وحتى بعد استلام الفريق المناوب، ثابرت على العمل إلى جانب البروفسور فرنشتاين الذي طلب إليها مساعدته في إجراء عمليتين جراحيتين لم ينته منهما إلا بُعيد الساعة الواحدة والنصف ليلاً.

نظر البروفسور إلى تلميذته سابقاً وزميلته حالياً، الدكتورة

WWW.REWITY.COM

لورين، نظرة امتنان وشكر وتقدير «عودي الآن إلى البيت يا صغيرتي.. وانتبهي أثناء القيادة، فلا تسرعي... على فكرة، هل أصلحت الأعطال في سيارتك؟».

- كما ترى بروفسور، لم أجد فسحة من الوقت لذلك.

- إفهميني صغيرتي، مرضاك بحاجة إليك، فلا تعرضي نفسك للخطر والإرهاق لئلا ينعكس ذلك سلباً عليهم.

خرجت لورين وأخذت تقود سيارتها، وسط الشوارع المقفرة إلا من بضعة مارة متسكعين وعمال التنظيفات، أدارت المذياع لسماع موسيقى صاخبة، لعل ذلك يساعدها بالتغلب على شعورها بالنعاس، وتذكرت أن عليها إعادة تزويد سيارتها الترايموف القديمة الصنع بأحزمة الأمان.

رغم النعاس، كانت تقود ببطء شديد، وتجيل النظر هنا وهناك، وكأنها ترى تلك الشوارع لأول مرة. كانت تدرك أن عليها النهوض باكراً للقيام برحلة طويلة لزيارة صديقة لها، مستفيدة من إجازة يومين متصلة بعطلة نهاية الاسبوع.

بواسطة آلة التحكم عن بعد، فتحت باب المرآب، وبالطريقة ذاتها أغلقته، بعد أن ركنت سيارتها، واتجهت نحو شقتها في الطابق الرابع عبر الأدراج وليس، المصعد الكهربائي.

فور دخولها الشقة اتجهت وأعدت كوباً من شراب الأعشاب المتعدد المذاقات والنكهات ودخلت غرفة النوم. وضعت الكوب على المنضدة جانب السرير، خلعت ثيابها ورمتها أرضاً وألقت رأسها على المخدة وغرقت في النوم، دون أن يلامس الكوب شفتيها.

لم يتوقف رنين الساعة بعد، من جديد عادت وتململت. مدت يدها وأوقفت رنين الساعة ونزلت عن السرير. داعبت عنق كلبتها كالي، واتجهت نحو النافذة مشرعة ذراعيها، فتحت المصراعين، وأخذت تحدق بما ترى متعجبة من صفاء فجر هذا اليوم، لا ضباب ولا غيوم، إنه فجر نادر في سان فرنسيسكو.

نظرت إلى تلال سوسا ليتر والهضاب المحيطة بها. أنوار الطرقات ما تزال تتلألأ، وكذلك أنوار واجهات المحلات والمخازن المتعددة الألوان المتنوعة الإضاءة، وكأنها تخدع الناظرين إليها. مياه الخليج هادئة، مراكب الصيادين تتمايل على وجه الماء، والمنظر الأبهى، هو منظر جسر البوابة الذهبية الذي يربط طرفي خليج سان فرنسيسكو. الشوارع ما تزال مقفرة.

عادت إلى غرفة النوم ارتدت قميصاً قطنياً وبنطالاً من الجينز، وتوجهت نحو المطبخ لإعداد طعام الفطور لها ولكالي.

كانت لورين سعيدة جداً بشقتها هذه الكائنة في الطابق الرابع من بناء مبني على الطراز الفيكتوري في الشارع الأخضر، تتألف شقتها من مطبخ يتسع لطاولة الطعام، وغرفة جلوس، انتقت لها أجمل الأثاث والمفروشات، وغرفة نوم واسعة، مع ممر عريض يصلها بحمام مريح الى جانبه غرفة صغيرة ملحقة به، يعلو المغطس شباك يطل على الخليج مباشرة. أشرفت بنفسها على كل شيء، حتى على اختيار نوع بلاط الحمام. زينت جدران غرفة الجلوس البيضاء بالعديد من اللوحات القديمة التي اشترتها من معارض شارع الاتحاد للتحف والأعمال الفنية. أما الأثاث فهو عبارة عن مقعد فخم وثير،

WWW.REWITY.COM
RAYAHEEN

السقف زين برسومات يدوية وقطع من خشب السنديان المذهب.

بالإضافة إلى سعادتها فهي فخورة جداً بشقتها هذه التي اشترتها بما ورثته عن والدها الذي رحل وهي ما تزال صغيرة جداً؛ إنها تدرك أن والدها كان سيحب هذه الشقة وهذا الموقع خاصة. كان سيسعد بالنظر إلى المراكب الشراعية الراسية في الخليج. في الوقت ذاته تدرك مدى سعادة والدتها أيضاً. منذ سنتين ولورين تقتنص أوقات الفراغ للتفكير بكيفية زخرفتها بعد، لتكون كما تحلم فعلاً.

توجهت نحو المطبخ وقدمت الطعام لكالي، ومن ثم أخذت تحضر فطورها، بعضاً من الزبدة، مربى الفريز، فطيرة إنكليزية، كوب لبن ونصف ثمرة غريبفروت وفنجان قهوة. كالي تراقبها، إلا أن لورين لم تكترث لها البتة، بل طلبت إليها الاستمرار في تناول طعامها بينما خرجت هي مع فطورها إلى غرفة الجلوس، التي لو أطلت برأسها من نافذتها لكانت سترى جسر البوابة الذهبية، والخيول تتسلق تلال سوساليتر، وميناء صيادي السمك في تبيرن. تحت ناظريها مباشرة، تمتد منازل كثيرة تكاد تتصل برمل الشاطىء. ما تزال المدينة في سباتها. لا صوت يسمع إلا صوت الريح وبعض مواء القطط، فتحت ذراعيها لتتنشق هواء الفجر النقي، ومن ثم عادت لتتناول الفطور بشهية ونهم. لم يتسنَّ لها أمس تناول حتى القليل من الطعام، إذ ما كانت تهم بتناول شيء، حتى تنادى إلى قسم الطوارئ. كثيرون هم الذين يسألونها لماذا تعمل في هذا القسم، متوقعين منها أن تحدثهم عن الموت والحياة. لكن أجوبتها كانت تأتي مخيبة لآمالهم «ليس لدي وقت للتفكير بأهمية الحياة أو وقع

خبر وفاة: حتى ليس لدي وقت لتناول الطعام؛ كلُّ ما أعرفه أني أعمل بقسم الطوارىء».

بعد التناول السريع لوجبة الصباح، ووضع الأطباق في المجلى، دخلت الحمام، أغلقت الستارة الخشبية، رمت قميصها القطني أرضاً وتمددت في المغطس. وحين اندفعت المياه الساخنة وغمرتها أحست بانتعاش جسدي. لفت جسدها بمنشفة ووقفت أمام المرآة. بدت شاحبة اللون، ورغم هذا الشحوب الواضح، ترفض استعمال أدوات التجميل. بدأت بانتقاء ما ستأخذه معها من ملابس وثياب، مركزة على الألبسة المخاطة من قماش الجينز. تناولت حقيبة من قماش الكانفا ووضعت فيها بعض مستلزمات الاستحمام، والقمصان الناعمة إضافة إلى سروالي جينز ولفت رأسها بوشاح أحمر اللون استعداداً لبدء الرحلة.

عادت وألقت نظرة على شقتها، التي بدت وكأن عاصفة هوائية هبت عليها، ثياب مشلوحة هنا وهناك، مناشف في كل مكان، على الأرض، على المقاعد، والأطباق مكومة في المجلى، سرير غير مرتب، فوضى عارمة. ولا وقت لإعادة الترتيب. إنها تحب القيادة قبيل شروق الشمس، وكأنها على موعد مع إطلالتها. تناولت ورقة وقلماً وكتبت:

أمي الحبيبة

لا تهتمي بأمر نظافة الشقة وترتيبها، سأفعل ذلك بعد عودتي مساء الأحد. شكراً لاهتمامك بكالي.

WWW.REWITY.COM

أحبك جداً: طبيبتك المفضلة: لورين.

علقت الرسالة على باب البراد.

ارتدت معطفاً خفيفاً. انحنت وطبعت قبلة على جبين كالي «اعتذر منك يا كالي.

منذ زمن طويل لم أقم برحلة استجمام... أنا فعلاً بحاجة إلى الراحة...بحاجة إلى نسيان أني طبيبة تتعايش مع آلام المرضى وأوجاعهم، بحاجة إلى أن آخذ في الاعتبار أني ما أزال صبية في مقتبل العمر، بحاجة إلى اللهو والمرح...كوني هادئة يا كالي».

وكما صعدت ليل أمس على السلالم الخارجية، كذلك فعلت هذا الصباح وهي تنزل متجهة نحو المرآب متمتمة « أتمنى ألا تخذلني سيارتي... أنا اليوم في إجازة... لن تصدق أمي هذا».

2

دون وداع أي من الجيران، وبهدوء قادت سيارتها الترايموف نحو الشارع الرئيسي. وبعد تجاوز أول تقاطع أدارت الراديو وحددت الموجة 101,3 أف أم.

مع عبور الترايموف الشوارع الخالية، كان ضوء الفجر الشاحب يزداد وضوحاً شيئاً فشيئاً ، وتتبين معالم المدينة أكثر فأكثر. كانت لورين تحب القيادة على طرق تلال سان فرنسيسكو الشديدة الإنحدار. بعد استدارتها شمالاً نحو شارع ستوك تون، سمعت صوتاً مزعجاً في ناقل السرعة، لم توليه اهتماماً. تابعت سيرها نحو ساحة الاتحاد وهي تشعر بسعادة لم تعرفها من قبل، فراحت تغني «وداعاً أيها التعب وداعاً أيها المستشفى». إنها السادسة والنصف فجراً.

ساحة الاتحاد هادئة خاوية. ساعات قلائل وتعود الحياة إليها، ويتقاطر السواح كما أبناء المدينة للتسوق من محلاتها ومتاجرها، وتعود السيارات التي تسير على خط حديدي، لإحداث الضجيج، وتضاء واجهات المحلات، وتتوقف السيارات في صف طويل أمام مداخل المواقف.

في حديقتها سيلتقى العديد من الموسيقيين الناشئين لشراء أو بيع الألحان أو النوتة لقاء مبالغ بخسة.

WWW.REWITY.COM

كانت العتمة تلف واجهات المحلات وستائر النوافذ ما زالت منسدلة في هذه الساعات الاولى من الفجر... وعلى قارعة الطريق بضعة مشردين ما يزالون يغطون في نومهم، وحراس المواقف تحت الأرض في غرفهم الصغيرة عند المداخل، يستمتعون بآخر لحظات الغفوة.

تابعت لورين سيرها بين الأنوار الخضراء، وهي تشعر بانتعاش وسعادة. وصلت أمام واجهات ماسيس، سمعت صوتاً يشبه الصرخة يصدر عن الدواليب، تلاه صوت غريب، سرعان ما تحول طقطقة مواد معدنية.

فجأة، أدركت أنها غير قادرة على توجيه سيارتها التي راحت تسير على هواها وكأنها تؤدي رقصة بهلوانية. عبثاً حاولت السيطرة على المقود. ذهبت كل محاولاتها سدىً، والأسوأ أن السرعة كانت تزداد تلقائياً، حتى اصطدمت بحائط قريب، وراحت تدور على ذاتها.

قذفت الصدمة لورين خارج السيارة، فارتاحت على الرصيف مقابل واجهات ماسيس، في حين تابعت الترايموف دورانها حتى انقلبت واستقرت على سقفها. لورين مشلوحة على الرصيف بين الحياة والموت، ابتسامة رقيقة ما تزال مرتسمة على شفتيها الشاحبتين المفتوحتين قليلاً. عيناها مغمضتان. تبدو وكأنها نائمة، شعرها الطويل يلف وجهها ويمناها على صدرها.

حارس الموقف الذي كان يراقب ما حدث باندهاش، قال: «تماماً كما في أفلام السينما، إنما كان حقيقة». قال هذا وأخذ سماعة الهاتف واتصل بالرقم 911. دقائق قليلة، وحضر فريق طبي من

مستشفى سان فرنسيسكو التذكاري. يا للصدفة، جاء زملاؤها لنجدتها لا أحد غيرهم. بالإضافة إلى رجل شرطة. الدكتور فيليب ستيرن لم يشأ إضاعة الوقت وحتى الثواني. بل طلب فور وصوله من الطبيب المرافق قص القميص تسهيلاً لعملية التنفس. إن النبض شبه معدوم وكذلك ضغط الدم. التنفس 48 على مئة حقنها بالأدوية المنعشة. فرانك زميل ستيرن وضع على صدرها أسلاكاً كهربائية ملونة متصلة بآلة تخطيط القلب الكهربائية. إلا أن شيئاً لم يرتسم على الشاشة.

تسأل ستيرن: ماذا ترى؟

أجاب فرانك: لا شيء يبدو أنها ميتة ضغط الدم 6/8 النبض 840 الشفاه زرقاء اللون.

«أعطني المزيد من الحقن المنعشة، واحقنها بالمصل المالح». قال ستيرن. نفذ فرانك الأمر بأسرع ما يمكن، حتى أن رجل الشرطة رفع كيس المصل بيده ، في الوقت الذي كان فيه ستيرن يحقنها عبر الوريد بالأدوية المنعشة، ويطلب من الشرطي رفع كيس المصل أكثر.

أخذت الحرارة تنخفض بسرعة، فيما دلائل الحياة بقيت غائبة عن شاشة آلة تخطيط القلب، فقط بضع نقاط خضراء بقيت تظهر بالكاد يليها صوت ينذر بتوقف القلب في أية لحظة.

تساءل ستيرن عن دلائل الحياة، وكان جواب فرانك واضحاً. التنفس مستقر. أما ضغط الدم فقد انخفض إلى خمسة ولم يكمل جملته، حتى تحول الصوت المتقطع الصادر عن آلة تخطيط القلب إلى صفير غير متقطع. إنها...

WWW.REWITY.COM
RAYAHEEN
WWW.REWITY.COM

صاح ستيرن، أعطني آلة إنعاش التنفس، وأخذ يضغط على صدرها بكل قوته، كان الجسد يعلو ويهبط، دون استجابة تذكر. ولم تكن الشحنة الأعلى أوفر حظاً في إحداث أي تغيير... كان الجسد يعلو ويعود إلى حاله دون أية دلائل على الحياة. واستمر ستيرن يعاونه فرانك بفعل كل ما هو مستطاع حتى أن ستيرن كان يخاطبها، «تنفسي، عودي إلى الحياة، نحن بحاجة إليك لورين».

بعد عدة محاولات من الإنعاش الإصطناعي، وإعطائها المزيد من الأدوية المنعشة؛ بدا القلب وكأنه شرع يستجيب ولكن لثوان ليس أكثر ومن ثم يعود إلى ركوده. انهمرت دموع ستيرن وهو يخاطبها «لا تتركينا إنه يوم جميل. عودي.. عودي إلينا». مجدداً طلب من مساعده، محاولة إعادة جعل القلب يعمل، إنما عبثاً فآلة التخطيط تشير إلى أن القلب لا ينبض.

نظر فرانك إلى فيليب ستيرن مندهشاً من إصراره على إحيائها وطلب منه اعتبارها ميتة، لكنه لم يكترث لمثل هذه السخافات وتابع محاولاته.

صاح: «أعطني المزيد من المنشطات ولتكن بعيار أعلى»، إلا أن فرانك نظر إليه وقال: «ما بك فيليب... إنها ميتة، إني لعلى يقين أنك لا تدري ماذا تفعل. إنها ميتة». وزعق فيليب «لا تقل هذا. إفعل ما أقول ليس أكثر».

كان الشرطي ينظر إلى فيليب الجالس القرفصاء إلى جانب لورين متسائلاً «ماذا يفعل هذا؟». فيليب كان يحدق بوجه لورين. أعاد فرانك آلة الإنعاش إلى صدر لورين وحقنها بالمزيد من المنشطات.

ارتعش الجسد بقوة، لكن آلة تخطيط القلب ما تزال شاشة خضراء ليس عليها إلا خط مستقيم. لم يأبه فيليب لشيء، وضع راحتيه على صدرها وراح يشد عليه بقوة.

أمسكه فرانك من كتفيه ورفعه وهو يقول: «تعال أيها الزميل». كان الشرطي يراقب الإثنين باندهاش لا يوصف. فيليب وضع يديه على ركبتيه وبهدوء أخذ يقف وهو يقول بصوت خافت « انتهى كل شيء... انتهى كل شيء».

استدار فيليب نحو الشرطي الذي ما يزال يحمل كيس المصل وقال « انتهى كل شيء، لم يعد بمقدورنا فعل أي شيء». وأمسك بيد فرانك واتجها نحو سيارة الإسعاف. لكن ستيرن عاد ليشكر الشرطي ويقول: «أبمقدورك الإهتمام بالجثة؟ لقد فعلنا ما علينا، وبصدق أقول صعب جداً أن يفقد الإنسان زميلاً له. إنه كابوس».

تمتم الشرطي « فعلاً سنفعل، ومن حسن الحظ أن لدينا سيارة ڤان، كن مطمئناً». شكره ستيرن بإيماءة من يده وعاد إلى فيليب الذي كان بانتظاره.

بعيد اختفاء سيارة الإسعاف عند المنعطف، رفع الشرطيان جسد لورين ووضعاه على حرام صوفي في الڤان وغطياه بقطعة قماش. في سيارة الإسعاف ما من أحد يتكلم، إلا أن فرانك قطع الصمت وقال: «ماذا دهاك فيليب؟». ودمدم فيليب «لم تتجاوز الثلاثين بعد... ما تزال في مقتبل العمر.. لا يحق لها أن تموت».

رد فرانك «نعم.. إنها كذلك... إنه قدرها، ليس بمقدورك فعل شيء أمام القدر. فما عليك إلا النسيان والتطلع نحو الغد الآتي».

WWW.REWITY.COM

في هذه الأثناء وبينما كان ڤان الشرطة عند إحدى التقاطعات، فوجيء بسيارة مسرعة تمر أمامه، فاضطر السائق لدوس المكابح بسرعة وقوة وأطلق العنان لزموره ومع شدة التوقف، انقذف جسد لورين إلى حافة الڤان، فتوقف الشرطيان لإعادته إلى ما كان عليه. أمسك الأول الرجلين والثاني اليدين، لكن هذا الأخير صدم وذهل حين نظر إلى صدر لورين ورأه يهبط ويعلو فصاح «اللعنة.. إنها تتنفس».

- ماذا؟ صاح الآخر.

- إنها تتنفس، أنظر جيداً... إنها تتنفس، أما ترى صدرها يعلو ويهبط.. أسرع إلى المستشفى.

وانطلق الشرطيان بسرعة جنونية مطلقين العنان للزمور وراء سيارة الإسعاف، باتجاه المستشفى، وما إن تجاوزاها ، حتى تساءل الدكتور فيليب «لماذا تتجه سيارة الشرطة نحو المستشفى؟».

«من يدري؟». قال فرانك «ربما هذه ليست السيارة التي تقل جسد لورين... فكل سيارات الشرطة متشابهة».

«معك حق». قال فيليب وأضاف «يا له من صباح؟ غاب الضباب عن شوارع سان فرنسيسكو وغابت لورين معه.. أسرع بنا إلى المستشفى».

بعد عشر دقائق ليس أكثر ودون انتظار لإطفاء محرك سيارة الإسعاف، قفز فيليب مسرعاً نحو قسم الطوارئ لم يلقِ التحية على أحد، بل صاح «هل جيء بأحد إلى هنا؟». ودون انتظار أي رد قال: «أين هي؟... تلك المرأة التي أصيبت بحادث سيارة؟». وردت

موظفة الاستعلامات «في الغرفة الثالثة.. يتولى الدكتور فرنشتاين الاهتمام بها. يبدو أنها واحدة من الجسم الطبي العامل معه».

ربت أحد الشرطيين على كتفه، وكان يقف وراءه، وصرخ في وجهه: «أي هراء تفوهت به أيها الطبيب؟».

«ماذا تقول؟». قال فيليب.

أجاب الشرطي، «أولست أنت من أعلن وفاة هذه الطبيبة، في حين ما تزال تتنفس.. تخيل لو أني لم ألاحظ ذلك. ما الذي كان حدث؟ كنا سنرمي جسدها في براد الموتى، وهي ما تزال على قيد الحياة... أتدرك معنى هذا؟».

في هذه اللحظة حضر فرنشتاين وبادر بسؤال فيليب دونما اهتمام لأحد «كم جرعة منشطات أعطيتها يا فيليب؟».

أربع دفعات وكل دفعة خمسة ميلليغرامات.

صاح فرنشتاين غاضباً ولائماً فيليب على ما فعل، لأنه لم يكن هناك أي مسوغ أو مبرر لكل هذه الجرعات، واستدار نحو الشرطي قائلاً: «فعلاً كانت ميتة حين أعلن الدكتور فيليب ذلك. لكن الذي حدث هو أن الفريق الطبي، بالغ في محاولاته لإنعاش القلب. أما كيف عاد القلب إلى الحياة فهذا عائد إلى أن جرعات الإنعاش كانت متراكمة خارج القلب، وما أن دست أنت على مكابح السيارة بقوة، حتى تدفقت الجرعات فعاد القلب ينبض، وتأكد أنه سيعود إلى التوقف لحظة انتهاء مفعول الأدوية، هذا إن لم يكن قد توقف فعلاً». وطلب البروفسور فرنشتاين من ضابط الشرطة أن يعتذر إلى الدكتور فيليب ستيرن. وقبل انصرافه طلب من فيليب اللحاق به.

WWW.REWITY.COM
RAYAHEEN
WWW.REWITY.COM

تقدم ضابط الشرطة من فيليب معتذراً و أردف قائلاً: «اليوم أدركت أننا لسنا وحدنا في الشرطة نسعى للحفاظ على كرامة زملائنا». قال هذا وأدار ظهره وخرج من المستشفى باتجاه سيارة الشرطة التي كانت أبوابها الخلفية ما تزال مفتوحة، وتعبيراً عن غضبه أغلق الباب بقوة حتى سمع صوت إغلاقه داخل قسم الطوارئ.

كان فيليب واقفاً قرب طاولة عاملة الإستعلامات وهو يتمتم «يا للجحيم كيف حصل ما حصل؟». إلا أن عاملة الإستعلامات ذكرته بوجوب اللحاق بالبروفسور فرنشتاين.

دق فيليب باب البروفسور الذي لم يكن مغلقاً «تفضل ادخل». قال فرنشتاين الذي كان واقفاً خلف مكتبه، مديراً ظهره لستيرن محدقاً بالمناظر التي يراها من النافذة، متوقعاً أن يبادر ستيرن بالحديث معللاً فعلته وشارحاً بالتفصيل ما حدث، لكن الدكتور ستيرن أبدى إعجابه باندهاش بما قاله البروفسور فرنشتاين لضابط الشرطة.

استدار فرنشتاين وأصبح وجهاً لوجه أمام ستيرن. الغضب باد على وجهه وفي ارتجاف يديه «إسمعني فيليب. كان الضابط محبطاً وفي حالة ضياع فكري، وكل ما فعلته هو لإعادة الطمأنينة إلى نفسه، وعدم جعله يكتب تقريراً قد يدمر حياتك المهنية. إن طريقة الإنعاش التي لجأت إليها، ليست مقبولة من طبيب له خبرتك... كيف تفسر عودة القلب إلى النبض وكيف عادت تتنفس من جديد؟».

- ليس بمقدوري تفسير هذا.. فعلاً كانت ميتة.. حتى أن فرانك

لامني كثيراً لتكرار محاولات الإنعاش، قد لا تكون تحب سماع هذا. ولكن الحقيقة أنها كانت ميتة... من غير المعقول أن أدان، لم يكن هناك على شاشة آلة تخطيط القلب أي دليل، ولو شبه معدوم، على أن القلب ما يزال ينبض. ولهذا رأينا أنه لا جدوى من محاولات إعادتها للحياة.

«ولكن لم يكن معقولاً ما جرى.. كان عليك الاستمرار في المحاولة». هز فرنشتاين رأسه وأمر ستيرن أن يغرب عن وجهه، لكن ستيرن لم يكترث لما قاله فرنشتاين، بل تابع حديثه عن محاولاته لإنعاش قلب لورين «لم أعرف لحظة في حياتي - المهنية أو الخاصة - أصعب من تلك التي أعلنت فيها وفاة لورين. إنها تعني لي الكثير. فعلاً تعني لي الكثير، ولكن.. ما ذنبي إن كان قلبها - رغم كل المحاولات - توقف عن القيام بوظيفته، توقف عن الخفقان، لدقائق عدة، وكذلك الرئة. كان عندي إحساس، وما يزال، أن لورين لا ترغب بالموت، بل تنشد الحياة، وتطلبها بالحاح، ولهذا كانت، وما تزال تقاوم وتكافح من أجل البقاء حية، تخيل يا دكتور فرنشتاين، رغم كل ما جرى، لم تغمض عينيها، وكأنها، حتى في تلك اللحظات الحرجة، كانت تريد التمتع برؤية شمس سان فرنسيسكو وهي تشرق من خلف التلال والهضاب. إنها ترفض الرحيل عن هذا العالم الذي أحبته. ولهذا عاد قلبها وخفق وكأنه يقول:

«ما أزال قادراً على الاستمرار والتحدي». وكذلك عادت الرئة للقيام بوظيفتها، خلافاً لكل المفاهيم الطبية. لذلك، أرجوك يا دكتور فرنشتاين، أرجوك بإلحاح، كانسان وكطبيب، ألا تتخلى عنها. هناك

WWW.REWITY.COM

كثيرون أمضوا فترات طويلة في غيبوبة تامة، وعادوا إلى الحياة، وحتى اليوم لم نجد تفسيراً طبياً لهذه الصورة. هكذا هي حال لورين. إن عودتها للحياة، هي نوع من المعجزة الإلهية. أعرف كلفة هذا العمل، ولكن - في مثل هذه الحال - من يفكر بالكلفة المادية؟ نحن أمام إنسانة ترغب بالبقاء وترفض الموت، وما عودة قلبها إلى الخفقان، إلا أبلغ دليل على هذا، إنها تناشدنا أن نمد لها يد المساعدة».

كان ستيرن يتكلم وبضعة دموع تبلل وجنتيه. خيم صمت رهيب، قطعه فرنشتاين بقوله: «حسناً لقد انتهى اللقاء، لم يعد هناك مجال للكلام».

بعيد خروج ستيرن، دون إغلاق الباب خلفه، رفع الدكتور فرنشتاين سماعة الهاتف، ثم أعادها إلى مكانها، دون أن يطلب أحداً. نهض من خلف مكتبه واتجه نحو النافذة، حيث سمح لعينيه أن تسرّح النظر. كان يبدو مشتت الذهن، حائراً في إيجاد تفسير لما جرى، فهو يثق بخبرة الدكتور ستيرن، ولهذا، لم يوجه له اللوم القاذع، ولكن كيف جرى ما جرى؟ حك جبينه واتجه نحو طاولة المكتب، أخذ السماعة مجدداً، طلب قسم الجراحة وبصوت واثق: «أنا فرنشتاين استعدوا لإجراء عملية جراحية عاجلة، دقائق ويكون ملف المريض في غرفة العمليات». بهدوء أعاد السماعة إلى مكانها، وخرج من مكتبه وابتسامة صفراء تعلو شفتيه.

دخل فرنشتاين غرفة العمليات، مرتدياً الثوب الأخضر وبمساعدة إحدى الممرضات أدخل يديه في القفازات المعقمة. لورين ممددة على طاولة الجراحة، محاطة بفريق طبي. فوق رأسها

جهاز مراقبة خفقان القلب وقيام الرئة بوظيفتها. نظر فرنشتاين إلى طبيب البنج متسائلاً عن مؤشرات الحياة.

- مستقرة، صدق أو لا تصدق، إن حالتها مستقرة، الضغط، والنبض، وحركة الدورة الدموية. أنظر، تبدو وكأنها تغط في سبات عميق. يمكنك المباشرة بإجراء العملية. قال طبيب البنج.

نظر فرنشتاين إلى الفريق الطبي المعاون «إنكم اليوم مع طبيب جراح ذي خبرة تفوق العشرين سنة، أنا هنا للقيام بعملية جراحية فيها الكثير من المخاطرة. زميلتنا الممددة أمامكم، عدا عن الكسور في الأطراف، فإنها تعاني من كسور في الجمجمة، وهي ميتة دماغياً منذ ساعتين تقريباً. وأتمنى عليكم عدم توجيه أي سؤال، لأننا بحاجة إلى كل دقيقة، لا بل إلى كل ثانية».

كان الفريق الطبي، يقدر موقف البروفسور فرنشتاين. لورين كانت واحدة من تلميذاته الناجحات، التي عملت بعد تخرجها ضمن فريقه الطبي. إذن هناك علاقة إنسانية ومهنية بينهما. همس طبيب بأذن زميل له «هل سيتمكن من السيطرة على عواطفه ومشاعره؟ إنه موقف صعب جداً، موقف لا يحسد عليه، ولا أتمنى أن أكون فيه يوماً ما». ورد الطبيب الآخر «ولا أنا.. لنعمل معاً من أجل إنقاذ لورين».

نظر فرنشتاين إلى شاشة آلة التنظير، فرأى جلطة دموية على الدماغ، ولتخفيف الضغط، أحدث ثقباً في مؤخرة الجمجمة وأدخل أنبوباً بلاستيكياً لإخراج الدم المتجمع حول الدماغ، وكذلك المياه. عيناه، وعينا طبيب الأعصاب، منصبتان على الشاشة، إنهما يراقبان بدقة متناهية ماذا يجري حول الدماغ. بدا

WWW.REWITY.COM
RAYAHEEN
WWW.REWITY.COM

الدماغ سليماً، ومع بداية تسرب المياه من الرأس قام طبيب البنج بتعديل على آلة تزويد الدماغ بالأوكسجين، بحيث يسمح بزيادة الكمية. مع تدفق الأوكسجين إلى الدماغ، عادت خلاياه للعمل طبيعياً، حتى أن الفريق الطبي، بما فيهم فرنشتاين. أصيبوا بالذهول وباندهاش لا مثيل له. لقد نسوا أنهم كانوا يجرون عملية جراحية لإنسان معتبر ميتاً طبياً. أدرك الجميع أن هناك شيئاً غير طبيعي يجري، وأن المهمة الشاقة التي كانوا يشعرون بثقلها تحولت إلى نوع من الإستراحة النفسية.

بعد ساعتين، خلع فرنشتاين قفازيه، وطلب من الفريق المعاون إغلاق الجرح، ومن ثم وضع لورين في غرفة الإنعاش. كما أصدر أوامره للممرضات بنزع أجهزة التنفس الإصطناعي، بعد انتهاء مفعول البنج.

ثانية، خاطب الفريق المعاون، موجهاً الشكر، متمنياً لهم مستقبلاً حافلاً بالنجاحات. وقبيل مغادرته غرفة العمليات، طلب من بيتي- إحدى الممرضات - إعلامه عن كل ما يستجد، خاصة بعد نزع آلة التنفس الإصطناعي.

خرج فرنشتاين وتوجه إلى المصعد مباشرة. في هذه الأثناء كانت لورين تنقل إلى غرفة الإنعاش حيث تولت بيتي وصل آلة تخطيط القلب، وكذلك آلة تخطيط الدماغ، وجهاز التنفس الإصطناعي.

كانت لورين تبدو شبه نائمة، كل شيء شبه طبيعي. سحبت الممرضة بعضاً من الدم وخرجت متجهة نحو المختبر. فعلاً شيء محير، لورين تبدو نائمة بسلام، وكأن أحلاماً حلوة تتوالى عليها حلماً بعد

الآخر. بعد نصف ساعة اتصلت الممرضة بالبروفسور فرنشتاين لتخبره أن كل شيء على ما يرام وأن المريضة استفاقت من تأثير المخدر مستفسرة عما إذا كان ما يزال مصراً على ما طلب منها. وكان جواب فرنشتاين: «نعم، إفعلي ما طلبت اليك، وقريباً جداً سأكون إلى جانبك».

عادت بيتي إلى غرفة الإنعاش ونزعت أنبوب الأكسجين، في محاولة لجعل لورين تتنفس تلقائياً وطبيعياً. ثم أطفأت الضوء وخرجت.

بعد ساعة، كانت آلة التخطيط تشير إلى أن القلب يخفق على نحو شبه طبيعي. وأن كل الرسم البياني، يشير إلى تغيرات حادة في قيام القلب بوظيفته. «هناك أمر لم أعرفه من قبل. أمضيت سنوات وأنا أعمل في هذا القسم. إلا أني لم أشهد حالة كالتي أشهدها اليوم. كل دلائل الحياة مستقرة. ولكن هناك أموراً غير اعتيادية تحدث، يخفق القلب طبيعياً لعدة دقائق، ثم يعود ليتوقف، ومن ثم يعود إلى الخفقان بشكل طبيعي». أمسكت سماعة الهاتف واتصلت بالدكتور فرنشتاين «هذه أنا بيتي، يبدو أننا أمام حالة غيبوبة قوية، مع دلائل حياة مستقرة، فماذا أفعل؟».

«أنقليها إلى الطابق الخامس». قال فرنشتاين. رضخت بيتي لأمر الطبيب، وأدركت أن لورين تمر بحالة حرجة، وتخوفت من الأسوأ. دلائل الحياة مستقرة، الدماغ الأساسي يقوم بوظيفته على أكمل وجه ولكن، باستثناء ذلك، كل شيء معطل: النظر والسمع وردة الفعل».

مسكينة لورين، حية وميتة في آن.

WWW.REWITY.COM

3

تشرين الثاني

ركن آرثر سيارته في المرآب وتسلق الأدراج الخارجية المؤدية إلى شقته الجديدة. فتح الباب ورمى الحقيبة، ثم خلع معطفه وتقوقع على المقعد. في غرفة الجلوس صناديق عدة، تنتظر إفراغها وإعادة ترتيب محتوياتها على الرفوف. كتب وخرائط وملفات هنا وهناك. عشرة أيام فقط مضت على وجوده في هذه الشقة التي نالت إعجابه وأخذت لبّه.. نهض من مكانه، ووقف أمام النافذة تاركاً لعينيه حرية النظر في كل الاتجاهات، مناظر خلابة رائعة: تلال وهضاب، مياه الخليج تتلون مع حالة الطقس. تشرق الشمس فتصبغها باللون الذهبي وتصبح أرجوانية عند الغروب. الشوارع تعج بالسيارات، والحدائق بالمتنزهين غير الآبهين بحرارة الصيف أو ببرد الشتاء.

كان ينظر إلى مياه الخليج والسفن الشراعية الراسية. لقد أصبح حراً، انفصل عن كارول آن. لذا عليه أن يعيش حياته، أن يتنعم بحريته. لقد كانت تجربة مرّة. أدار ظهره للنافذة، وعاد يتأمل الشقة بكل تفاصيلها من الزخرفة الداخلية. إلى التناسق بين الألوان المنتقاه بدقة وعناية لإراحة النظر والنفس: «كم أنا محظوظ؟».

WWW.REWITY.COM

آرثر مهندس مختص بإعادة ترميم الأبنية وزخرفتها. أدهشته هذه الشقة وأذهلته الزخرفة التي أضفت عليها جواً حميمياً، يوحي بالإستراحة النفسية والوجدانية. عبثاً بحث عن شيء لتغييره أو استبداله بشيء آخر، وجد التجانس والتناسق بين كل الأشياء في هذه الشقة، حتى في الألوان. ألوان الجدران المزينة باللوحات الفنية المعلقة عليها، إنها لوحات تنبض بالحياة وتضج بالحيوية. لذا كل ما هو مطلوب منه، هو إعادة ترتيب أغراضه وكتبه وملفاته فقط. وضع طاولة الرسم بين المدفأة والحائط. حتى أنه لم يكن بحاجة إلى شراء غرفة نوم أو أثاث غرفة الجلوس، كل ما اضطر إلى شرائه هو بضعة مناشف وشراشف للسرير وبعض الأدوات المنزلية الخاصة بالمطبخ ليس أكثر.

خلع بذته واستبدلها بالجينز وبدأ بتوضيب ملفاته وفقاً للأبجدية على الرفوف فوق المدفأة. وما أن انتهى، حتى وقف يملأ عينيه من النظر إليها، مبدياً إعجابه بما فعل «يبدو أني قد أصبت بالغرور» هذا ما قاله وهو ينظر إلى الكتب والملفات وجهاز الكومبيوتر.

دخل الحمام محتاراً، أيستحم في المغطس أم يقف تحت مرشة المياه، لكنه رأى أن الاستحمام في المغطس أكثر إراحة للجسد. أدار المذياع، وأنزل جسده في المغطس. غطّس رأسه عدة مرات تحت الماء، لكنه فوجيء بانخفاض صوت الراديو، وأغرب ما في الأمر أحس أن هناك أصابع تلامس زر تغيير الموجات، خرج من المغطس وقفز إلى الغرفة الصغيرة الملحقة بالحمام المخصصة للمناشف وسواها. الصوت يأتي أكثر نقاوة، لكن ليس صوت المذياع، تسمر في مكانه، تنفس عميقاً، وتوجه وفتح باب الغرفة، «يا إلهي...؟ ما هذا الذي أرى؟ ».

أمر غريب فعلاً، ما الذي أرى؟ صبية في الثلاثين من عمرها

ـ ماذا تفعلين هنا؟ صاح آرثر، والدهشة بادية عليه «من أنت من تكونين؟».

قفزت المرأة ونظرت إليه باستغراب «أتراني؟ أتراني فعلاً ؟».

ـ نعم أراك.

اندهشت المرأة وقالت «أتراني وتسمعني أيضاً؟».

فأجابها: «لم أكن يوماً أبكم ولا أعمى ولكن ماذا تفعلين هنا؟».

ـ أمر رائع.. رائع جداً، تراني وتسمعني.

لم يجد آرثر في الأمر ما يثير الدهشة ولا ما يدعو إلى الاستغراب سوى تلك الأسئلة السخيفة «هل تراني... هل تسمعني؟». وعاد ليسأل ثانية وثالثة «ما الذي تفعلينه هنا في شقتي وفي الحمام خاصة؟».

ـ أرجوك ألمس يدي...

وقف آرثر مدهوشاً «لا لن أفعل هذا.. كيف دخلت إلى هنا؟».

لكن السيدة أمسكت بمعصم آرثر وسألته إذا كان يشعر بيدها على معصمه، أجابها مؤكداً ذلك ومشدداً على أنه فعلاً يراها ويسمع صوتها ويحس بيدها تمسك بمعصمه. ولكن وللمرة الرابعة عاد آرثر وسألها «من أنت.. كيف دخلت... وما الذي تفعلينه هنا؟».

تجاهلت المرأة تساؤله وأردفت «لا أصدق أنك تراني وتسمعني وتحس بوجودي... شيء لا يصدق».

WWW.REWITY.COM
RAYAHEEN

كاد آرثر أن يفقد أعصابه «حسناً.. هذا يكفي.. ما هذه المزحة السمجة؟ من أرسلك ... شريكي؟..».

- «أهكذا أنت دائماً؟ وهل تراني أشبه بائعات الهوى؟».

- لا أبداً، أبداً.. ولكن في منتصف الليل أراك هنا في غرفة الحمام في شقتي..

- فعلاً، ولكنك أنت عاري الجسد، ولست أنا.

انتبه آرثر لما هو عليه، فلف منشفة على وسطه وحاول الظهور بمظهر الإنسان الراقي، «حسناً، لقد انكشفت اللعبة. يمكنك الآن الخروج من هنا، والذهاب إلى بيتك، أو إلى منزل بول.. أخبريه أنه تافه وسخيف».

- ومن هو بول هذا؟ هل تتفضل وتتوقف عن الهذيان.. عليك أن تعلم أنك وحدك في هذا العالم الذي يراني ويسمعني ويحس بوجودي، بينما أنا أرى الآخرين وأسمعهم وأحس بوجودهم».

وكأن تعب عمل يوم بكامله لم يكن كافياً، فجاءت هذه السيدة لتمنع عنه قسطاً من الراحة الجسدية والنفسية. اتخذ قراراً بالتحلي بالصبر، ومحاولة إقناعها بالرحيل.

- إسمعي سيدتي، يبدو أنك مزعجة فعلاً، لقد انتهيت للتو من ترتيب شقتي، وأشعر بالتعب وأنا بحاجة ماسة إلى بعض الراحة والكثير من النوم. لذا.. أرجوك... أرجوك سيدتي، توقفي عن هذا التلاعب. أخرجي من هنا فوراً، واذهبي إلى بيتك، استحلفك بالله أن تفعلي.

تطلعت إليه والحزن بادٍ عليها «أنا خائفة.. الأمر ليس بالسهولة التي تتكلم فيها أنت..».

- ماذا تعنين؟

- حسناً سأحاول... ولكن أغمض عينيك.

- تحاولين ماذا؟

- الخروج من هنا، من هذه الغرفة الصغيرة، أوليس هذا ما تريد؟

- أغمض عينيك إذن، واصمت لدقيقتين على الأقل.

- فعلاً هذا جنون.. جنون.

- أرجوك.. إلزم الصمت واغمض عينيك، وتأكد أنك لو فعلت ما أطلب منك، فحكماً لن نمضي الليل، حيث نحن.

- دونما رغبة منه استجاب آرثر لطلب السيدة، وما هي إلا ثوان حتى سمع صوتاً قادماً من غرفة الجلوس.

- لا بأس. إني افتقدت هذا المقعد الوثير، وما يزال في مكانه وكما هو..

خرج آرثر مسرعاً من الحمام قاصداً غرفة الجلوس ليرى السيدة جالسة على الأرض وكأن شيئاً لم يكن.. وكأنه لم يرجوها تركه وشأنه.

- يسرني جداً محافظتك على السجاد، وعلى اللوحات العتيقة. ولكن لماذا تلك اللوحة. وأشارت إلى لوحة جاء بها آرثر.

- أعتقد أن هذه شقتي، ولي حرية التصرف باقتناء ما يروق لي وما يثير إعجابي. ولكن... لا تبدلي الموضوع... كل هذا لا يهمني. بكل بساطة أرغب بالنوم..، لك الحق في عدم القول من تكونين، ولا رغبة لي بمعرفة من تكونين إنما أرجوك، غادري هذا المنزل فوراً.

- أنا في بيتي.. أو قل كان بيتي.

هز آرثر رأسه وقال «إفهميني سيدتي، منذ أيام عشر وقعت عقد

WWW.REWITY.COM

إيجار هذه الشقة وانتقلت للسكن فيها، فكيف يكون هذا بيتك؟».

- نعم، أعلم هذا، وأعلم أنك المستأجر لشقتي... فعلاً إنه لشيء مضحك أليس كذلك؟

- مضحك؟... وماذا تعنين بقولك إني مستأجر شقتك. مالكة هذه الشقة إمرأة في السبعين من العمر.. هذا ما قاله السمسار.

- سيزعجها هذا... إنها في الثانية والستين .. إنها أمي.. وهي بالفعل، المسؤولة قانونياً عني هذه الأيام. ولكني أنا المالكة الفعلية.

- ماذا؟ لديك حارس قانوني؟

- في الوقت الراهن نعم، لأني أمرّ بفترة ليس بمقدوري التوقيع على أية معاملة..

- هل يعني أنك هاربة من أحد المستشفيات؟

- ماذا تريد أن تقول؟

- حسناً، لا شك أنهم قلقون عليك. أخبريني من أي مستشفى أنت هاربة حتى أعيدك إليها.

- أو تعتقد أني حمقاء هاربة من مستشفى المجانين؟

- لا... لا.. لا أعتقد ذلك.

- في البدء اعتقدتني عاهرة، والآن تنعتني بالحمقاء، هذا لا يجوز أبداً فنحن في أول لقاء لنا.

- إسمعيني جيداً... لا هم عندي إن كنت عاهرة، أو حمقاء أو... أو. ولكن يبدو أنك هاربة من إحدى الساحرات. أرجوك أنا متعب جداً. وكل ما أرجوه هو رحيلك ليتسنى لي النوم هنيئاً.

تجاهلت لورين ما قاله آرثر، ونظرت إليه نظرة استفهام.

- كيف تراني؟

- مزعجة.. مزعجة إلى أبعد الحدود.

- أعني شكلاً،... أولست جميلة؟

بلع آرثر ريقه محاولاً كتم غضبه، ولكنه قرر أخيراً الاستجابة لطلبها، فلربما بعد انتهائه من وصفها، تكتفي بهذا القدر وترحل دون رجعة.. ركز نظره عليها وقال «فعلاً أنت رائعة الجمال، معتدلة الطول، نحيلة الجسد، كما أني أرى عينيك». وخيم صمت رهيب، هو ينظر إليها وكأنه يدعوها للرحيل، وهي تنظر إليه وكأنها تقول «أحقاً يراني؟ نعم إنه يراني..» وكسرت الصمت قائلة «وماذا بعد؟».

- عيناك لا لون لها، إنها كعيني طفل مولود لتوه. حدث نفسه قائلاً «مالي استرسل بوصفها؟.. أمجنون أنا؟». ثم عاد ينظر إليها ويقول «لديك فم يصعب وصفه، وجه يشع نوراً رغم ما يعتريه من شحوب، ولكن تصرفك نقيض لكل هذا... كوني ناعمة كشعرك الذي تتمنى الأمشاط أن تبقى فيه».

ضحكت لورين «لو سألتك وصف جميع البنايات من هنا حتى شارع الأسواق أبمقدورك وصفها بالدقة التي وصفتني بها؟».

- عفواً.. لم استوعب ما تقصدين...

- هكذا دائماً أنت، تجيد وصف السيدات؟

أحس آرثر أنه يكاد ينفجر غضباً «بربك كيف دخلت، ألديك نسخة عن المفاتيح؟».

- وهل أنا بحاجة للمفاتيح، إنه شيء يشبه الأعجوبة أنك تراني..

- فعلاً إنك إنسان رائع ومهذب. أومأت إليه أن يجلس إلى جانبها

WWW.REWITY.COM

وتابعت «تفضل، إجلس إلى جانبي، واصغِ جيداً، لأن ما سأخبرك به هو من الأهمية بمكان، وليس من السهل استيعابه أو حتى تصديقه، إنما إذا أردت سماع حكايتي. وإذا كانت لديك الرغبة بتصديقي، فلربما تتأكد من صدق كل كلمة، أو حتى كل حرف، سأقوله. ومن المهم جداً، أنت تثق بي - أنت وحدك- لأنك الوحيد في هذا العالم الذي بمقدوري البوح له بسري وحكايتي الغريبة العجيبة، فأنت وحدك تراني وتسمعني وتشعر بوجودي».

أيقن آرثر أنه لا مفر من سماع هذه السيدة الصغيرة، وأنه لا مجال للنوم قبل ذلك؟ فاستجاب لرغبتها، وجلس إلى جانبها وأخذ يصغي إلى ما تقول، باهتمام كلي واستغراب واندهاش. إنها قصة فيها شيء من الخرافة.

اسمها لورين كلاين، طبيبة في مستشفى سان فرنسيسكو التذكاري حسب ما أدعت وزعمت. تعرضت منذ ستة أشهر لحادث سير مروع بسبب فقدانها السيطرة على مقود السيارة «ومنذ ذلك الحين وأنا ما أزال في حالة غيبوبة، أرجوك عدم المقاطعة ودعني أشرح لك كل شيء بإسهاب وتفصيل.. حقيقة لا أتذكر تفاصيل الحادث. كل ما اتذكره أني بعيد إدخالي غرفة الإنعاش، كنت أحس بأشياء غريبة، وكأني استعدت وعيي، كنت أسمع كل ما يقال، ولم يكن بمقدوري فعل شيء، لا قولاً ولا حركة. في البدء اعتبرت عدم قدرتي على النطق أو الحركة، عائد إلى مفعول المخدر، ولكن، مرت الساعات والأيام وحتى الأسابيع، وأنا على ما أنا عليه، والذي زادني ألماً جسدياً وتعباً نفسياً هو أني على اطلاع على كل ما يجري حولي، في حين أني عاجزة عن فعل شيء، عاجزة

عن التواصل مع الآخرين.. إنها أحرج فترة من فترات العمر، ليس في حياتي وحسب، بل في حياة كل انسان، يتعرض لما تعرضت له. اعتقدت أني مصابة بالشلل الرباعي. أنت ليس بمقدورك تخيل حالتي، كنت أحسب أن في جسدي سجيناً يرغب بالحرية، يرغب بالخروج إلى العالم الرحب. إلى عالم لا حدود له. والأسوأ، أو قل الأكثر ألماً، أني كنت أسمع كل من هم حولي من زملائي الأطباء، أصدقائي وحتى أمي، يقولون إني مصابة بالسكتة الدماغية التي لا شفاء منها».

- فعلاً كنت أتمنى الموت وماذا بإمكاني أن أفعل، إذا كنت عاجزة عن تحريك حتى سبابة يدي؟ أمي لم تبارح غرفتي، مرت الساعات والأيام والأسابيع وهي إلى جانبي، تتأوه بصمت، وتمسح دموعاً تنهمر من عينيها بين حين وآخر، كنت أتعذب لأجلها، ولكن ماذا بوسعي أن أفعل؟ كنت أرجوها بأفكاري أن تخفف عن نفسها، ولكن هل الأفكار تُسمع؟ ذات يوم دخل إنسان إلى غرفتي، عرفت من نبرات صوته أنه البروفسور آلان فرنشتاين. سألته أمي عما إذا كنت اسمع ما يقال وجاء رده، حقيقة لا أدري، ولكن هناك دراسات كثيرة تؤكد أن من هم في حالة ابنتك، قادرون فعلاً على سماع كل شيء. إذن، انتبهي سيدة كلاين وليكن الجميع حذراً في احاديثه عن لورين، فلا تسترسلوا بالشرح والاستنتاجات وأنتم إلى جانبها. وسألته أمي عما إذا كان هناك أمل أن أعود يوماً ما إلى حياتي الطبيعية. وبهدوء أجاب فرنشتاين أن لا جواب لديه، وأن كثيرين أمضوا شهوراً في غيبوبة تامة، وشفيوا منها تماماً، كل شيء متوقع.. نحن لسنا آلهة، إننا مجرد أطباء، وحتى لا أكون كافراً، ما

WWW.REWITY.COM
RAYAHEEN
WWW.REWITY.COM

نزال حتى اليوم لا نعرف الكثير. «الغيبوبة التامة، يبدو أنها لغز طبي».

- كلام فرنشتاين أراحني كثيراً. فهو لم يقل أن حالتي ميؤوس منها، أو على الأقل لم يقل أنها غير قابلة للشفاء. ومرت الأيام والأسابيع برتابة مملة قاتلة. كنت خلالها أستعيد الذكريات. أعود بذاكرتي إلى الوراء لأتخيل نفسي موجودة في الأماكن التي أحب، أو مع الأصدقاء المحببين إلى قلبي. كنت أسمح لخيالي أن يشرد ويسرح، أن يطوف العالم كله، أن يتأكد من أدق التفاصيل في كل شيء أتخيله، إنها الطريقة الوحيدة للخروج من الحال التي أنا فيها، من الرتابة، من الضجر.. قد تتعجب لقولي هذا. جسدي ممدد على السرير عاجز عن تحريك حتى أصغر عضلة فيه، وأنا أشكو الرتابة والضجر والملل.

- ذات ليلة سمعت الأصوات خارج غرفتي، تخيلت الممر، تخليت الممرضات يسرعن في ذهابهن وإيابهن، حاملات ملفات، أو يدفعن سريراً متحركاً، تخيلت زملائي الأطباء، يدخلون ويخرجون من غرفة إلى أخرى. ولكن الذي حدث، كان رهيباً، لا يصدق، حتى أنا لم أتمكن من تصديقه، فجأة وجدت نفسي في الممر، أراقب كل ما يجري. في البدء، اعتقدت أني أتخيل، وأن خيالي وراء هذا، خاصة وأني لست غريبة عن هذا المكان. منذ سنوات وأنا أعمل هنا، ومنذ سنوات وأنا أعبر هذا الممر عشرات المرات، إن لم أقل مئات المرات يومياً. غير أن هذا المشهد لم يكن خيالياً، بل واقعياً، أنا محاطة بالفريق الطبي، بيتي تفتح باب الغرفة المجاورة. تتناول علب الضمادات المعقمة، ثم تعيد اغلاق الباب. بيل يهز رأسه، يمسك ذقنه ويغرق في

التفكير، ما يزال كما عرفته عصبي المزاج، شارد الذهن.

- بمقدوري سماع أصوات أبواب المصاعد، وبمقدوري أن اشم رائحة الطعام الذي يقدم للمرضى. ولكن لا أحد يراني أو يشعر بوجودي. الناس في حركة دائمة من حولي. ولا أحد يكترث بي، لا أحد يسألني، ماذا أفعل في الممر، أو كيف نهضت من سريري وأتيت إلى هنا؟ عجباً، أما من أحد عرفني؟ ... أنا الدكتورة لورين كلاين التي من المفترض أنها تحتضر.

- بعد الممر، وخلال أيام قليلة، تعودت أن أتنقل في جميع أرجاء المستشفى، الكافيتيريا حيث كنت أجالس زملائي، أراهم، أسمعهم، إنما هم لا. كنت أسمع فيليب ستيرن يروي ما حدث لي، يروي كيف حاول إنعاشي دون جدوى.. ودائماً كان يلح على زملائه اعطاءه تفسيراً لما حدث، أي عودة قلبي إلى الخفقان، ويتذكر ضابط الشرطة وهو يسأله «ماذا لو أخذنا جسدها إلى براد الموتى... ماذا كان سيحدث؟». وكذلك قسم الطوارئ وغرف المرضى. بعد أسابيع تمكنت من الخروج إلى العالم الأوسع، فشاركت زوجين فرنسيين طعامهما في مطعم مفضل لدي. وشاهدت فيلماً سينمائياً، وأمضيت عدة ساعات في شقة والدتي.

الحقيقة لم أكن مسرورة لهذه الزيارة، فقد رأيت والدتي تبكي وتصلي، سمعتها تتضرع لله أن يعيدني إلى الحياة. صدقني كان مشهداً مؤلماً، أنا أرى أمي، وهي لا تراني، أتصدق مسحت لها دموعها دون أن تشعر بي، وحدها كلبتي كالي أحسّت بوجودي، لقد اشتمت رائحتي وراحت تتبعني خطوة خطوة، حتى كالي لم تكن قادرة على رؤيتي. أخيراً صممت على المجيء إلى هنا، إلى

WWW.REWITY.COM

شقتي.. حيث أشعر بالإستراحة، إلى شقتي التي كنت وما أزال أحب الوقوف عند تلك النافذة، لأراقب غروب شمس سان فرنسيسكو، وكيف يتغير لون مياه الخليج، هل حاولت يوماً رؤية مراكب الصيد وهي تبحر ليلاً وكيف تنعكس أضواؤها على المياه.. إنها شقتي التي أحب، التي أشرفت بنفسي على تركيب كل قطعة خشبية أو حتى كل بلاطة فيها. أتعرف معنى العودة إلى بيتك بعد غياب طويل؟

ابتسمت لورين وتابعت «لا شك أني أزعجك.. ولكن كنت أذهب إلى المستشفى من حين إلى آخر، لأكون بجانب جسدي من جهة، ولأطمئن على والدتي من جهة ثانية. صدقني منذ زمن وأنا لم أعرف النوم، لم يغمض لي جفن ليلاً ولا نهاراً. لا أنكر أني عرفت بعض الاستراحة من حين لآخر. راحتي الكبرى هي هنا في هذه الشقة التي لا أحد يعرف مدى سعادتي حين أكون فيها، لقد أشرفت شخصياً على كل قطعة خشبية زينت الجدران و الأسقف وعلى كل بلاطة في غرفة الجلوس وحتى في الحمام. أما هذه اللوحات التي تزين الجدران ـ وأشارت بيدها إلى اللوحات ـ فقد انتقيتها بعناية فائقة ليتناسب بعضها البعض ولتريح نظري. الراحة الكبرى هي حين أقف أمام النافذة المطلة على الخليج، من خلالها أرى مياه الخليج وأرى ميناء الصيادين والجسر الذي يربط بين طرفي الخليج. أرى سان فرنسيسكو كلها ـ أو هذا ما أعتقد ـ والمنظر الأبهى هو منظر تلك التلال الشديدة الانحدار بأشجارها وطرقها الملتوية كالأفاعي في وقت الحر واللهيب. هل حاولت يوماً مشاهدة مراكب الصيادين وهي تبحر ليلاً وكيف

تنعكس أضواؤها على المياه فتتلون بألف لون ولون؟».

ـ بودي لو تفهمني وتستوعب معاناتي؟ بودي لو تدرك معنى العزلة التي أحياها؟ ليس بمقدورك أن تتخيل نفسك ترى الناس حولك تسمع أصواتهم، تسمع حكاياتهم وأقاصيصهم وأنت لست قادراً على مخاطبتهم أو حتى مصافحتهم وكيف تفعل ذلك وهم لا يرونك ولا يعلمون أنك موجود بينهم. لماذا؟ فقط لأنك غير مرئي لأنك انسان شفاف، نعم شفاف. إنها لمهزلة الدهر أن تكون هكذا. هنا في هذه الشقة أشعر أني انسانة حية فعلاً، مع أن جسدي ممدد هناك في الطابق الخامس من مستشفى سان فرنسيسكو التذكاري وبالغرفة 505 تحديداً. عليك تفهم حالتي وتفهم مدى اندهاشي حين أدركت أنك تراني وتسمعني وتلمس يدي وتحس أنك ممسك بها. أنت ليس بمقدورك الإحساس بالفرحة التي غمرتني حين كلمتني وأردت طردي من هنا. أتعرف شيئاً مهماً؟ بالطبع لا. لأني أنا شخصياً لا أعرف مدى سروري الآن، سروري بالتحدث إليك، فعلاً أنا بحاجة لمن أتكلم معه. منذ زمن بعيد لم أسمع صوتاً موجهاً إلي ولم أجد من يصغي إلي، منذ زمن، وأنا أرى المرضى يتألمون وأرى نفسي عاجزة عن مد يد العون لهم وكأني لست طبيبة.

نظرت لورين إلى آرثر وكأنها تستجديه تصديقها وأردفت قائلة:

ـ لا شك تعتقد أني مجنونة؟

تجاهل آرثر قولها وأبقى عينيه مسمرتين عليها مأخوذاً بما سمع، إنه أقرب إلى الخيال وأبعد ما يكون عن الواقع وقال وهو يبتسم: «لا...لا أبداً أنت لست مجنونة. إنما لست أدري ما أقول؟ أنا فعلاً راغب بالمساعدة ولكن كيف؟».

WWW.REWITY.COM

ـ دعني أتحدث معك ولو لبعض الوقت وأعدك لن أسبب لك أي ازعاج.

ـ بربك هل أنت تصدقين أية كلمة من كل هذا الذي رويته؟

ـ الآن عرفت؟ لم تقنع بكلامي ولم تصدق كل ما قلت، معك الحق كل الحق. أحنت رأسها ووضعته بين راحتيها وتابعت «حسناً. إنك الآن تخاطب نفسك قائلاً من أين أتت هذه الفتاة غير المتزنة؟ اسمعني، كنت أملي إنما الآن فقدت هذا الأمل».

سألها آرثر أن تضع نفسها مكانه. فماذا كانت ستكون ردة فعلها حين تدخل شقتها وتجد رجلاً مختبئاً في غرفة الملابس الملحقة بالحمام، أو في أي مكان من الشقة وأخذ يروي عليها ما رويته أنت من أنه شبح انساني لجسد ممدد في المستشفيات يعاني من الغيبوبة القوية «هل كنت ستصدقين؟».

انفرجت أساريرها وارتسمت على شفتيها ابتسامة وكادت تصرخ فرحاً. أدركت أن آرثر بدا ينجذب لسماع أحاديثها رغم غرابتها

ـ أرجوك آرثر صدقني عليك أن تصدقني. هل تعتقد أن هناك بشرياً قادراً على اختراع مثل هذه القصة بتسلسلها المنطقي؟».

ـ الحقيقة... شريكي بإمكانه أن يفعل ذلك.

ـ إنسَ شريكك بول. ليس له يد فيما نحن فيه وأنا هنا لا أمزح.

ـ كيف عرفت اسمي إذن.

ـ عفواً..؟ أنا كنت هنا حين أتيت مع السمسار لمعاينة الشقة وسررت جداً أنها أعجبتك. وأتذكر أنك وقعت عقد الإيجار على الطاولة الموجودة في المطبخ. وأيضاً كنت هنا حين أتيت بأغراضك

الموضبة بصناديق من الكرتون وأذكر مدى حزنك لانكسار نموذج الطائرة. على فكرة أنا آسفة جداً على ما حصل مع أن لا يد لي فيه. كذلك كنت أراقب كل حركاتك حين بدأت بتعليق اللوحة التي اشتريتها وجئت بها والتي سعيتُ جاهدة أن أمنعك من تعليقها فرميتها لك مرتين».

ـ كذلك كنت هنا حين بدأت العمل بوضع التصماميم لإحدى مشاريعك على الورق قبل نقله إلى الحاسوب. أنا كنت معك منذ اليوم الأول لدخولك الشقة.

ـ كنتِ هنا أيضاً حين كنت أستحم وآوي إلى فراشي؟

ـ دعك من هذا فأنا لا أحب النظر إلى الآخرين ولكن بمقدوري القول إن لك جسداً رائعاً وبغض النظر عن كل شيء فأنت فعلاً رجل جذاب.

ـ أصيب آرثر بالذهول. إنها مقنعة، أو قل اقتربت من اقناعه بصحة كل ما روت وحكت. ولكن حكايتها أغرب من قصص الخرافات. لم يجد سبباً لاتهامها أنها تخدعه ولكن بالوقت ذاته هل يعقل أن يكون جسدها في المستشفى فعلاً وحقيقة؟ نظر إلى الساعة في محاولة لإفهامها أنه يرغب بالنوم. بالوقت ذاته وبرغم غرابة قصتها فإنها لا تبدو مؤذية أبداً، بل ودودة جداً. وحسماً للجدل عرض عليها البقاء في الشقة معه هذه الليلة، وعرض أن ينام هو في غرفة الجلوس فيما تنام هي في غرفة النوم، على أن تعود غداً من حيث أتت، إلى المستشفى أو أي مكان آخر ترغب بالذهاب إليه. لكن لورين لم توافق على عرضه بل انتصبت ووقفت أمامه وجهاً لوجه وأخذت تروي عليه كل ما فعله خلال الأيام الأخيرة بما فيها

WWW.REWITY.COM

مكالمته الهاتفية مع كارول آن التي أبلغها فيها عدم رغبته باستمرار علاقته معها وأنه لا ضرورة بعد اليوم لمتابعة الحديث في هذا الموضوع. رجته أن يصدقها. ومن ثم ذكرته بالكؤوس التي انكسرت فيما هو يحاول توضيبها وكيف غفى في مغطس الحمام، وذكرته كم من الوقت أمضى يبحث عن مفاتيح السيارة وكيف كان يتمتم أن لا أحد دخل إلى هنا فكيف اختفت؟ وكيف عاد ووجد المفاتيح على الطاولة الصغيرة بالقرب من مدخل الشقة. وعادت لترجوه تصديق كل كلمة تقول فقالت: «تذكر يوم الثلاثاء وأنت تنتظر عمال الهاتف ثلاث ساعات، وأخيراً وصلوا عند الساعة الخامسة وبعد خروجهم تناولت سندويش الباسترما وانساب الخردل على معطفك، فكان عليك ارتداء معطف آخر. والآن... اتصدقني؟..

منذ عشرة أيام، وأنا هنا معك في هذه الشقة، أراك حين تنهض من نومك والإبتسامة على شفتيك، أسمعك وأنت تكلم نفسك عن كارول آن، ومدى ندمك على كل يوم أمضيته معها، أسمعك تتحدث عن العمل ومتاعبه، عن طموحاتك عن أمانيك. أرجوك آرثر لا تتركني وحيدة في هذا العالم...

إنه لأمر غريب فعلاً. قال آرثر لنفسه. حدق بعينيها اللتين بدتا وكأنها تتضرع إليه أن يصدقها، «إذن، أمضيت كل هذه الفترة تتجسسين علي.. هل لي أن أعرف لماذا؟...».

ـ أتجسس عليك؟... ما هذا الهراء الذي تتفوه به يا آرثر؟ أنظر إلى الشقة، أترى أية كاميرا، أو لاقط صوت؟ إنما كوني كنت أعيش هنا، ليل نهار، عرفت عنك كل ما قلته.

ـ فعلاً لا أرى أية كاميرا أو لاقط صوت، ولكن أما ترين أن قصتك تثير الدهشة والاستغراب، وأنها أقرب إلى حكايات «صدق أو لا تصدق؟».

وبصوت واثق أمرته «أين مفاتيح سيارتك هاتها...».

ـ ولماذا؟ إلى أين ترغبين أن نذهب الآن؟

ـ إلى المستشفى، حيث جسدي في الغرفة 505، هناك ستتأكد من صدق كلامي، هناك سترى هذه الواقفة أمامك ممددة على السرير، بدون أية حركة وغير قادرة على قول أية كلمة، وسترى كيف تعيش اصطناعيا.

ـ أمتأكدة أنت؟ وفي هذه الساعة بعيد منتصف الليل، تطلبين الذهاب إلى المستشفى؟ وفي المقلب الثاني من المدينة؟ ولكن قولي لي ماذا سأقول للمرضة المناوبة ليلاً... أسألها عن غرفة سيدة لا أعرفها، لأن شبحها مقيم في غرفتي؟ ماذا أقول لها؟ أأقول إنه رغم تعبي ورغبتي في النوم، أصر شبح تلك السيدة على المجيء إلى رؤية جسده، وإلا لن يتركني بسلام؟».

ـ وهل لديك حل آخر؟

ـ حل آخر لماذا؟

ـ وهل لديك حل آخر، يجعلك تنام بهدوء؟

ـ يا إله الكون، أرجوك أخبرني ماذا فعلت أنا من سيئات، حتى أبتلي بما أنا فيه الآن؟

ـ تنادي إله الكون؟ ولكنك لا تؤمن بالله، أو لم تقل هذا لبول حين كنت تكلمه عن أحد الإلتزامات؟ أولم تقل له بالحرف الواحد «افهمني يا بول، إذا خسرنا هذا الإلتزام لن أؤمن بالله بعد اليوم، وسيكون علينا

WWW.REWITY.COM
RAYAHEEN

التفكير بالأسباب التي أدت إلى عدم رسوه علينا». حسناً، اعتبر نفسك الآن ولو لساعة واحدة، ترتكب خطأ ما... هذا كل ما أطلبه منك. صدقني أنا بحاجة ماسة إليك، إنك أملي الوحيد».

ما إن سمع آرثر لورين تتحدث عن بول، حتى تناول سماعة الهاتف وطلبه

- بول...؟ هل أيقظتك من نومك؟

وجاء صوت بول مرنحاً «لا....لا.. أبداً... فأنا ما أزال انتظر هذه المكالمة... مكالمة بعيد منتصف الليل».

فعلاً... وهل قلت لك إني سأتصل؟

- لا لم تقل هذا.. الحقيقة أني كنت أغط في نومي حين رن جرس الهاتف... والآن هل لي أن أعرف ماذا تريد؟

ماذا أريد؟ أريدك أن تتكلم مع شخص ثالث، وتطلب إليه التوقف عن الاستمرار في اللعبة السمجة التي اتفقتما عليها.

طلب آرثر من لورين تناول سماعة الهاتف، لكنها أخبرته أنها لا تقدر على حمل أي شيء صلب. على الطرف الثاني من الخط، كان بول يستشيط غضباً متسائلاً آرثر مع من تتكلم؟ ممن تطلب إليه محادثتي؟ وأحس آرثر أنه وصل إلى اللحظة الحاسمة، لحظة كشف هذه اللعبة القذرة، التي اتفق عليها لورين وبول، مد أصبعه وضغط على زر استعمال مكبر الصوت في آلة الهاتف؛ ووضع السماعة جانباً وهو يقول بول اتسمعني؟

- نعم أسمعك، بربك ماذا دهاك آرثر، دعني وشأني فأنا أرغب بالنوم.

- وأنا أيضاً أرغب بالنوم. قال آرثر «إنما لحظة من فضلك». ثم أدار وجهه نحو لورين وقال «تكلمي معه».

- مرحباً بول، يبدو أنك لن تسمعني، فأنت لست كآرثر الذي بمقدوره أن يسمعني ويراني، لكنه لا يصغي ولا إلى أية كلمة أقولها.

- وجاء صوت بول حسناً آرثر، لماذا طلبتني في هذه الساعة المتأخرة من الليل، ألديك شيء ترغب قوله؟

- ردَّ عليها...

- على من أيها المجنون؟

- على هذه السيدة التي خاطبتك منذ ثوانٍ.

- آرثر هل أنت مصاب بحمى؟... لا أحد غيرك يكلمني وها أنا أتكلم معك.

- أو لم تسمع أي صوت غير صوتي ؟

- ما هذه التفاهات..؟ لا ريب أنك مصاب بنوبة عصبية أفقدتك صوابك.

في هذا الوقت كانت لورين تنظر إلى آرثر بعين الشفقة ثم عادت وتكلمت مع بول. لكن بول لم يسمع، الأمر الذي جعل آرثر في حيرة من أمره. إذن أنا لست في حلم ولا أخدع. أنا أسمعها بينما بول لا. وتوجه إلى بول قائلاً: إنسَ الأمر يا صديقي وأني لجد أعتذر منك. أزعجتك في هذا الوقت المتأخر من الليل. لكن بول سأله هل «أنت بخير يا صاحبي؟ إذا كنت بحاجة إلي فأنا مستعد للقدوم حالاً».

- لا يا صديقي كل شيء على ما يرام. عد إلى نومك وأتمنى لك أحلاماً سعيدة.

WWW.REWITY.COM

- لا شكر على واجب يا آرثر وتأكد يحق لك أيقاظي ساعة تشاء. إن كنت تعاني من الوحدة فلماذا لا تأتي وتمضي ليلك عندي نحن أصدقاء والصديق لوقت الضيق؟ لا تتردد في الاتصال إذا شعرت بأنك بحاجة لإنسان تتكلم معه. حسناً سأعود إلى النوم إذن. هل لديك شيء آخر تقوله؟

عمت صباحاً يا صديقي.

نظرت لورين إلى آرثر وقالت: «أصدقتني الآن، أصدقت أنك وحدك تسمعني وتراني؟ لنذهب إلى المستشفى حالاً».

- «لا، لأني في الحقيقة لم أصدق كل ما قلته بعد، وأنا متعب وبحاجة للنوم إذهبي أنت إلى غرفة النوم. وأنا سأنام هنا على هذه الكنبة في غرفة الجلوس. هذا آخر كلام عندي.

- فعلاً أنت قلق أكثر مني. إسمع أنا لست بحاجة لسرير.

- وماذا ستفعلين إذن؟

- دعك من الذي سأفعله.

- لا تقولي هذا ثانية.

- سأبقى هنا في غرفة الجلوس.

- حتى صباح الغد وماذا بعد ذلك؟

- نعم حتى صباح الغد وأني فعلاً أشكر لك ضيافتك وكرم أخلاقك.

- على شرط عدم التجسس علي في غرفة نومي.

- ما عليك إلا إغلاق باب الغرفة بالمفتاح ومن ثم لماذا هذا الخوف فلطالما رأيتك سابقاً.

- أعتقد أنك لست من الذين يرغبون بالنظر إلى الآخرين؟

انتصبت لورين وزعقت بوجهه «أما ترى أنك أبله نوعاً ما؟ أنا هنا وأنت لا تراني وحين كنت تتعرى للاستحمام كنت تفعل ذلك وأنا أراك ما بالك يا سيد آرثر؟».

- إذن تصبحين على خير.

- وأنت كذلك.

اتجه آرثر نحو غرفة النوم وهو يتمتم «فعلاً إنها مجنونة...». ارتمى على سريره محاولاً النوم لكنه لم يتمكن. هناك ما يشغل باله. لا بل يقلقه. إنه يتذكر وجهها وكل كلمة تفوهت بها، صار بين الشك واليقين. تذكر كيف حدثته عن مكالماته الهاتفية وما شابه. نظر إلى الساعة إنها الواحدة والربع بعد منتصف الليل. حاول النوم ولكنه عبثاً فعل. هناك ما يطرد النعاس من عينيه. الساعة تشير إلى الثانية وعشر دقائق، نهض من فراشه ارتدى ثيابه وقصد غرفة الجلوس حيث كانت ما تزال تقف أمام النافذة وكلمته دون أن تستدير بوجهها إليه «أحب هذا المنظر كثيراً وأنت؟».

- يا لروعة هذا المنظر؟ أنظر... أتدري.. إنه سبب شرائي لهذه الشقة. إني أحب رؤية الجسر يتأرجح ليل نهار. في الصيف، أسمع نقيق الضفادع، وأفكر بالخالق المبدع في خلقه لمخلوقاته.. في الصيف أيضاً، كنت أقف أمام هذه النافذة، أراقب الأمواج تتكسر على هياكل السفن. وكيف تعبر «البوابة الذهبية» بهدوء وكأنها تعلمت درساً من اصطدامها بهياكل السفن».

دون أي تعليق على ما قالت، ربت آرثر على كتفها وقال «حسناً لنذهب الآن».

- فعلاً؟... وهل اقتنعت أخيراً؟

WWW.REWITY.COM

- طالما أنه لا مناص من ذلك، وطالما أني راغب بالنوم وأخذ قسط من الراحة، وليس بمقدوري فعل هذا، دون الوصول إلى الحقيقة، والتأكد من مصداقية روايتك... وتنتظرني غداً مواعيد مهمة... أسرعي.

- حسناً إذهب وسألحق بك.

- كيف وأين؟

- قلت لك إذهب... أرجوك آرثر ثق بي ولو لدقيقتين فقط ليس أكثر.

قبيل مغادرته الشقة، عاد آرثر وسألها عن اسم عائلتها، كذلك أعادت على مسمعه، رقم الغرفة التي يرقد فيها جسدها في المستشفى سان فرنسيسكو التذكاري ورددت «الرقم 505 رقم سهل حفظه أليس كذلك؟».

لكنه، وفي تلك اللحظة بالذات، لم يجد شيئاً يسهل حفظه أو من الممكن استيعابه. أغلق الباب خلفه، واتجه نحو المرآب، عبر الأدراج وليس بواسطة المصعد. ما إن جلس آرثر خلف مقود السيارة حتى كانت لورين تأخذ مكانها على المقعد الخلفي. تململ آرثر من تصرفها هذا، «وقال تفضلي واجلسي على المقعد الأمامي، فأنا لست بسائق خاص ولا سائق سيارة أجرة.. تفضلي إلى هنا». وأشار إلى المقعد الأمامي.

- هل يمكنك أن تكون لطيفاً معي، كما أنت مع غيري؟.. ما الهم إن كنت جالسة هنا على المقعد الخلفي أو الأمامي إلى جانبك. طالما أن أحداً لا يراني؟ فلا أحد سيقول عنك إنك أشبه بسائق سيارة الأجرة.

رضخت لورين أمام إلحاح آرثر وجلست على المقعد الأمامي،

وأخذت تنظر من النافذة. كانت تنظر إلى ما تعودت رؤيته قبل دخولها الغيبوبة. فكم سلكت هذا الطريق، صباحاً وهي ذاهبة إلى عملها ومساءً وهي عائدة إلى الشقة. شارع مقفر، لاحركة فيه، الصمت يخيم على كل شيء، حتى على لورين وآرثر، لكن آرثر كسر هذا الصمت «بربك، ماذا سأقول لهم في المستشفى؟ أقول مجنون جن وحنّ لعيادة من كانت السبب في جنونه؟».

نظرت إليه مبتسمة ببراءة «إسمع أنت ابن عمي مقيم في الأرجنتين، وأنك للتو عرفت بما حدث وليس لديك سوى أربع ساعات قبل إقلاع الطائرة في رحلتها نحو بريطانيا حيث ستمضي هناك ما لا يقل عن ستة أشهر. ولا شك أنهم يسمحون لك بزيارة إبنة عمك في هذه الساعة المتأخرة من الليل، خلافاً للأنظمة والقوانين المعمول بها».

ضحك آرثر ملء شدقيه وأبدى إعجابه بقدرتها على اختراع الحجج والذرائع وقال «وهل أبدو أرجنتينياً؟».

- لا تكن سلبياً هكذا.. إذا ساءت الأمور.. نعود غداً.. ولكن عليك الإنتباه ألا تبدو قلقاً مضطرباً، حافظ على هدوئك واضبط أعصابك.

- أتصدقين؟ لست قلقاً من دخول المستشفى في هذا الوقت... إنما الذي يقلقني هو أني بحيرة من أمري، هل أنا في حلم أشبه بكابوس أما أنا فعلاً أمام حقيقة أشبه بالأسطورة.

وأخيراً ها هما في المستشفى. دقات قلب آرثر تتزايد، العرق يتصبب من جبينه. مجدداً طلبت منه الهدوء والإلتفاف نحو اليمين، ومن ثم نحو اليسار، والتوقف خلف شجرة الصنوبر.

WWW.REWITY.COM

أشارت لورين إلى زر الجرس المخصص لحالات الطوارئ الليلية وقالت «إياك وإطالة الضغط عليه، لأنك قد تزعج الممرضات. كل ما عليك فعله الضغط لثوانٍ قليلة».

أحنى آرثر رأسه ووضعه على مقود السيارة، فهزته قائلة: «ليس هذا وقت النوم.. هيا».

بصوت خافت معبر عن الغم والحزن قال: «بودي لو أنام بضعة دقائق ليس أكثر».

4

ضغط آرثر زر الجرس الكهربائي لثوانٍ قليلة، دقائق قليلة وأطلت ممرضة في مقتبل العمر، بارعة الطول، رائعة الجمال، حتى كاد أن ينسى ما جاء لأجله.

نعم ماذا تريد في هذه الساعة المتأخرة من الليل؟

بأسلوب رصين وبتسلسل منطقي أخبرها عن سبب مجيئه، مبدياً أسفه لإزعاجها، ولكن للضرورة أحكامها. غير أن الممرضة قالت «إن للمستشفى أنظمة يجب أن تراعى، وليس بمقدورها تحمل مسؤولية مخالفتها، ومن الأفضل تأجيل سفره إلى ما بعد ظهر الغد، وهكذا يتمكن من زيارة قريبته ضمن المواعيد المحددة للزيارات».

لكن آرثر، أخذ يرجوها وكأنه يستجدي الشفقة، معللاً ذلك بأن تأجيل سفره لبضع ساعات قد يكلفه ثمن بطاقة سفر جديدة «وأنت يا آنستي تعرفين كم مكلف هذا، ومن ثم لكل نظام استثناءاته المشروعة».

للوهلة الأولى، اعتقد آرثر، أن مهمته شبه مستحيلة، لكنه لاحظ بعضاً من الليونة في موقف الممرضة التي نظرت إلى ساعتها

WWW.REWITY.COM RAYAHEEN
WWW.REWITY.COM

وابتسمت «حسناً علي القيام بجولة على المرضى. ولكن أرجوك ألا تحدث ضجيجاً أو تلمس شيئاً».

فتحت الباب، وسألته اللحاق بها، نحو المصعد، شرط ألا يمكث أكثر من ربع ساعة. انحنى آرثر وقبل يدها تعبيراً عن احترامه وتقديراً لما قدمته من خدمة.

ـ هل هكذا كلكم لطفاء في الأرجنتين؟ قالت الممرضة وسارت أمامه نحو المصعد، صعدا إلى الطابق الخامس، حيث جسد لورين ممدد على السرير في الغرفة 505.

من خلال فتحة الباب، ورغم الضوء الخافت، تمكن آرثر من رؤية إمرأة ممددة على السرير، تبدو وكأنها تغط في نوم عميق. دون أن يتمكن من تبيان ملامحها. همست الممرضة في أذنه «سأترك الباب مفتوحاً، بإمكانك الدخول، إنما انتبه، لا تتفوه بأية كلمة، قد تؤذي شعورها، فالأطباء يعتقدون أن هناك احتمال سماع ما يقوله الذين حولها، رغم أنها تعاني من غيبوبة تامة، لا أمل في الخروج منها».

بهدوء، دخل، فوجد لورين واقفة إلى جانب النافذة، نظرت إليه والإبتسامة على شفتيها، ودعته للإقتراب من السرير «إقترب لا تخف، فلن أسبب لك أية أذية». اقترب من السرير وهو يتساءل «أمجنون أنا؟ لماذا أتيت إلى هنا؟».

حدق بالجسد الشاحب الهزيل الممدد على السرير، فصدم لشده الشبه، بينه وبين لورين. تراجع إلى الوراء ووقف إلى جانب لورين

ـ أهذه شقيقتك التوأم؟

ـ خاب ظنك، لا أخت لي أبداً... هذه هي أنا، ولا أحد غيري،

وتأكد، أنا لا أحاول أن أتلاعب بمشاعرك أو الإحتيال عليك. ولماذا أفعل هذا؟ لأي سبب وما الغاية؟

ـ آرثر.. أنت لست في حلم، أنت أمام حقيقة مرة.. أرجوك، أنت أملي الوحيد، ساعدني. أيمكنك تخيل ما أعاني؟ أرى نفسي على السرير أنحل يوماً بعد يوم، صدقني أنك الإنسان الأوحد الذي يمكنني التواصل معه، منذ ستة أشهر وأنا أعيش في عزلة تامة، حتى التقيت بك، فرأيتني وسمعتني وتحسست جسدي.

ـ ولكن لماذا أنا؟

أتسألني لماذا أنت؟ بودي لو أمتلك جواباً على تساؤلك هذا. ربما بسبب تواجدنا معاً في شقة واحدة، أو لربما هناك شيء خاص جداً يميزك عن غيرك. هل سبق لك وتعاطيت مع محضري الأرواح؟

ـ أنا؟ أبداً لم يسبق لي أن فعلت ... إنه أمر يرعبني.

ـ وكذلك أنا ولكن دعنا من هذا الآن.

إن كان أحد يجب أن يكون مرعوباً، فهو لورين، التي تنظر إلى جسدها الذي يذوي يوماً بعد يوم، إلى جسدها المشلوح على هذا السرير مع أنابيب المصل في عروقها وأنابيب أخرى لإخراج إفرازات معدتها، لورين التي بمقدورها الإنتقال من أي مكان إلى أي مكان، دون أن يراها أحد، وليس بإمكانها أن ترفع يدها عن السرير ولو لميلمتر واحد، لورين الممددة ولا يرمش لها جفن.

كيف للورين أن تشرح لآرثر كل هذا، وكيف لها أن تجيب على كل تساؤلاته، وهي بحد ذاتها غير قادرة على تفسير ما يجري منذ ذاك الصباح المشؤوم؟ «إفهمني آرثر، أدرك كل الإدراك أنه ليس بمقدورك، وحتى لا يمكنك لو حاولت، فهم واستيعات ما يدور في

WWW.REWITY.COM

خاطري، ولا أدراك ما ينتابني من مشاعر وأحاسيس، من أرق وقلق، من يأس وأمل.. أنا بحد ذاتي في حالة تساؤل دائمة، حتام تستمر هذه الحكاية الأشبه بالأكذوبة؟ ولماذا أنا دون غيري أعاني مما أعاني؟.. إلى متى سأبقى منفصلة عن جسدي؟ وكيف سأعود إليه؟ أيعني هذا عدم قدرتي على العودة إلى حياتي الطبيعية، ولو لبضعة أيام فقط؟ أمشي خلالها على قدمي، أتحدث إلى الناس الذين أحببتهم وأحبوني، أتسامر معهم، أشاركهم أفراحهم وأتراحهم، أصافحهم يداً بيد، أقبل وجنتاتهم ويقبلون وجنتي، أتلمس أجسادهم ويتلمسون جسدي»؟

هذا هو العذاب الحقيقي.. العذاب الذي لا يوصف.. أنت حي وميت في آن.

لست أدري كم من الوقت مر قبل انفصالي عن جسدي. في البدء بعيد الحادث، كان الأصدقاء يتوافدون يومياً لزيارتي وكذلك زملائي الأطباء والعاملون في المستشفى كلهم كان يتحدثون إليّ محاولين إخراجي من حالة الغيبوبة. لكن هذا لم يدم سوى بضعة أسابيع، توقف بعدها الأصدقاء عن الزيارة. أما الزملاء فيمرون من حين لآخر. إنما دون أية كلمة توجه إليّ، وكأنهم صاروا على قناعة، أن لا أمل مطلقاً لاستعادة وعيي.

- وحدها والدتي، لم تيأس، ولم تتأخر يوماً عن موعد قدومها إلى هذه الغرفة، والحقيقة تقال، بدأت أخيراً تشعر بالتعب، وأخذ اليأس يتسلل إلى عقلها، ولطالما سمعت الأطباء والممرضات يتحدثون عن إمكانية نقلي من المستشفى إلى مركز رعاية مختص بالحالات المرضية المشابهة لحالتي: إلى أي مدى سيبقى المستشفى يتحمل كلفة الأعباء؟

- آرثر عليك تفهم وضعي.. إني هنا أراقب نفسي وأنا احتضر. تخيل نفسك مكاني أي رعب سينتابك؟ إنك بصيص الأمل الوحيد. آه لو تدرك معنى إيجاد إنسان آخر يستمع إليك. إنسان تحادثه ويحادثك، إنسان تتحسس وجوده ويتحسس وجودك، أنت وحدك دون غيرك من بين كل البشر قادر على فعل هذا. أنا لا أنكر أنّي قد أكون شبحاً، لكنني شبح إنساني.

حدق آرثر بعينيها الحزينتين، تفرس في وجهها وتمتم

- ستموتين..؟ غريب هذا الشعور الذي بدأ يشدني إليك.

خيم على الغرفة صمت رهيب ثم أمسك يدها وقال: «تعالي، لنذهب من هنا، أنا متعب، تعالي معي إلى الشقة».

وضع يده على كتفها وشدها إليه وهمّا بالخروج، لكنه فوجىء بنفسه وجهاً لوجه أمام الممرضة التي كانت تنظر إليه باندهاش وذهول.

- هل أنت على ما يرام؟

- نعم... لماذا؟ لكِ مني كل الشكر.

- ولكن ذراعك معلق في الهواء، وأناملك تتحرك وكأنها تداعب شيئاً ما...

أنزل ارثر يده وأعادها إلى وضعها الطبيعي ونظر إلى الممرضة متسائلاً أترينها؟

- أراها؟ .. أرى من؟...

- لا شيء ... لا شيء...

- من الأفضل ألاّ تقود سيارتك الآن؟ يبدو أن الصدمة أثرت عليك جداً، إلى هذا الحد تحب إبنة عمك؟ ... الحقيقة أعانكم الله على هذا المصاب، فعلاً ليس سهلاً على أي إنسان أن يرى شخصاً عزيزاً على قلبه

WWW.REWITY.COM

في حالة تشبه حالة الدكتورة لورين، أعني ابنة عمك. لماذا لا تأتي معي إلى غرفة الممرضات وترتاح قليلاً؟

كانت الممرضة في حالة ذهول مما ترى وتسمع حتى باتت متأكدة أن هذا الزائر الليلي لن يقوى على الخروج من المستشفى. لكن آرثر طمأنها أن كل شيء على ما يرام..

ودعته الممرضة عند بداية الممر، وأخذت تراقبه وهو في طريقه إلى الباب الخارجي، مجدداً صعقت الممرضة حين رأته يعود ويرفع ذراعه ويبقيها في الهواء. ولكن الصدمة الكبرى كانت حين سمعته يقول: «إني مصدق كل كلمة يا لورين... مصدق كل كلمة».

أسرعت الممرضة إلى غرفة الممرضات، وأخبرتهن عما رأت وسمعت وأردفت تقول: «كثيرون هم المجانين الذين يسرحون ويمرحون دون عناية طبية».

عند خروجهما من المستشفى، أحسا بريح شمالية باردة. خلع آرثر معطفه ووضعه على كتفيها، اتقاء لصقيع الليل، وحبات المطر الخفيف الذي يصاحب مثل هذه الريح عادة.

- والآن سنعود معاً، إلى الشقة، عبر شوارع سان فرنسيسكو، أما زلت تذكرين تلك الشوارع؟

- وهل لي أن أنساها؟ قالت لورين وهي تجلس إلى جانبه في السيارة وهي تعبر شارعاً تلو آخر، والصمت يلف الإثنين، آرثر يسترق النظر إلى مياه الخليج بين الحين والآخر. رأسه يضج بالأسئلة «ترى ماذا يخبىء الغد لي ولها؟». تساؤلات وتساؤلات تمنعه من التمتع بمتعة القيادة الليلية وجمال المناظر الخلابة.

لورين تحدق في السماء، تراقب الغيوم السارحة والنجوم التي

تختفي خلفها، ومن ثَمْ تعود لتظهر من جديد. الشوارع مقفرة، الأنوار تتلألأ، صمت رهيب يلف سان فرنسيسكو، لم يتغير شيء. كل شيء كما كان ليلة عودتها من المستشفى بُعيد منتصف الليل الذي سبق الحادث.

قطع آرثر الصمت «أتحبين الليل يا لورين؟».

ودون أن تلتفت إليه قالت «لقد تعودت حب الليل... أحب فيه سكونه والصمت الذي يلف البشر، إنه صمت يخيفني، ويجعلني أنغمس في التفكير، في التأمل بالحياة. في الليل تحدث أشياء كثيرة، منها المنطقي ومنها اللامنطقي. في الليل تلتقي بشراً نادراً ما تلتقيهم نهاراً. تلتقي أناساً لا يظهرون إلا في الليل، ولا أحد يدري لماذا يختفون عند بزوغ الفجر، ولا إلى أين يأوون.

- في الليل، عشاق يتواعدون، لصوص يسطون على أموال الآخرين، لست أدري ما الرابط بين العتمة والسكون والصمت، حتى العصافير تتوقف عن التغريد والزقزقة. وفي الوقت ذاته، في الليل، أناس يخلدون إلى النوم، وآخرون يهبون إلى العمل. الممرضات في المستشفيات، عمال التنظيفات وغيرهم الكثير الكثير. هذا هو الليل يا آرثر، أنظر، مراكب الصيادين تتهادى فوق مياه المحيط وتلقى بأنوارها عليها، أنظر إلى تلك التلال والهضاب...

- لورين، كان ليلي غير اعتيادي، لقد أثرت أعصابي، وجعلتني أشك فيك وبصديق العمر بول.. إنما صدقيني بدأت أقتنع بما رويته على مسمعي.. ولكن، أما ترين أن هناك أشياء يصعب تصديقها؟

- دعنا من هذا آرثر، حتى لا نمضي الليل في الجدال والنقاش.

- الليل؟... قولي ما تبقى من الليل.

WWW.REWITY.COM
RAYAHEEN
WWW.REWITY.COM

مخافة إزعاج الجيران بصرير باب المرآب وهو يفتح ويغلق، قرر آرثر ركن سيارته إلى جانب الرصيف. بهدوء ترجل منها، وتسلق الأدراج نحو الشقة التي ما إن دخلها وأضاء النور حتى رأى لورين قد سبقته إليها، وجلست على السجادة في غرفة الجلوس، وعلى شفتيها ابتسامة عريضة وعيناها تشعان بريقاً.

نظر إليها «والآن هل اتخذت قراراً؟».

- أي قرار؟

- أين ستنامين؟ هنا أم على السرير؟

- اسمعني آرثر ادخل أنت ونم على السرير، أما أنا فسأنام هنا على هذه السجادة.

- كفى مخادعة..

- أنا لا أخادع.. سأنام هنا.

- تقدم آرثر وضع يده على رأسها وأخذ يحدق في عينيها، أما هي فنظرت إليه، بنظرات التعبير عن الشكر والامتنان.

- بودي لو كنت قادرة على إعداد كوب من الشاي، لكنت فعلت.. إذهب إلى سريرك، فأنت متعب فعلاً.

تنهد آرثر ونظر إليها قبل توجهه نحو غرفة النوم، وقبل أن يفتح باب الغرفة عاد ليؤكد لها دعوته للنوم على السرير فيما هو مستعد للنوم على الأريكة في غرفة الجلوس.

شكرته على لياقته وحسن ضيافته وتمنت له أحلاماً سعيدة، مؤكدة أنها لن تغير رأيها، بل ستنام هنا، على السجادة. كان آرثر متعباً فعلاً، جسدياً وعقلياً، لقد أتعبته قصة لورين، وجعلته يفكر بما يخبيء الغد.

قبل إغلاق باب غرفة النوم، عاد وتمنى لها ليلة سعيدة ونوماً هنيئاً، لكنها رجته لو يغمرها. تعجب آرثر لطلبها هذا، وأحنى رأسه خجلاً وهو يتقدم منها ليأخذها بين ذراعيه ويشدها إلى صدره «ستة أشهر مضت وأنا محرومة من غمرة حنان». قالت هذا ورمت رأسها على صدره، وكأنها تريد سماع دقات قلبه.

مرت بضعة دقائق وهما متعانقان، لا هو مصدق أنها بين ذراعيه ولا هي أيضاً، حرك يديه على ظهرها نزولاً حتى أحاط خصرها فيما كانت هي تدغدغ عنقه بوجنتيها.

- لست أدري كيف لي أن أشكرك، فعلاً إنك إنسان مميز، إذهب إلى فراشك الآن. وتأكد سأوقظك عند الثامنة. فلا تقلق. أحلاماً سعيدة، من كل قلبي الموجع أتمنى لك أحلاماً سعيدة.

خلع آرثر ثيابه، رمى القميص بعيداً عن السرير، ووضع معطفه في مكان آخر واندس تحت اللحاف. وغط في نوم عميق.

بقيت لورين في غرفة الجلوس دون نوم حتى تأكدت من أنه غفى. أغمضت عينيها، وراحت تستعيد الذكريات وتتخيله نائماً بهدوء وسكينة. حتى أنها تخيلت ابتسامة ناعمة ترتسم على شفتيه، رأت وجهه مشرقاً براقاً. «كم هو رائع ذاك الإحساس، إنك على تواصل مع الآخرين، تحدثهم ويحدثونك، تبتسم لهم، فترى الإبتسامة على شفافهم».

- وأخيراً... وجدت من أتواصل معه، يراني كما أراه، يسمعني كما أسمعه، يشدني إليه ويتحسس جسدي كما أنا أتحسس جسده. قالت لورين لنفسها وألقت برأسها إلى حافة الأريكة، وغرقت هي أيضاً في نوم عميق.

WWW.REWITY.COM

5

عند العاشرة كان آرثر ما يزال غارقاً في نومه. فركت لورين عينيها وأسرعت نحو غرفة نومه إنهض... إنها العاشرة.

تململ آرثر تحت اللحاف «لا عليكِ سأنهض حالاً كارول آن. حلمت كابوساً مزعجاً لم يترك لي مجالاً للنوم».

- إنهض، أنا لورين، لست كارول آن، إنهض لقد تجاوزَتْ الساعة العاشرة وأنت ما تزال تغط في نومك.

فتح آرثر عينيه، ونظر إلى وجهها، انتابته الدَّهشة، أحسّ وكأنه بين الحلم واليقظة.

- ماذا دهاك؟ كنت تتوقع رؤية كارول آن؟ أليس كذلك؟خاب ظنك.

أهذه أنت؟

- نعم هذه أنا من تريدني أن أكون؟ ... كارول آن؟

- إذن لم أكن أحلم ليلة أمس، بل كنت أعيش حقيقة واقعية

- أسرع .... أسرع.

- إذن لماذا لم توقظيتي عند الثامنة كما تعهدت؟

- جد آسفة. ولكن أتصدق منذ زمن طويل لم أنم بهدوء كما نمت هذه الليلة، كنت نائمة وأشعر باطمئنان لم يسبق أن شعرت

WWW.REWITY.COM

به منذ يوم الحادث. تأكد لو أنه لا مواعيد لديك لغرقنا في النوم طيلة اليوم..

لا تتكلمي معي بهذا الأسلوب الذي يستدر الشفقة. لقد سهرتني الليل بطُوله، وها أنا الآن أصحو متأخراً. هل تتكرمين بالخروج من هنا؟

فعلاً إنك جذاب، خاصة وأنت في غفوتك البريئة.

ماذ؟ أترغبين لعب دور عاطفي بإحدى المسرحيات؟

أنا؟ سامحك الله. إنهض وارتد ثيابك.

أتمنى ذلك، ولكن أتتكرمين بالخروج من هذه الغرفة حفاظاً على خصوصياتي؟

لك ما تريد. فعلاً إنك إنسان محترم ومحتشم.

تمنت له صباحاً سعيداً واختفت. نظر آرثر حوله وقال: «لورين أما تزالين هنا؟ إن كنت كذلك أرجوك أخرجي».

ما أن وقف أمام خزانة ثيابه حتى انتبه إلى أن جارته في الجهة المقابلة تراقب حركاته. أسرع وأغلق الستارة ولف جسده نصف العاري بمنشفة كبيرة. توجه إلى الحمام وهو يتمتم «لم يسبق لي أن تأخرت يوماً عن موعد عملي.ثم... مالي أقف نصف عارٍ وسط الغرفة أتكلم مع شبح؟ بحق الآلهة ماذا يجري؟».

قبل دخوله الحمام نظر في الغرفة الملحقة به: «لورين لورين هل أنت هنا؟». إلا أن أحداً لم يجبه. أحس بشيء من الغرابة، «أين هي تلك الملعونة» بعد الإنتهاء من الاستحمام عاد إلا أنه لم يجد أحداً. ما إن انتهى من ارتداء ملابسه حتى اتجه إلى المطبخ وسكب كوباً من العصير وأخذ يبحث عن مفاتيح سيارته في كل الأمكنة حتى وجدها

أخيراً في يده. خرج مسرعاً، لكنه عاد إليها ثانية يبحث عن لورين «لورين لورين أين أنتِ؟». لم يجبه أحد. أقفل الباب وأسرع نحو المرآب إلا أنه عاد وتذكر أنه ركن سيارته على الجهة الثانية من الرصيف، وما أن حاول عبور الشارع حتى التقى جارته وهي تحدق به باستهجان واستغراب. حياها بابتسامة باهتة ومضى في طريقه.

قاد سيارته ببطء، عقله منشغل فيما جرى ويتساءل «أين ذهبت؟».

وسط البهو الخارجي للشركة كان بول واقفاً ينظر إلى صديقه وعلى شفتيه ألف ابتسامة ساخرة وألف ألف سؤال. أخذ بول ينظر إلى آرثر الذي بدا وكأنه خارج من بين القبور «صباح الخير يا صديقي العزيز. أبخير أنت الآن؟ ماذا دهاك ليل أمس؟ وما بالك تأتي العمل متأخراً على غير عادتك؟ إسمع صديقي، أما تزال مأخوذاً بما جرى بينك وبين كارول آن؟ من الأفضل أن تذهب في عطلة لبضعة أيام، هكذا تستعيد حيويتك ونشاطك. أما ترى ذلك مفيداً؟».

- إسمع أرجوك بول دعني قليلاً ولا تعكر مزاجي منذ الصباح، دعك من هذا الهراء.

- هراء؟... هراء؟....

- بحق الله ماذا يجري هذا الصباح الكل ينظر إلي وكأني انسان مجنون.

- حكماً عدت والتقيت كارول آن أليس كذلك؟

- لا ألم التقِ بها. ما زلنا على خصام ولن أعود إليها مطلقاً.

WWW.REWITY.COM
RAYAHEEN
WWW.REWITY.COM

- إذن نحن أمام أمرين: إما عدت والتقيت كارول آن أو وقعت في حب جديد.

- لا هذا ولا ذاك. أغرب عن وجهي. أما ترى أنني أتيت متأخراً وعليّ انجاز عملي.

- أنا لا امزح. في مطلق الأحوال إنها الساعة الحادية عشر والربع الآن، أتعلم هذا؟ ما اسم الحبيبة الجديدة؟

- من؟

- بربك آرثر هل وقفت أمام المرآة هذا الصباح؟ هل نظرت إلى وجهك؟

- ما الأمر بول؟

- اقترب، تعال أخبرني بالتفصيل. أحلوة هي؟ شقراء أم سمراء؟ طويلة القامة أم؟

قاطعه آرثر «أم ماذا؟ ثق بي لا شيء عندي أخبرك إياه».

- واتصالك الليلي؟ من كانت تلك التي تريدني أن أكلمها؟

حدق آرثر بصديقه «إسمع يبدو أني أكثرت الأكل من ثمار البحر مساء أمس وأصابني كابوس مزعج لم يسمح لي بالنوم إلا لوقت قصير جداً. إفهمني واغرب عن وجهي».

قبل خروجه تقدم بول وربت على كتفي صديقه «أنا صديقك، أليس كذلك؟ وأنت كذلك صديقي الأوفى. أنا رهن أشارتك يمكنك إخباري بكل شيء متى شئت أن تفعل ذلك. اتفقنا؟».

- كل ما في الأمر أني لم أنم جيداً يا بول فليس هناك شيء ذو أهمية.

- حسناً حسناً. انتبه لديك موعد غداء عند الواحدة وسنلتقي في المطعم أليس كذلك؟ أو يمكنك الذهاب معي إذا أردت فأنا عائد إلى هنا بعد الغداء.

- شكراً سأذهب في سيارتي لأن لدي موعداً آخر بعد ظهر هذا اليوم.

- كما تريد.

دخل آرثر مكتبه ووضع الحقيبة على الطاولة ثم طلب من سكرتيرته مورين أن تأتيه بقهوة الصباح. أدار كرسيه ليصبح وجهه مقابل النافذة، اتكأ إلى الوراء وراح يفكر بما حدث. دقائق قليلة ودخلت مورين بقامتها الممشوقة وشعرها المتناثر على الكتفين، بيد تحمل ملفاً وبالأخرى صينية عليها فنجان القهوة والسكرية. وضعت ما بيديها على الطاولة وجلست على كرسي كانت بقربها.

- أضفت بعض الحليب إلى القهوة. أعتقد أنه الفنجان الأول لك هذا اليوم.

شكراً مورين... ولكن هل بإمكانك أن تصفي لي حالتي. أعني كيف أبدو؟

- تبدو أنك آتٍ من الجحيم.

- قد يعود هذا لعدم تناولي قهوة الصباح بعد.

- حسناً خذ بعضاً من الراحة الآن. أمامك اليوم عمل كثير. في الملف رسائل كثيرة لكن لا شيء عاجل أبداً. حدقت بوجهه وسألته

- هل أنت بخير سيد آرثر؟

- نعم بخير، إنما متعب نوعاً ما.

في هذه اللحظة بالذات دخلت لورين إلى الغرفة محاولة تفادي رؤية

WWW.REWITY.COM

آرثر لها لكنها اصطدمت بزاوية الطاولة ووقعت على السجادة عند قدميه.

- هل أصبت بأي أذى؟

- لا أبداً أنا بخير. أجابت لورين.

- ولماذا تسألني عما إذا كنت أذيت نفسي؟». قالت مورين

- لا.. لا. لست أنت المقصودة.

أجالت مورين نظرها في الغرفة فلم تجد أحداً غيرهما

- ليس هناك سوانا في الغرفة.

- فقط كنت أفكر بصوت عال.

- أكنت تفكر بي؟ وكيف لي أذية نفسي؟

- لا كنت أفكر بشخص آخر. وتفوهت بما كنت أفكر فيه. أما يحدث هذا معك أحياناً؟

جلست لورين على زاوية الطاولة محاولة استفزازه بعض الشيء «أيعقل مقارنتي بالكابوس؟ أهكذا تقول لبول إني كنت أشبه بالكابوس؟».

- أنا؟ لم أفعل. ولم أقصد أنك بمثابة الكابوس.

- يسعدني ذلك سيد آرثر ولكن الكوابيس مزعجة فعلاً ويبدو أنك تعاني من كابوس ليس مزعجاً وحسب. قالت مورين

- مورين... أنا لا أتكلم معك. أفهمت؟

- هذا يعني إما أن في الغرفة شبحاً، أم أنا عمياء لا أرى؟ ما رأيك؟ ولله الحمد لست كذلك.

- آسف جداً مورين. فعلاً أنا سخيف وأتفوه بسخافات. أنا محبط وأفكر بصوت عال.

- أقدر ذلك خاصة أنك خلال شهرين ليس أكثر، أنجزت عملاً جباراً وعليك انجاز المزيد. أنت مرهق فعلاً. عليك بالإستراحة لفترة من الوقت.

- إسمعيني مورين أنا لست مرهقاً أبداً. كل ما في الأمر أني أمضيت ليلاً مزعجاً.

- هكذا إذن؟ قالت لورين «ليل مزعج وكوابيس؟».

- توقفي عن هذا أرجوك. عليّ التركيز على ما ينتظرني من أعمال، أرجوك اصمتي ولو لدقائق.

- لكني لم أتفوه بكلمة، حتى بحرف واحد. قالت مورين.

- مورين أرجوك عودي إلى مكتبك، أرغب أن أختلي بنفسي قليلاً، سأقوم ببعض تمارين التنفس العميق وأصبح بعدها في حالة جيدة.

- تمارين الاسترخاء؟ قالت مورين «فعلاً إنك اليوم تثير اهتمامي. تصرفاتك غريبة جداً يا سيد آرثر أما ترى ذلك؟

- لا شيء يثير القلق مطلقاً. أنا بخير صدقيني أنا بخير. إنما أرجوك اتركيني الآن وحدي. لا تحولي إية مخابرة هاتفية. أرغب بالاسترخاء لبعض الوقت.

خرجت مورين من الغرفة وأغلقت الباب خلفها.

حدق آرثر بلورين «لقد جعلتني أضحوكة. إنك تضعينني في مواقف حرجة».

- أردت الإعتذار منك ليس أكثر عن عدم إيقاظي لك في الوقت المحدد. أنا أعلم أن لديك أعمالاً كثيرة، أعانك الله على انجازها.

- متأسف جداً ولكني لست بحالة نفسية جيدة.

WWW.REWITY.COM
RAYAHEEN
WWW.REWITY.COM

- دعنا لا نمضي الصباح باعتذار واحدنا إلى الآخر. فأنا أرغب بالتحدث إليك.

في هذه اللحظة بالذات دخل بول إلى مكتب آرثر:

- هل لي بالتحدث إليك؟

- ها أنت تفعل. ومتى كنت بحاجة لإذن كي تتحدث إلي يا صديقي؟

- تحدثت الآن مع مورين وأخبرتني بما سمعت وما رأت. ترى ما الذي يجري معك اليوم يا صاحبي؟

- لا شيء على الإطلاق. ولكن كما تعلم وصلت متأخراً وهذا لا يعني أني مصاب بانهيار عصبي.

- لم أقل إنك كذلك.

- لا. ولكن يبدو أني كمن خرج من بين القبور.

- يا إلهي، أنت لست كمن، بل تبدو كذلك فعلاً. يبدو أنك أمضيت ليلاً مرهقاً أليس كذلك؟

- نوعاً ما. قال آرثر محاولاً افهام بول بما جرى.

- أعلم هذا. أعلم. لا شك أن امرأة انهكتك طوال الليل؟

أومأ آرثر بحاجبيه أن نعم.

- أرأيت ليس بمقدورك إخفاء شيء عني. كنت متأكداً من ذلك، وهل أعرفها؟

- لا... لا أبداً لا تعرفها ولم تلتقِ بها من قبل ولن تلتقيها لاحقاً.

- أخبرني عنها. كيف هي حلوة؟ جذابة؟ وكيف التقيتما؟ ومن ثم لماذا لن ألتقيها لاحقاً؟

- إن أخبرتك ستعتقد أني أخدعك، أرجوك صدقني بول، ولا تقل أني أهذي. يمكنك القول إني وجدت شبحاً في شقتي. بالصدفة وجدتها في الغرفة الملحقة بالحمام، أمضيت الليلة معها، لكن والحق يقال كانت جد لطيفة. فعلاً إنها جميلة. هز آرثر كتفيه وكأنه لا يدري كيف يكمل حديثه. مع أنها عائدة من الموت، بدت وكأنها آلهة جمال، الحقيقة لم تكن ميتة ولا هي عادت إلى الحياة. حكايتها غريبة نوعاً ما، لا هي حية بكل معنى الكلمة ولا ميتة. هل توضحت لك الصورة الآن؟

حدق بول بشريكه طويلاً وهو يزم شفتيه استهجاناً.

- الحقيقة؟ يبدو أنك بحاجة لطبيب وحالاً. أعني ليس حتى بعد ساعة.

- توقف عن هذا الهراء يا بول. أؤكد لك أني بصحة جيدة جسدياً وعقليا، ونظر آرثر نحو لورين «أترين؟ لا أحد يصدقني ولا أحد يقتنع بما أقول؟».

- بماذا لا أحد يقتنع يا صاحبي؟ ومن هي هذه التي تخاطبها؟

- لم أكن أتحدث إليك يا بول.

- أكنت تتحدث إلى شبح إذن؟ وهل هو هنا معنا في هذه الغرفة؟

ابتسم آرثر وهو لا يدري ماذا يقول «إنها هي». وأضاف قائلاً «إنها تجلس على حافة الطاولة». نظر بول محدقاً في كل زاوية من زوايا الغرفة، وهو يقول «أين؟». مرر يده على طاولة المكتب شبراً شبراً، لكن يده لم تصطدم بشيء على الإطلاق.

- إصغِ إليّ آرثر، أعرف أننا نمزح كثيراً معاً ولكن يبدو جلياً أنك

WWW.REWITY.COM

الآن في حالة يرثى لها. إنك تخيفني. أما ترى نفسك؟ أما تسمع ما تقول؟ أما تعرف أنك تهذي؟

ـ أنا متعب يا صديقي. لم أنم جيداً، لذا أبدو كذلك. أقسم بالله أني لا أعاني من شيء على الإطلاق.

ـ أنت؟ أنت بحالة جيدة؟ شكلك الخارجي يستدعي الشفقة فكيف عن نفسيتك؟

ـ دعني الآن، لدي عمل كثير، أنت صديقي الوفي، ولست المعالج الروحي. انا لست بحاجة إلى أي نوع من العلاج.

طلب منه بول ألا يأتي إلى موعد الغداء مع شركة «سكوب». وإذا اقتضى الأمر فسيتولى هو وحده كل شيء «أنا على قناعة تامة أن وجودك لن يكون مفيداً بل مضراً بمصالح الشركة».

بحركة عفوية أمسك آرثر حقيبته وهم بالخروج.

ـ حسناً بول لم أعد كما عهدتني أليس كذلك؟ سأذهب الآن إلى البيت. «تعالي لورين، سنخرج من هنا».

ـ ماذا؟ ماذا؟ من التي ستذهب معك يا عزيزي؟ يبدو أنك لم تلتقِ شبحاً واحداً بل مجموعة أشباح.

ـ لا مجموعة أشباح ولا شيء من هذا القبيل. عليك أن تفهم ما رويته. أنا الآن ذاهب إلى المنزل فلربما أعود إلى النوم ولو لوقت قصير. وهكذا أرتاح.

ـ يبدو أنك فقدت صوابك نهائياً يا صاحبي.

ـ يبدو كذلك. وشكراً على اعفائي من المشاركة في غداء العمل.

WWW.REWITY.COM

تصرف وكأننا معاً أفهمت؟ سأعود غداً وتأكد أني سأكون بأفضل حال.

اقترح بول على آرثر أن يذهب برحلة استجمام لأيام عدة، وأبدى إستعداده لاستافضته في عطلة نهاية الأسبوع حتى لا يبقى وحيداً يفكر بكارول آن. شكر آرثر بول لحسن معاملته وترك الغرفة مسرعاً نحو الأدراج ومن ثم توقف ليتفقد لورين «هل أنت إلى جانبي؟».

لورين كانت تنتظره عند السيارة. نظرت إليه «أنا جد آسفة لقد تسببت لك بمشاكل كثيرة هذا اليوم إضافة إلى ليل أمس. فعلاً أنا آسفة».

ـ لا... لا تتفوهي بهكذا حماقات؟ كل ما في الأمر أنه لم يسبق لي وفعلت هذا من قبل.

ـ فعلت ماذا؟

ـ أعني لم أتغيب عن عملي أو حتى تأخرت عنه يوما.

على شرفة المكتب كان بول يراقب آرثر يتحدث إلى نفسه وهو يعبر الشارع. والذي أثار هلعه حين أقدم آرثر على فتح باب السيارة من الناحية الثانية ومن ثم عاد وأغلقه ثانية واستدار ليفتح باب السائق ويجلس خلف المقود وينظر إلى المقعد المجاور ويبدأ بالحديث. أدرك بول أن هناك شيئاً خطيراً، فهو ليس شريك آرثر وحسب بل صديق العمر من أيام الدراسة الثانوية والجامعية. ومنذ سنوات يعملان معاً ، لم يسبق أن تشاجرا يوماً، كلاهما يقدر روح الصداقة ويعي ماذا تعني. لم يسبق لبول أن رأى آرثر بمثل هذه الحالة. ظلت عينا بول تراقب آرثر وحركاته حتى داخل السيارة. واندهش

جداً حين رآه يمد يده إلى المقعد المجاور ويحرك أنامله وكأنه يداعب شعر امرأة والابتسامة على شفتيه. ضم آرثر لورين إلى صدره قليلاً. «ظن بول أنك مخبول. أشكر ربك أنه لم ينعتك بما هو مشابه أو أكثر». قالت لورين.

- ولماذا يفعل ذلك؟ أولم يكن كلامي واضحاً ومقنعاً؟

- بلا، كان واضحاً جداً. وماذا ستفعل الآن؟

- نتناول الفطور ومن ثم تخبرينني كل شيء بالتفاصيل.

من شباك غرفته كان بول ما يزال يراقب صديقه ويتعجب لحركاته ويتساءل مع من يتكلم هذا المجنون؟ أيتكلم مع انسان غير مرئي وكأنه في أحد الأفلام الخرافية. فصمم على مهاتفته عبر الخلوي وما أن رد آرثر على المكالمة حتى طلب منه ألا يبارح مكانه قبل وصوله.

- وعن ماذا ستحدثني بعد يا بول؟

- إنتظر أنا قادم إليك.

نزل بول الأدراج مسرعاً وكأنه طائر، عبر الطريق دون أخذ أية احتياطات وتقدم من باب سيارة آرثر فتحه طالباً إليه الجلوس إلى جانبه. تساءل آرثر عن السبب فقال بول «وهل تمانع أن أقود أنا؟».

- أتمزح؟ هل سنذهب في نزهة؟

- نعم.. نعم إنزل واجلس إلى جانبي»

وانطلقت السيارة بقيادة بول «آرثر هل صديقك الشبح معنا هنا في السيارة؟».

- نعم إنها على المقعد الخلفي.

توقف بول «أطلب من صديقك (كاسبر) أن يتركنا معاً لبعض

الوقت لأن لدي معك حديثاً خاصاً جداً أفهمت؟».

خرجت لورين من السيارة وتقدمت نحو آرثر وقالت «نلتقي عند النقطة الشمالية. سأكون هناك بانتظارك. وإذا تعقدت الأمور بينك وبين بول فلا ضرورة لاخباره الحقيقة أبدا».

- إنه ليس شريكي وحسب بل هو الصديق الوحيد لي في هذا العالم ولا يمكنني الكذب عليه.

- المهم قل لها أن تتركنا بعض الوقت. هناك أمور كثيرة أرغب مناقشتها معك. قال بول.

- لقد فعلت ذلك. إنما ما الذي يجري معك يا بول؟

- معي أنا؟ كل ما أريده هو التحدث إليك بأمور جد شخصية.

- عن ماذا ترغب الكلام؟

- عن الذي رأيته وسمعته اليوم. أما يكفي هذا؟

وراح بول يحاضر عليه مسترجعاً ذكريات الماضي البعيد والقريب. عن كارول آن والمشاكل بينها وبين آرثر وعجزها عن إدخال السعادة إلى حياته. إذاً فهي لا تستحق أن تكون شريكة العمر. ولكن ماذا أيضاً عن كارين؟ لماذا هجرتها هي الأخرى؟

- أنت تدري وتعلم كل العلم أن حبي لكارين كان حب المراهقة وليس حب النضوج. ومن ثم لقد مر وقت طويل على هذه الحكاية فلماذا اليوم تتكلم عنها؟

- لماذا لم تحدثني عنها؟ كانت في الخامسة عشر من العمر حين أحببتها، يعني اليوم صارت ناضجة واعية.

- إسمعني بول... إنك تثير أعصابي. فانت لم تنزل الأدراج مسرعاً، ولم تتكرم بقيادة السيارة عني بعد طردك لورين لتحدثني

WWW.REWITY.COM
RAYAHEEN
WWW.REWITY.COM

عن هذه الأمور. ومن ثم ما الذي ذكرك بكارين بيرسون الآن؟

- تقول إنك نسيتها ولكنك ما تزال تتذكر إسم عائلتها.

- أهذا هو الأمر المهم الذي كنت ترغب بمحادثتي به؟

- لا كنت سأحدثك عن كارول آن.

- لماذا؟ منذ أسبوع لم التقِ بها وحتى لم أكلمها هاتفياً ولا هي فعلت ذلك. وإذا كان هذا ما يقلقك فكن مطمئناً. وعلى فكرة ألم تلاحظ أين أصبحنا؟ لقد قطعنا معظم شوارع سان فرنسيسكو. ما الذي تريده؟ كن صريحاً.

أوقف بول السيارة أمام بناية من أربع طبقات. فصاح آرثر «بول يبدو أنك المجنون وليس أنا. صدقني قابلت شبحاً. أنا لا أكذب ولا أراوغ إنما أقول الحقيقية كل الحقيقة».

- آرثر... أعرف أنك قد تستغرب ما أنا فاعل. ولكني أتيت بك إلى عيادة طبيب نفسي.

نظر آرثر إلى وجه صديقه ومن ثم إلى لافتة على جدار البناية «أحقا؟ ما الذي تفعله بي؟ أوتعتقد أني مريض حقاً؟ لن تصدقني، أنا شخصياً لم أصدق ما حصل لكنه أصبح حقيقة لا بد من الاعتراف بها».

- ومن قال إني لا أثق بكل كلمة تقول؟ ولكن ثقتي ستزداد بعد معاينة الطبيب.

- أتريد مني الخضوع لفحوصات طبية؟

- إسمعني آرثر، يا صديقي العزيز، إذا أنا وصلت المكتب يوماً ما متأخراً وتصرفتُ كما تصرفتَ، وعلى مسمع ومرأى من مورين، وإذا وقفتَ عند النافذة تراقبني وتراني أفتح باب السيارة المخصص للركاب ومن ثم أغلقه وحين أجلس خلف المقود أمد يدي إلى المقعد

جانبي وأحرك أناملي وكأني أداعب شعر امرأة وأبدأ بالكلام مع شخص هو عملياً ليس موجوداً إلى جانبي وأتيتَ تسألني لماذا أفعل هذا، هل تقتنع مني إذا قلت أن شبح امرأة يجلس إلى جانبي وأني أحدثه ويحدثني وأضمه إلى صدري ويضمني هو أيضاً؟ بربك قل هل تصدقني؟

ابتسم آرثر ابتسامة عريضة «أتعرف يا بول؟ حين وجدتها في شقتي ظننت أنها مزحة من مزحاتك، وأنك أنتَ من أعطاها مفاتيح الشقة للتخفيف عني بعد انفصالي عن كارول آن. ولكن بعد أن تركتها تتحدث معك عبر الهاتف دون أن تتمكن أنت من سماعها ساعتئذٍ فقط صدقت كل ما قالت».

- تعال.. تعال.. لقد وصلنا. دعني أطمئن عليك يا صاحبي.

أدرك آرثر أنه لا بد من تلبية دعوة بول. فتأبط ذراعه ودخلا المركز الطبي. ما إن رآهما الممرض المناوب حتى أتى بكرسي متحرك وأجلس آرثر عليه وأمره بألا يتحرك. أما بول فقد توجه إلى الممرضة وقال «هذه الحالة طارئة أرجوك».

- أي نوع من الحالات الطارئة؟

- ذاك الذي يجلس على الكرسي المتحرك.

- ومَّ يشكو.

- صدمة دماغية.

- ماذا؟ صدمة دماغية؟ وكيف حصل ذلك؟

- الحب يا آنستي. الحب يعمي، فأعماه حتى راح يهذي ويثرثر.

ضحكت الممرضة من كلام بول، لأنها لم تفهم ما الذي يقوله. فالمريض يبدو بصحة جيدة.

WWW.REWITY.COM

ـ أرجوك نريد الدكتور بريسنيك من فضلك.

ـ المعذرة الدكتور بريسنيك ليس هنا اليوم بل في بالمستشفى. يسعدني أن أحدد موعداً ليوم غد.

صاح آرثر من على كرسيه المتحرك «ما هذه السخافات يا بول والله أنا بخير. أؤكد لك أني لا أعاني من أي مرض نفسي أو علة دماغية. أنا مرهق قليلاً لا أكثر ولا أقل.. ومعك حق يجب عليّ الإستفادة من إجازة أمضيها على شاطىء البحر، أنتقل من حديقة الى أخرى، أشتم رائحة الزهور وأتنفس هواء نقياً. هذا كل ما في الأمر إني بحاجة إلى الراحة».

نظر بول إلى آرثر والدمعة في عينيه «إسمع يا رجل. أنت تعرف كم أحبك. عدني أنك ستأتي معي غداً إلى هنا لرؤية الدكتور. أتعدني وإلا؟».

ـ أعدك. والأن سأعيدك إلى المكتب.

ـ نتكلم لاحقاً عن الموضوع. لا عليك فعليّ الذهاب إلى موعد الغداء وبإمكاني الذهاب بسيارة الأجرة. سأتصل بك ليلاً.

استقل بول سيارة أجرة، فيما آرثر قاد سيارته باتجاه النقطة الشمالية حيث تنتظره لورين.

لقد أصبح مشدوداً إلى هذه الحكاية ولبطلة الحكاية كما أنه مسرور لانغماسه فيها.

6

على جرف صخري مطل على مياه المحيط يقع مطعم سيل روك الذي تغص قاعاته بالزبائن معظم الاوقات. انهم عشاق المناظر الخلابة وهواة كرة القدم الذين بمقدورهم متابعة المباريات على شاشتي تلفزيون عملاقتين. إلى طاولة مطلة على الخليج جلس آرثر ولورين.

دقائق وأطلت صبية فارعة الطول عيناها نجلاوان شعرها أشقر متدل على الكتفين يتماوج مع نسيمات الريح ووقفت أمام آرثر «نعم سيدي كيف لي أن أخدمك؟».

كاد يطلب طعاماً لإثنين لو لم تنبهه لورين بحركة من رجلها على كاحله. مد آرثر يده وتحسس جسد لورين «إني أشعر بوجودك ».

نظرت الخادمة إليه نظرة ارتياب وشك.

ـ ماذا ؟ تشعر بماذا؟

ـ لا شيء مطلقاً لم أقل شيئاً.

ـ للتو قلت أنك تحس بوجودي.

أشاح آرثر نظره عن الخادمة ونظر إلى لورين.

ـ أرأيت أصبحت لا أفكر إلا فيك؟

WWW.REWITY.COM
RAYAHEEN
WWW.REWITY.COM

ـ يبدو أنك تتفوه بما لايليق بك. قالت الخادمة وعادت أدراجها من حيث أتت

ناداها آرثر «أرجوك عودي يا آنسة».

ـ سأبعث بزميلي بوب فلربما تتحسس وجوده أيضاً.

وجاء بوب. وقف أمام آرثر وقفة تحدٍ وقال «هل لي معرفة كيف أخدمك؟».

لم يستغرب آرثر لا وقفة النادل ولا أسلوب حديثه، فرد عليه بالمثل، أخذ يرمقه بطرف عينيه ويحرّك شفتيه حيناً وعينيه حيناً آخر. وبدلاً من أن يقول ماذا يريد شرع يضع إصبعه على نوع الطعام في اللائحة ويقول: من هذا ومن هذا الخ، بلهجة غريبة.

«حسناً سيدي دقائق ويكون لك ما تريد». قال النادل واستدار ليعود من حيث أتى، إنما مسترقاً السمع وملتفتاً إليه خلسة.

ـ والآن أخبريني عن كل شيء من البداية حتى النهاية.

تسمر بوب مكانه «ترى مع من يتكلم هذا؟ لا يوجد أحد إلى جانبه إذن بيد من يمسك؟ لا شك أن فيه مسّاً من الجنون».

تداركت لورين الأمر ونصحته التظاهر وكأنه يتحدث على الخلوي وإلا سيُقذف به خارجاً. أجال آرثر النظر حوله فرأى الزبائن يرمقونه بنظرات الريبة والشك، أمسك الهاتف وطلب رقماً وهمياً وصاح بصوت مسموع «آلو» فتنفس الزبائن الصعداء وعادوا إلى تناول طعامهم.

«سألتني أن أخبرك كل شيء» قالت لورين. حسناً لك ما تريد.

أنا شخصياً لا أعرف كيف ولماذا انفصلت عن جسدي.. لكنه شيء رائع أن تجد نفسك تتحرك بحرية لا حدود لها، غير مبال بما ترتدي ولا بتسريحة الشعر أو المكياج وما شابه. لا خط فاصلاً بين الممنوع والمسموح. لا تعود بحاجة إلى النقود أو إلى الوقوف في الطابور أمام شباك تذاكر السينما أو المسرح. جاء بوب وقدم الأطباق لآرثر وهي تتابع حديثها.

ـ أرأيت كيف أنا أحدثك وأنت وحدك تسمعني؟ المهم تابع لعبة التحدث على الخلوي حتى يختفي النادل من أمامنا.

ـ بعد انفصال روحي عن جسدي، صرت قادرة على انتهاك خصوصيات الآخرين. أدخل أماكن لا يحق لي دخولها، أرى ما لا يحق رؤيته. أسمع ما يحرص قائلوه على إبقائه سراً دفيناً. قل إني أدخل مكاتب الوزراء وكبار أعضاء مجلس الشيوخ أو النواب، أستمع إلى أحاديثهم الخاصة مع عشيقاتهم اللواتي هن سكريتراتهم في أغلب الأحيان . كذلك استمع إلى مناقشات سرية في السياسة المحلية والدولية والاقتصاد وشتى المجالات.

ـ سافرت إلى واشنطن العاصمة، على متن طائرة الرئاسة. دخلت مكتب وزير الدفاع ورئيس جهاز الأمن القومي وهو يمارس الجنس مع إحدى موظفاته. قمت برحلة جوية على متن طائرة حربية. دخلت مراكز الأبحاث العلمية العسكرية منها والطبية.. رأيت اللصوص يسرقون وينهبون. دخلت مخادع العشاق وكبار ممثلي وممثلات هوليود أمثال ريتشارد غير وتوم كروز وجولي اندرز وشيرون ستون. رأيت كبار المخرجين يضاجعون الفتيات الراغبات

WWW.REWITY.COM

بالوصول إلى النجومية. أتدري آرثر؟ إن الحياة الخاصة لكبار رجالات هذا البلد، سياسيين كانوا علماء أو مفكرين، تختلف جداً عن حياتهم العامة إن لم تتناقض معها.

تخيل فلانا من الناس لا يستثار جسدياً إلا بعد جلده على قفاه ويعامل وكأنه أحقر البشر.

قاطعها آرثر «ما هذا الذي تقولينه؟».

تابعت لورين «نعم آرثر وغيره الكثيرون، تراهم عظماء ولكنهم أحقر البشر، وآخرون تحتقرهم إلا أنهم يستحقون التكريم والتبجيل».

- وماذا عن ريتشارد غير وتوم كروز؟

- تباً لك آرثر، أعتقدت ستسألني عن شارون ستون أو سلمى حايك. وماذا تقصد بسؤالك هذا؟

- تعرفين ما أقصد.

إن كنت تقصد ممارستي الجنس معهما فهذا لم يحصل أبداً. أنا غير مرئية ولا أحد يسمعني أو يراني إلاك، أما إذا كنت تقصد غير ذلك، فنعم، رأيتهما يمارسان الجنس مع أشهر ممثلات هوليود وحتى مع فتيات الهوى. رأيت غيرهما يضاجع نساء كبار رجالات المجتمع أو عضوات في مجلس الشيوخ. آرثر حالتي هذه سمحت لي باكتشاف حقارة البشر وتفاهاتهم.

أخبرته عن أشياء وأشياء. كل شيء كان في متناول يدها، وفي الوقت ذاته ليست قادرة على فعل شيء. أخبرته أنها افتقدت الجلوس مع أصدقائها والتحدث إليهم، وكيف كان هؤلاء يأتون لعيادتها يومياً في

المستشفى بعيون دامعة، إنما ومع مرور الأيام نادراً ما عادوا يفعلون. حتى زملاؤها صاروا يدخلون غرفتها لا كزملاء بل كأطباء.

- دعك من هذا كله. هناك أمر ماساوي جداً، هو قلقي على أمي التي منذ يوم الحادث حتى اليوم، تأتي كل صباح إلى المستشفى، وتجلس جانب جسدي غير القادر على الحركة، الدمعة لا تفارق عينيها لا ليل ولا نهار. أسمعها تتضرع إلى لله أن ينهي عذاباتي، أن يعيدني إليها، وإن كان غير راغب في ذلك فلتكن مشيئته. أراها هكذا، أسمع كل كلمة تقولها، وأنا عاجزة عن تخفيف ألمها النفسي الذي هو أشد وأبشع الآلام على الإطلاق. نعم، أنا التي حين تخرجت من كلية الطب انحنيت أمام الجميع وقبلت يدها وأقسمت أن أعوضها عن العمر الذي فات وهي تتعب وتشقى من أجلي. كثيراً ما رغبت في ضمها إلى صدري وتقبيل يديها من جديد وكفكفة دموعها، كثيراً ما رغبت في تمرير يدي على جبهتها أو على وجنتيها، لكن التمني شيء والحقيقة شيء آخر. أتعرف؟ هذا هو عذاب المطهر الذي يتحدث عنه الكتاب المقدس. أنا لست ميتة ولست حية.

- أرأيتِ تلك الأنوار والأضواء التي يتحدث عنها أولئك الذين يدعون أنهم عادوا إلى الحياة بعد الوفاة؟

- لا... كل ما أعرفه أني فجأة وجدت روحي خارج جسدي.

- أتؤمنين بالله؟

- الحقيقة أني لم أكن يوماً متمسكة بأهداب الدين. إنما اليوم وأنا بحالتي هذه بدأت أعود إلى الإيمان. ثق، كنت أهزأ من الذين يتحدثون عن الأشباح، وها أنا اليوم شبح.

WWW.REWITY.COM
RAYAHEEN
WWW.REWITY.COM

- حتى ولا أنا.

- ألم تكن تؤمن بوجود الأشباح؟

- أنت لست شبحاً يا لورين.

- أنا، لست شبحاً؟

- نعم لست شبحاً. أنت قلب ينبض في مكان، هو هناك على السرير في مستشفى سان فرنسيسكو التذكاري، فيما روحك تحيا في مكان آخر. لقد انفصلا مؤقتاً. قد تستغربين كلامي؟ علينا بعد اليوم التعرف إلى سبب حدوث ما حدث ومعرفة كيف نعود ونوحد بينهما، بين القلب والروح.

- أتعتقد أن هناك طلاقاً بين القلب والروح؟

أصبح آرثر بحيرة من أمره، لا يدري ماذا يقول أو يفعل. تملكته رغبة المساعدة على إخراجها مما هي فيه «علينا جمع معلومات وافية عن الموضوع، عن كيف يمكننا إعادة التوحيد بين الروح والقلب، وإلا لن تخرجي من الغيبوبة التي أنتِ فيها. أعتقد أنكِ كطبيبة يمكنك مساعدتي».

وجد آرثر نفسه مهتماً بالقضية وقرر التركيز على أولئك الذي أمضوا فترات طويلة في حالة الغيبوبة وعلى ما جاء الكتب التي تتحدث عن ما بعد الموت، حتى الأمس كان يهزأ من كل هذه الكتب ويعتبرها حماقات بحماقات «علينا توثيق هذه المعلومات لنرى إلى أي مدى يمكننا الاستفادة منها».

نظرت إليه مستغربة «ولماذا ستفعل كل هذا؟».

- لأنه ليس بمقدورك أنت فعله.

- أجبني هل تعي التعقيدات والصعوبات التي قد تواجهك؟ وكم من الوقت سيستغرق هذا العمل؟ هل تعلم أن لديك أعمالك الخاصة وأنها قد تتأثر بما ستقوم به؟

- في البدء سألتني المساعدة والآن ترفضينها. من أنتِ؟ سيدة المتناقضات؟

- لا أنكر أني طلبت منك المساعدة، غير أن الأمور صارت الآن أوضح بالنسبة إلي. أما ترى كيف ينظر الناس إليك وكأنك مخبول أو أهبل؟ هل تعتقد أنهم سيسمحون لك الجلوس في هذا المطعم بعد اليوم؟

- في هذه المدينة آلاف المطاعم والمتنزهات.

- أنت إنسان رائع يا آرثر. لكن أخشى أن تتخلى عن واقعيتك.

- لم أقصد جرح شعورك، لكنك أنت الآن في وضع يضطر الآخرون للتخلي عن واقعيتهم وموضوعيتهم والتعاطف معك.

- لا تتلاعب بالكلمات ولا تحاول التودد إليّ. فأنت لن تكون قادراً على تشخيص ما أنا فيه.

- هذا أمر لا يناقش في مطعم، أتمنى عليك الصمت لدقيقة واحدة.

نظر آرثر إلى عينيها وأمسك هاتفه مجدداً وطلب بول وشكره على اهتمامه به، وأوحى أنه فعلاً كان في حالة نفسية يرثى لها،

WWW.REWITY.COM

ولهذا السبب بدأ يفكر بإجازة، ليس لمدة أسبوع واحد وحسب، بل لمدة شهر أيضاً. «كما اقترحت مورين يمكنك انجاز المشروع الذي كنا سننجزه سوية» وأعطاه كل المعلومات التي يمتلكها عنه وأخبره أنه لن يذهب إلى أي مكان، بل سيبقى في المنزل وسيبقى على اتصال به.

بعد الإنتهاء من المكالمة قال:

- أترين أصبحت الآن حراً لمدة شهر، علينا خلاله بداية البحث والتقصي عن كل ما يتعلق بالموضوع.

- ما الذي تغير بين الليلة الماضية والآن؟ أمس كنت لا تصدق أية كلمة أقول واليوم تتخلى عن التزاماتك العملية رغبة في مساعدتي هل لي أن أعرف لماذا؟

ابتسمت لورين وتقدمت من زاوية الطاولة وأمسكت يده. في هذه اللحظة وصل بوب وبيده الفاتورة، لكنه وقف مشدوها مما يرى «فعلاً إنه لزبون غريب فيه مس من الجنون». أراد آرثر إخافته ففتح عينيه ومد لسانه وهو ينقده الحساب فتراجع النادل إلى الوراء وولى هارباً.

- تعالي لورين تعالي. فلنذهب من هنا.

في طريق العودة إلى الشقة ناقشا خطة البحث عن المعلومات وكيفية الوصول إليها.

7

فور وصوله إلى البيت، شرع آرثر بالبحث عبر الانترينت عن الأبواب التي قد توصله إلى مبتغاه. الخطوة الأولى كانت بالدخول إلى أبواب المستشفيات المتخصصة بمعالجة الأمراض الدماغية المتعلقة بالجهاز العصبي. هكذا وصل إلى بحث أعده الدكتور سيلفرستون يقسم فيه حالات الغيبوبة إلى درجات أربع حسب خطورة كل حالة، فتبين أن حالة لورين هي من الدرجة الرابعة، أي الحالة الميؤوس من شفائها. لم يقتنع بما قرأ، فبحث في مكان آخر عله يجد ما يناقض أقوال الدكتور سيلفرستون، لكنه عبثاً كان يبحث.

أخيراً رأى ضرورة جمع المزيد من المعلومات والأبحاث والوثائق وشهادات أناس أحياء وصمم على توثيقها وتصنيفها بطريقة علمية، وهكذا كان عليه تقسيم المعلومات إلى أقسام وفصول.

أخذه الجوع فطلب قطعتي بيتزا وقنينتي بيرة، وأبدى رغبة قوية في متابعة البحث وقراءة كل ما يقع بين يديه. سألته لورين «لماذا تفعل كل هذا؟». فكان جوابه واضحاً وصريحاً «بغض النظر عن رغبتي في مساعدة انسان غيّر مجرى حياتي خلال وقت قصير، فإني أفعل هذا من باب الحشرية والفضول».. وعاد إلى طاولته يوثق ما

WWW.REWITY.COM

تجمع لديه، يضع الهوامش ويسطر تحت ما هو مهم برأيه على الأقل. أما لورين فقد كانت تفسر له بعض الاصطلاحات العلمية والطبية منها بشكل خاص.

بعد يومين من الجهد والتعب تمكن آرثر من جمع معلومات تعتبر غاية في الأهمية في محاولة إيجاد حل للغز اسمه الغيبوبة. بعد يومين كاملين لم يصل إلا إلى نتيجة واحدة: رغم تقدم الطب وتطوره، فما تزال الغيبوبة لغزاً مستعصياً،يصعب حله قبل سنوات طويلة. أحس بالنعاس فألقى بنفسه على السجادة في غرفة الجلوس وغرق في النوم.

جلست لورين إلى الطاولة وأخذت تراجع ما تجمع، فاستغربت أمراً يحدث لها، ألا وهو أن الورقة تتحرك تحت أصابعها وبذات الإتجاه، اتجهت نحو آرثر فوجدته في نوم عميق، تمددت إلى جانبه وأخذت تلاعب شعره فرأت الشعر أيضاً يتأثر بحركة أناملها، أدركت أن يدها تنتج حقلاً مغناطيسياً يؤثر على الأشياء الأخرى. بعد ساعات سبع استفاق آرثر فوجد لورين منكبة على مراجعة الأوراق والوثائق.

فرك عينيه وبادلها الإبتسامات

ـ لماذا لم تذهب إلى سريرك يا عزيزي؟ لكنت نمت أفضل. كنت أرغب بإيقاظك لتنام على السرير لكني وجدتك تغط في نوم عميق.

ـ وهل أمضيت الليل هنا إلى جانبي؟

ـ نعم لقد فعلت. وجودك إلى جانبي يمنحني الإطمئنان يشعرني إني ما زلت حية؟

صب آرثر فنجان قهوة، وعاد مباشرة للانكباب على العمل،

لكنها تمنّت عليه ألا يفعل «اسمعني آرثر، أنت فعلاً انسان نبيل، وأشكر لك اهتمامك بي، وأقدر ما تقوم به، ولكن هذا مضيعة للوقت، فأنت لست طبيباً وليس لديك أية ثقافة طبية، وأنا طبيبة حديثة التخرج، وإذا كان كبار الأطباء عجزوا عن تفسير سر الغيبوبة، فهل نحن ـ أنت وأنا ـ سنتمكن من ذلك؟».

ـ حسناً، هل لديك حل آخر؟

ـ أعتقد أن عليك شرب قهوتك أولاً، ثم الإستحمام، ومن ثم نتنزه سوية لبعض الوقت. إذ ليس من المفروض أن تعزل نفسك في شقتك لمجرد أنك تستضيف شبحاً...

وافق آرثر على شرب القهوة، وتمنى عليها ألا تقول كلمة شبح نهائياً. لأنها تشبه كل شيء باستثناء الشبح، فسألته تفسيراً لمعنى كلامه «كل شيء». فرفض الإستجابة لطلبها، قائلاً «أخشى البوح بمشاعري لئلا تعتقدين أني أخدعك».

رفعت لورين حاجبيها متسائلة «وماذا تعني؟». رجاها نسيان كل ما قال، لكنها لم تأبه لرجائه. تقدمت منه وضعت يديها على أردافه ووقفت أمامه وجهاً لوجه وأعادت السؤال ماذا تعني؟».

ـ قلت إنسي ذلك لورين.. كل ما أعنيه هو أنك لست شبحا.

ـ وماذا أنا إذن؟

ـ امرأة.. امرأة جذابة.. دعيني أستحم الآن.

ترك الغرفة دون الإلتفات إلى الوراء، لم يعد قادراً على تجاهل حقيقة أن وجودها يشعره بالسعادة، وأنها إمرأة رائعة الجمال، مرحة، مفعمة بالحياة والحيوية. إنها تشغل باله. لكنه أراد إبعاد كل هذه الأفكار عن رأسه والشعور بلذة الاستحمام.

WWW.REWITY.COM
RAYAHEEN
WWW.REWITY.COM

بعد نصف ساعة، عاد وهو يرتدي سروال جينز وقميصاً حريرياً، وأبدى رغبته في تناول شرائح اللحم المشوي.

- إنها ما تزال العاشرة صباحا. قالت لورين.

- لكنه وقت الغداء في نيويورك، ووقت العشاء في لندن.

- نعم، لكننا لسنا في نيويورك ولا في لندن، إننا هنا في سان فرنسيسكو.

- هذا لن يغير شيئاً، ولن يحول دون رغبتي في شرائح اللحم المشوي.

- لست أدري ماذا أقول، أعتقد أن عليك العودة إلى حياتك الطبيعية، أنت ما تزال في مقتبل العمر، وجهك يشع نضارة، فلماذا لا تعود إلى عيش حياتك العملية والشخصية، وتأكد سأزوك كل يوم بعد انتهائك من العمل.

- لا تحولي حياتي إلى مأساة الآن.. بكل بساطة، إني الآن في إجازة، لدي عمل، أتوق لإنجازه.

لكنها ألحت أن كل هذا لن يجدي نفعاً. فالتفت إليها غاضباً «شيء رائع... شيء رائع أن يتكلم طبيب بهذه الطريقة. تعرفين أن لا شيء مستحيلاً تحت قرص الشمس، وأن ما أسعى إلى تحقيقه هو أسمى بكثير مما تعتقدين».

- فقط لأني طبيبة، أرى الأمور أوضح مما تراها، وأرى أن لوقتك ثمناً عليك ألا تقوم بإهداره، وأنك لست مجبراً على فعل ما تفعل، فأنا ليس لدي ما أعطيك إياه، وليس بمقدوري مشاركتك الحب، حتى أني عاجزة عن تقديم فنجان قهوة لك.

- أحقاً... إذا كنت عاجزة عن إعداد فنجان قهوة، فهذا يعني أن

لا أمل في المستقبل... أنا لا أفعل شيئاً إكراماً لك، بل من أجلي أنا، أنا لم أتوسل لله أن يرسلك إليّ وأن أجدك في هذه الشقة، أو اي مكان آخر، بل هو القدر الذي جمعنا، وأنا الوحيد ولا أحد سواي قادر على تقديم يد المساعدة. إنها إرادة أقوى مني ومنك. لا أحد غيري يراك، لا أحد غيري يسمعك، لا أحد غيري يبادلك أطراف الحديث، لا أحد غيري قادر على لمس جسدك فكيف تسأليني تجاهل كل هذا؟

في أعماق نفسه كان مقتنعاً. أنها على حق، وأنه انغمس كثيراً في الفرضية، رغم معرفته التامة أن هذا العمل محفوف بالمخاطر.

- قد نكون فعلاً في عملنا متجهين إلى هدر الوقت، إنما في الوقت ذاته ليس لدينا ما نفعله لإعادة التوحد بين جسدك وروحك، وأنا شخصياً عقدت العزم على ذلك، لقد غيرتِ حياتي رأساً على عقب،... ليس لديه خيار آخر، إنها بوضع حرج جداً، وهو الوحيد القادر على محاولة إخراجها منه.

- إن ما أقوم به، هو ما تقوم به الشعوب المتحضرة التواقة إلى التقدم دون تفكير ودون اهتمام بما سيعترضها من مخاطر.. وكما تعلمين، أن العطاء الحقيقي لا يكمن في أن تعطي شيئاً مما لديك الكثير منه بل أن تعطي مما لا تملك منه إلا ما أنت بحاجة إليه، هكذا يكون للعطاء قيمة.. وأرجوك تصديقي فيما أقول كما صدقتك؟».

- إسمعي لورين، عليك الوثوق، أني أساعدك ليس إكراماً لك، بل تحقيقاً لذاتي.. وما قبولك بهذه المساعدة إلا تعبيراً على رغبتك باستعادة حياتك.. أعرف أنكِ في سباق مع الوقت، وأنكِ تشبهيني بمن ينقد دولاراً لمتسول، فلا هو أفقر المحسن ولا أغنى الثاني، العطاء

WWW.REWITY.COM

الحقيقي ليس في أن تعطي ما أنت لست بحاجة إليه بل ما أنت بحاجة إليه. لو جلسنا نتلهى بشرب القهوة أو كأس خمر، أو أمضينا الوقت نقارن الأشياء ببعضها، وبين إمكانية الفشل وإمكانية النجاح، لو فعلنا ذلك، دون البدء بالعمل الحقيقي، نكون في طريقنا إلى هدر الوقت. علينا السعي، وإن كان مقدر لك أن تموتي فستموتين، ولكن لا يمكن أن نسمح للقدر أن يتحكم بنا، من يدري، فقد نتمكن من التغلب عليه؛ ولو كان كل العلماء قد استسلموا للقدر، لما وصلنا إلى ما نحن عليه من تقدم ورقي، ولما كان الإنسان ينعم بهذه الرفاهية؟ أنا هنا لأمد يد العون، ليس أكثر.

- أرجوك لورين امنحيني القوة للاستمرار فيما أنا عازم عليه، إن لم يكن من أجلك، فمن أجل الذين هم في مثل وضعك أو الذين سيكونون كذلك فيما بعد...

- أتعرف آرثر، كان يجب أن تكون محاميا. قالت هذا ومدت يدها لتشد على يده «لنستمر، فلا حل آخر أمامنا».

- الحقيقة، كان يجب أن أكون طبيباً.

- ولماذا لم تكن كذلك؟

- لأني فقدت أمي في سن مبكرة.

- كم كان عمرك؟

- كنت صغيراً جداً. دعينا من هذا الموضوع أرجوك لورين.

- قد يكون من المفيد أن نتحدث به.

تراءى لآرثر أن لورين ليست طبيبة بل محللة نفسية. كان لا يرغب بالتحدث عن وفاة والدته، لأن ذلك يؤلمه كثيراً. توفيت وهو ما يزال في سن مبكرة، أما والده فقد توفي قبل ذلك. «دعي الماضي

للماضي. أنا اليوم مهندس ولست طبيباً. أحب عملي وكذلك الذين أتعامل معهم».

توقعت لورين أن يكمل حديثه لكنه لم يفعل، بل انتقل إلى موضوع آخر مغاير كلياً. «ما أزال جائعاً جداً، وما دمنا لسنا في لندن، وليس الآن الوقت المناسب لتناول شرائح اللحم المشوي، لذلك سأعد بعضاً من البيض والجبنة».

- ومن اعتنى بك بعد وفاة والديك؟

- وإذا قلت لا أرغب بالإجابة؟

- ليس هماً، ولكني وددت الإطلاع على طفولتك حتى أعرف لماذا أنت اليوم تتمتع بهذه القدرة.

- أية قدرة تعنين؟

- قدرة التخلي عن كل شيء للإهتمام بطيف إمرأة لم تكد تتعرف عليها.. فعلاً إني قلقة.

- إسمعي.. ليس عندي ما أخفيه، ماضيّ هو ماضي. إنه الماضي لا أكثر ولا أقل.

- أردت أن أعرف من أنت، إنما يبدو أن...

- يبدو ماذا؟ تأكدي أنه لك الحق بمعرفة كل شيء، ولكن الذي تسألينني عنه، هو الماضي وليس أنا... أفهمت؟

- فعلاً. معك حق. إنك الإنسان الوحيد الذي لا يتأثر بماضيه ولا تأثير له على شخصيته.

- تتكلمين وكأنك محامية.

- ولكنني طبيبة.

دون أن يتفوه بأية كلمة، نهض واتجه نحو المطبخ. بينما بقيت

WWW.REWITY.COM

هي قرب الحاسوب تفكر بطفولة آرثر الذي عاد ليتابع عملية البحث والتوثيق.

دون أن تلتفت إليه قالت «كم امرأة أحببت في حياتك؟».

- وهل على المرء أن يفعل ذلك؟

- لا... إنما من هو في ضعك يكون قلبه تنقل بين العديدات.

- حسناً، أحببت ثلاث مرات، الأولى وأنا في المراهقة، والثانية في عمر الصبا والشباب، أما الثالثة فكانت بعد أن تخطيت ذاك العمر».

صدمت لورين بجوابه الغامض، إذ كانت تهدف من أسئلتها أن تعرف لماذا انقطعت علاقته بكارول آن، فكان الجواب أنه لربما بسبب الاختلاف في وجهات النظر حول الحياة ومفهوم الحب.

فسألته «هل أنت إنسان غيور؟».

- لم أقصد ذلك، بل عنيت أني إنسان ناضج وواعٍ. علمتني أمي أشياء كثيرة عن الحب الحقيقي، عن الحب المثالي، علمتني أشياء نفتقدها جداً هذه الأيام.

- لماذا؟

- ربما لأني اتطلع إلى ما هو أبعد من الهوى...

- أتعني في تصرفات المرأة؟

- لا أبداً، في تصرفي أنا كذلك.

- وكيف ذلك؟ إيمكنك أن تكون أكثر وضوحاً؟.

لم يستجب لطلبها لئلا يبدو رجعياً في أفكاره وسخيفاً. ألحت

بالتساؤل، فأدرك أنه لا بد من قول شيء ما يوضح لها شخصيته ورؤيته للحياة.

- تخيلي السعادة أشبه بزهرة مشلوحة عند قدميك، وأنت تمتلكين الإرادة والقدرة على الانحناء لقطفها والاهتمام بها، هذا هو القلب العاقل الواعي. فالذكاء دون قلب يصبح أشبه بمقولة غير منطقية.

- ولهذا السبب تركتك كارول آن؟

لم يجب آرثر على تساؤلها.

- حتى اليوم ما تزال تعاني.. أولم تنسها بعد؟

- بلى، لم أعد أشكو من أية معاناة.

- أيعني هذا أنك ما أحببتها يوماً؟

- كثيرون يعتقدون أن الاستمرار في التعايش مع الآخرين ومشاركتهم الحياة اليومية، قد يؤدي إلى الملل والضجر. وأنا لا أؤمن بحتمية هذه النظرية.

- وبما تؤمن إذن؟

- أؤمن، أن تقاسم الحياة اليومية مع شخص آخر هو التربة الصالحة لنمو زهور المحبة والحنان. هذا إذا أحسنا التصرف، وعرفنا كيف نشتم هذه الزهور. وإلا نكون كمن يشيح عينيه عن أضواء قوس قزح أو يقارن بين السمو والحقارة.

بالنسبة إليه لا شيء أروع من جعل الحب يكبر ويكبر كل لحظة، ولا شيء أروع من أن يكون الجنس تعبيراً عن تأجج عواطف ومشاعر، ولكن كيف يكون هذا ونحن مشدودون إلى الأوهام؟ باعتقادي لا شيء أروع من أن تبقى طفولة الإنسان في

WWW.REWITY.COM

داخله، وما الغرابة في التجانس بين الطفولة وأحلام الشباب؟

- أهذا ما علمتك إياه الحياة؟

- ليس تماماً... كنت أتمنى ذلك. قال بتردد «ولكن ماذا عنك، أما عرفت الحب سابقاً؟

- أتعرف أحداً لم يقع في الحب؟ أترغب أن تعرف إذا كنت أحببت انساناً ما؟ لا... حسناً، نعم ولا.

- ومن هو؟

- إنه في الثامنة والثلاثين من العمر، بهي الطلعة، لا يعرف الاستقرار في مكان واحد، أناني نوعاً ما.. الرجل المثالي...

- وماذا بعد؟

- كان أبعد الناس عن الحب الذي تتكلم عنه، بآلاف السنوات الضوئية.

- أخبريني عنه.

- وماذا أقول؟ أمضينا معاً أربع سنوات، أربع سنوات عاصفة، تخاصمنا خلالها كثيراً ولكننا نعود ونتصافى دون زوال أسباب الخلاف، وكأننا قطع تلك اللعبة التي يتسلى الصغار والكبار بتركيبها ومن ثم تفكيكها لتركب من جديد. كان رجلاً أنانياً، لا يهتم إلا بإشباع الجسد. إنه شهواني.

- وهل أنت كذلك؟

نظرت إليه نظرة من يقول كم هو سخيف هذا السؤال، وفي هذه الظروف بالذات.

- أما ترغبين بالإجابة؟

- حتى ولا أفكر بذلك.. انقطعت علاقتنا قبل الحادث بستة شهور،

وهذا من حسن حظه، وإلا فكان مجبراً على الوقوف إلى جانبي في محنتي هذه.

- هل اشتقتِ إليه؟

- في البداية نعم.

كثيرون هم الذين كلما تقدمت بهم السن، أصبحوا أكثر واقعية وتخلوا عن مثاليتهم، أما لورين، فهي نقيض هؤلاء، فكلما تقدمت بها السن أصبحت أكثر مثالية.

- برأيي، لا ضرورة مطلقاً أن يتعايش حبيبان، طالما هما غير مستعدين بعد للعطاء، طالما يفكر كل واحد منهما بنفسه وينسى الآخر. وطالما أن هناك عدم استعداد للعطاء والتخلي عن الأنانية، فمن الجنون اعتبار أن لهذه العلاقة معنى وقيمة. السعادة ليس في أن تأخذ فقط بل في أن تعطي وتأخذ، أنا أعطيت قبل أن آخذ، ولسوء حظي تعاملت مع إنسان أناني، معقد، همه الأوحد اقتناص الفرص لتحقيق أمانيه وأحلامه.

- الحقيقة، أن يوماً سيأتي، نجد أنفسنا مجبرين على مواجهة الواقع ونكون مجبرين على تحديد خياراتنا الحياتية.

اعتقد آرثر أن لورين تتخذ المنحى الجدي في الحياة. لكن لورين تابعت تقول «لقد انجذبت إلى الرجل الذي يعتبر نقيضاً لي في فهم الحب والحياة، إلى رجل يستحيل عليه أن يكون سبب سعادتي. هذا كل الذي حصل معي».

ارتسمت على شفتيه ابتسامة عريضة، أمسك بيدها «تعالي معي إلى حيث نتنشق الهواء النقي.. كلانا متعب.. وكلانا بحاجة لنزهة ولو لوقت قصير».

WWW.REWITY.COM

وانطلقا باتجاه الخليج. الصمت سيد الموقف، لا هو تكلم، ولا هي كل كان سارحاً مع أفكاره وتخيلاته وذكرياته وأحلامه المستقبلية. كان يوم عمل مضنٍ، وها هما الآن يعيشان لحظة الاسترخاء الجسدي والصفاء الذهني.

عند الشاطىء أوقف السيارة وترجل منها ليفتح الباب للورين ويدعوها للنزول دون أن يقول شيئاً. وما إن أصبحا خارج السيارة يراقبان المياه في مدها وجزرها، حتى كسر آرثر جدار الصمت «أحب منظر المياه».

لم تتفوه لورين بأية كلمة. كانت تحدق في الأفق البعيد، تحاول رؤية ما ليس للعين قدرة على رؤيته. كل ما فعلته هو شبك يدها بيده «إنك مختلف عن الرجال الآخرين».

- بماذا أختلف عنهم، وهل من شيء يزعجك؟

- لا.. لا شيء أبداً. إنك لا تزعجني، ولكنك تختلف عن الرجال الذين عرفتهم.

- فعلاً وكيف؟

- أنت غامض نوعاً ما.

- وهل هذا عيب؟

- لا...لكنه أمر غير طبيعي، ألا تعترضك أية معضلة؟

- أنا لا آبه للمعضلات، لأن لكل واحدة حلاً... لا شيء عندي أخفيه: لا سيئات ولا حسنات، حتى ولا أسرار. صدقيني أنا إنسان عادي، وسيئاتي لا تحصى.

كان سعيداً لقول هذا، هذا ما أعتقدته لورين على الأقل التي قالت «أنا لست جزءاً من نظام معين، أنا ضد هذه الفكرة، أرى

الناس الذين أحب رؤيتهم، وأذهب حيث يحلو لي، وأقرأ الكتاب الذي قد يفيدني وليس لأنه من الكتب الأكثر مبيعاً. هذه هي حياتي، ولست مستعدة لإزعاج نفسي بتحليل كل أمر أواجهه».

في زاوية دافئة في أحد الفنادق، استكمل آرثر ولورين حديثهما وبينما كانت عيناه تجولان في الصالة، قال «أحب هكذا أمكنة». لفت نظره طفل في حدود السابعة أو الثامنة من العمر يتكيء على صدر أمه التي تحمل كتاباً، وتشرح له محتوياته. وجنتاه موردتان وكأنهما شمسان صغيرتان، ابتسامته مشعة ساحرة.

- إلام تنظر؟. قالت لورين.

- إلى ذاك الطفل. وأشار بيده إليه «أنظري كم هو بهي الطلعة، إنه منغمس في عالم الطفولة».

- لا شك أنه يجعلك تسترجع ذكرياتك.

ابتسم آرثر دون أن يجيب

- ولا شك أيضاً أن علاقتك بوالدتك كان جد حميمة.

- إن أغرب الأشياء في حياتي، هي يوم رحيل أمي، لم أرَ النباتات تذوي، ولا السيارات توقفت عن حركتها، ولا الناس امتنعت عن عبور الشارع والتجوال، وكأنهم لا يدرون أني اليوم فقدت عالمي الخاص. لا يدرون أن أمي قد رحلت. فكيف لا شيء يتغير حولي؟... حين كانت تأخذني بين ذراعيها، كنت أشعر بالعالم كله ملكي، وليس بمقدور أحد أن يزعجني، حتى ولا ناظر المدرسة القبيح المنظر، ولا السيدة مورتون أستاذة العلوم وهي توبخني لعدم اتمامي واجباتي المدرسية، سأوضح لك لماذا أنا غامض نوعاً ما كما تقولين. علمتني والدتي التركيز على ما هو جوهري وأساسي، وغض النظر عما هو

WWW.REWITY.COM
RAYAHEEN
WWW.REWITY.COM

غير ذلك. واليوم نحن أمام أمر جوهري وأساسي، وعلينا عدم الاستسلام... هيا بنا لورين، إن عملاً شاقاً ينتظرنا».

قبيل الوصول إلى السيارة، تقدمت لورين من آرثر وقبلته على خده.

ـ شكراً لك ... شكراً على كل شيء آرثر.

نظر آرثر مندهشاً، ووجنتاه محمرتان خجلاً، ابتسم وأمسك يدها ومضيا معاً.

8

أمضى نحواً من أسبوعين يتردد إلى المكتبة العامة التابعة لبلدية سان فرنسيسكو التي تحتوي آلاف الكتب عن كل موضوع، ولكل موضوع قاعته الخاصة. ينقب بالكتب الطبية، المتعلقة بالغيبوبة والصدمة الدماغية، عما يمكن أن يوصله، لا إلى كيفية مساعدة لورين وحسب، مع أنها هي الهدف، بل والإنسانية جمعاء.

كان يمضي نهاراته يقرأ ويدوّن، ومن ثم يوثق المعلومات التي برأيه ـ على الأقل ـ قد تكون مفيدة.

عند كل صباح كان يجلس إلى الطاولة رقم 48 في القاعة 27المخصصة للأبحاث الطبية، ويكدس الكتب والمجلات والأبحاث. لم يتوان عن توجيه الأسئلة إلى الأطباء الذين يلتقيهم، غير آبه لردة فعلهم أو لرغبتهم في مد يد العون له أم لا. حتى غدا محط أنظار الجميع ومدعاة للتساؤل «ترى ما الذي يحاول هذا المهندس معرفته؟ وما الغاية من هذه الأبحاث التي يجريها؟». حتى أن أحد الأطباء المتخصصين في الأمراض العصبية سأله مباشرة «أما ترى فيما تفعله مضيعة للوقت؟ أنت مهندس، فما لك والأبحاث الطبية، أم أنك تريد دراسة الطب، أي أن تعود طالباً من جديد؟». وكثيراً ما كان يسخر منه آخرون، ورغم عدم

WWW.REWITY.COM

توصله إلى مبتغاه، لم ييأس. حتى وهو يتناول الغداء في مطعم المكتبة، كان يقرأ.

كثيرون كانوا يأتون ويغادرون إلا هو؛ يبدأ داومه منذ افتتاح قاعات المكتبة تمام العاشرة صباحاً، حتى إقفالها في العاشرة ليلاً. لا عجب إذن أن تشتاق إليه الطاولة 48 إذا قصد المرحاض أو أحب المشي بعض الوقت فتسأله حين يعود «أين كنت، لماذا تركتني؟». ولكن عبثاً كان يحاول. كلما قرأ بحثاً، يجد نفسه أمام باب موصد وطريق مسدود، «إنها حالة ميؤوس منها ولا أمل بشفائها إلا باللجوء إلى مشعوذ أو كاهن يصف لها تعويذة، أو إلى ساحر وليس باللجوء إلى طبيب اختصاصي، مهما علت مكانته العلمية. أو اتسعت شهرته».

كل يوم، وعند الرابعة بعد الظهر كان يتصل بصديقه بول يسأله عن سير العمل في المكتب، ويعبر له عن شكره وامتنانه لتفهم حالته وليعلن فشله في الوصول إلى نتيجة. وكان بول يأخذ كلام آرثر على محمل الجد - أو لنقل يتظاهر بذلك - «إفعل ما تشاء يا صاحبي ولكني مشتاق إليك، بودي لو أراك ولو لدقائق.. دعنا على اتصال دائم، ولا تنسَ الإعتناء بحبيبتك الشبح.. إنتبه من الإفراط في ممارسة الحب». وكان آرثر يرد عليه بضحكة تعبر عن سخريته مما يسمع، وبالوقت ذاته، تؤكد عزمه وتصميمه، على إكمال ما بدأ، حتى يتوصل إلى نتيجة حاسمة، سلبية كانت أم إيجابية.

كل ليلة حين يعود إلى شقته، يجد لورين بانتظاره، تراقب وصوله من خلال النافذة المطلة على الشارع، وكما توطدت العلاقة بين آرثر والطاولة 48 كذلك توطدت العلاقة بين لورين والنافذة.

في كل ليلة، أيضاً، فيما هو يعدّ طعام العشاء يخبرها عن نتيجة قراءاته وما تمكن من جمعه من المعلومات. وكثيراً ما كان يخترع لها أجوبة عن لسان أطباء أعصاب التقاهم في المكتبة، يخترع لها أجوبة، تُدخل الأمل في حياتها، كان يفعل ذلك، وكأنه لا يدري - أو لا يريد أن يدري - أنها طبيبة وأن بعضاً من الأجوبة المخترعة غير مقنعة، ليس لها كطبيبة، بل حتى للبشر العاديين. وفي الوقت ذاته، كانت معجبة بذكائه وإدراكه لمعاني الكثير من المصطلحات والتعابير الطبية، لكنها كانت تلفت نظره إلى أنها خائفة من عدم الوصول إلى النهاية التي يريدها هو، بدلاً من تلك التي ستوصله إليها الأبحاث.

كانت النقاشات تطول وتطول، إلى ما بعد منتصف الليل، وإلى قبيل بزوغ الفجر أحياناً؛ أي حتى لا يعود قادراً على مقاومة النعاس، فيأوي هو إلى فراشه، وتعود هي لتقف عند النافذة، تراقب سكون الليل وهدأته. تتمتع برؤية الأضواء الخادعة للنظر، بألوان تلك الأضواء التي تتغير كل دقيقة، أو قل كل نصف دقيقة، تراقب مراكب الصيادين وهي عائدة إلى الميناء كما راقبتها وهي مبحرة نحو عمق المحيط.

كان سكون الليل يريحها ويخيفها في آن. يريحها بوجود آرثر إلى جانبها، ويخيفها، لأنها تخشى مما يخبئه صباح اليوم التالي، وعبثاً حاولت ثني آرثر عن مواصلة البحث، وعبثاً حاولت إفهامه أن حالتها، لم تعد مرتبطة بالطب وعلاجات الأطباء، إنما ترتبط بما وراء العلم، وأن شفاءها لن يكون إلا بمعجزة، وأن زمان المعجزات ولّى. كذلك عبثاً حاولت إقناعه الموافقة على اصطحابها معه إلى المكتبة، «لا.. لن أسمح بذلك.. لأني أخاف عليك. وأخاف هدر الوقت دون الإستفادة منه».

WWW.REWITY.COM

ويضيف «عليك البقاء إلى جانب جسدك ومراقبته عن كثب، عضلة فعضلة، عظمة فعظمة. ركزي النظر على كل شيء في جسدك، تصرفي وكأنك تمارسين رياضة اليوغا. حاولي الإحساس بأنك مازلت طبيعية، وفي هذه الأثناء سأسعى أنا إلى إيجاد بعض السبل أو الوسائل التي تعيد الوحدة بينك وبين جسدك».

بعد أيام من عناء البحث والتنقيب، حتى في تلك الكتب التي تتحدث عن الحياة بعد الموت وعن بعض الخرافات. رأى آرثر أنه لا بد من استراحة وجدانية ولو لبضع ساعات. وما إن دقت ساعة المكتبة العامة معلنة العاشرة ليلاً، حتى استقل سيارته وراح يعبر شارع كاليفورنيا وابتسامة عريضة على شفتيه، عيناه تحاولان اختراق عتمة الليل، لعله يرى وجه لورين مطلاً من النافذة، رغم بعد المسافة.

توقف أمام إحدى السوبر ماركات، وابتاع كل ما اعتقد أنه سيضفي جواً من الاستراحة النفسية. اشترى حتى الشموع المعطرة، وباقات الورود. كان يفعل هذا وهو يتساءل «لماذا ينتابني هذا الشعور؟ رغم كل ما أواجه من مصاعب؟».

كلما اشترى شيئاً، كان يتخيل عيني لورين تشعان نوراً والإبتسامات ترتسم مشرقة على شفتيها. «الليلة سأرتب المائدة سأجعلها وكأنها مائدة في أفخم المطاعم، شموع مضاءة، زهور هنا ورود هناك، موسيقى حالمة، الليلة سأراقصها، سأضمها إلى صدري، سأمنحها الدفء والحنان... سأزرع الأمل في حياتها، سأجعلها تنتظر شروق شمس جديدة بفرح عظيم».

كانت مياه الخليج تتلون مع ألوان الغروب، وعلى صفحتها تنعكس أضواء الشوارع والمخازن التجارية. أوقف سيارته إلى جانب الرصيف، لئلا يضطر إلى رَكْنها في المرآب، فيتأخر لقاؤه بلورين بضعة دقائق. تسلق الأدراج بخطوات منتظمة مع بعض الحركات البهلوانية التي تعبر عن سرور داخلي.

فتح الباب وأعاد غلقه بحركة من رجله، اتجه نحو المطبخ مباشرة، ووضع الأكياس في إحدى زواياه.

لورين، كانت في مكانها المفضل عند النافذة، عيناها سارحتان في البعيد، ولكن الغريب في الأمر، أنها لم ترحب به كعادتها، حتى لم تحاول حتى الإلتفات إليه.

ـ ما بك الليلة؟ تساءل وهو يتقدم نحوها ليضع يديه على كتفيها، لكنها ابتعدت عنه وهي تتمتم «يا إلهي كيف سأخبره؟».

ـ لورين... لورين ما الذي يحدث؟

ـ أرجوك دعني وحدي. قالت هذا واتجهت نحو غرفة النوم تبعها آرثر وهو يخلع معطفه، فوجدها متكئة على النافذة ورأسها بين يديها، جسدها يرتجف وكأنها مصابة بنوبة حمى.

ـ أتبكين يا لورين؟

ـ وهل أمثالي يبكون؟ لا دموع عندي لأذرفها.

ـ ولماذا ترتجفين؟

حاول التحديق في عينيها، لكنها أشاحت وجهها عنه «أرجوك دعني... دعني وحدي أرجوك».

أمسكها من كتفيها وأدارها حتى أصبحا وجهاً لوجه، رفع

WWW.REWITY.COM

رأسها بيمناه، وحدق بعينيها الحائرتين، رأى الخوف فيهما «ما الخطب يا لورين؟».

- سينتهي كل شيء يا آرثر.

- ما هو الذي سينتهي؟

- ذهبت اليوم إلى المستشفى لأطمئن على أمي، فوجدتها تخاطبني كما ولو أني أسمعها، فعرفت أن لقاء سيجمعها مع اللجنة الطبية في المستشفى، وعرفت أيضاً ان الأطباء يحاولون إقناعها بالموافقة على نزع أنابيب التغذية عن جسدي.

- وماذا يعني هذا؟

- ماذا يعني؟.... يعني الموت...

لقد سبق للجنة المحافظة على الأخلاق الطبية في المستشفى أن طلبت لقاء السيدة كلاين عدة مرات خلال الأسابيع الأخيرة. دون جدوى، لكنها أخيراً عادت ووافقت، والتقت الطبيب الأخصائي بالإنعاش ومعدات الحياة الإصطناعية؛ إضافة إلى الدكتورة كلومب الأخصائية بالطب النفسي التي دخلت معها في حوار طويل لإقناعها بتقبل ما لا بد من حدوثه. إن لم يكن اليوم فغداً. فلورين هي الآن مجرد جسد بلا روح، وبقاؤها على هذه الحال، لا يعني كلفة مادية وحسب، بل ألماً وعذاباً للوالدة. ومن الطبيعي جداً أن ترفض أية عائلة موت إنسان عزيز عليها، أن ترفض فقدان واحد منها. وخاصة إذا كان هذا الإنسان وحيداً وله محبة خاصة في قلب الوالدة، ولكن بأي ثمن؟ ولماذا؟ وهل هذا الرفض هو نتيجة أمل بالشفاء، أم لمجرد الرفض لأسباب عاطفية؟

وجدت السيدة كلاين نفسها أمام أمرين لا ثالث لهما، إما

الموافقة على نزع أجهزة التغذية الجسدية عن جسد لورين، وإما إبقاءها على حالتها التي لا أمل لشفائها منها ولو بنسبة نصف من مئة. هذا ما أكدته الدكتورة كلومب لزملائها وأضافت «إنه بالفعل قرار صعب.. إنها أم وعاطفة الأمومة تصعب مقاومتها، ولكنها في الوقت ذاته إنسانة منطقية وواقعية وأعتقد أني سأنجح باقناعها بالموافقة على اللجوء إلى أسلوب الموت الرحيم قريباً».

كانت لورين تقف إلى جانب والدتها في الغرفة 505 من مستشفى سان فرنسيسكو التذكاري، تراقب كل حركاتها.

إنها تبدو أكبر من عمرها بنحو من عشر سنوات، تجاعيد الوجه صارت واضحة، دموع في العيون، لا ابتسامات على الشفاه. بدا واضحاً أنها في حيرة من أمرها لا تدري ماذا تفعل. أشهر مضت وهي على هذه الحال، تأتي كل صباح لتجلس إلى جانب جسد ابنتها وتغادر عند المساء.

وأخيراً انفجر نبع الدمع في عينيها، وهي تتطلع إلى جسدي وتتكلم معي، معتذرة عن القرار الذي ستتخذه. عن سماحها بإماتتي وهي تقول:«وأخيراً يا عزيزتي لورين، يا أغلى البشر على قلبي وأحبهم إلي.أخيراً يا ابنتي يبدو أن ساعة الفراق الأبدي قد أزفت سأسمح لهم بنزع معدات التغذية عن جسدك، وتركك تواجهين وجه ربك. قاومت، وما أزال أقاوم من أجل ابقائك حية. كنت أنانية وما أزال، ولكن الوقت حان».

«سامحيني لورين، يوم الإثنين سأقابل الدكتورة كلومب وأعطيها موافقتي الخطية، فإن كنت يا ابنتي قادرة على الشفاء أخبريني،

WWW.REWITY.COM
RAYAHEEN
WWW.REWITY.COM

وانطلقا باتجاه الخليج. الصمت سيد الموقف، لا هو تكلم، ولا هي كل كان سارحاً مع أفكاره وتخيلاته وذكرياته وأحلامه المستقبلية. كان يوم عمل مضنٍ، وها هما الآن يعيشان لحظة الاسترخاء الجسدي والصفاء الذهني.

عند الشاطىء أوقف السيارة وترجل منها ليفتح الباب للورين ويدعوها للنزول دون أن يقول شيئاً. وما إن أصبحا خارج السيارة يراقبان المياه في مدها وجزرها، حتى كسر آرثر جدار الصمت «أحب منظر المياه».

لم تتفوه لورين بأية كلمة. كانت تحدق في الأفق البعيد، تحاول رؤية ما ليس للعين قدرة على رؤيته. كل ما فعلته هو شبك يدها بيده «إنك مختلف عن الرجال الآخرين».

- بماذا أختلف عنهم، وهل من شيء يزعجك؟

- لا.. لا شيء أبداً. إنك لا تزعجني، ولكنك تختلف عن الرجال الذين عرفتهم.

- فعلاً وكيف؟

- أنت غامض نوعاً ما.

- وهل هذا عيب؟

- لا...لكنه أمر غير طبيعي، ألا تعترضك أية معضلة؟

- أنا لا آبه للمعضلات، لأن لكل واحدة حلاً... لا شيء عندي أخفيه: لا سيئات ولا حسنات، حتى ولا أسرار. صدقيني أنا إنسان عادي، وسيئاتي لا تحصى.

كان سعيداً لقول هذا، هذا ما أعتقدته لورين على الأقل التي قالت «أنا لست جزءاً من نظام معين، أنا ضد هذه الفكرة، أرى

الناس الذين أحب رؤيتهم، وأذهب حيث يحلو لي، وأقرأ الكتاب الذي قد يفيدني وليس لأنه من الكتب الأكثر مبيعاً. هذه هي حياتي، ولست مستعدة لإزعاج نفسي بتحليل كل أمر أواجهه».

في زاوية دافئة في أحد الفنادق، استكمل آرثر ولورين حديثهما وبينما كانت عيناه تجولان في الصالة، قال «أحب هكذا أمكنة». لفت نظره طفل في حدود السابعة أو الثامنة من العمر يتكيء على صدر أمه التي تحمل كتاباً، وتشرح له محتوياته. وجنتاه موردتان وكأنهما شمسان صغيرتان، ابتسامته مشعة ساحرة.

- إلام تنظر؟. قالت لورين.

- إلى ذاك الطفل. وأشار بيده إليه «أنظري كم هو بهي الطلعة، إنه منغمس في عالم الطفولة».

- لا شك أنه يجعلك تسترجع ذكرياتك.

ابتسم آرثر دون أن يجيب

- ولا شك أيضاً أن علاقتك بوالدتك كان جد حميمة.

- إن أغرب الأشياء في حياتي، هي يوم رحيل أمي، لم أرَ النباتات تذوي، ولا السيارات توقفت عن حركتها، ولا الناس امتنعت عن عبور الشارع والتجوال، وكأنهم لا يدرون أني اليوم فقدت عالمي الخاص. لا يدرون أن أمي قد رحلت. فكيف لا شيء يتغير حولي؟... حين كانت تأخذني بين ذراعيها، كنت أشعر بالعالم كله ملكي، وليس بمقدور أحد أن يزعجني، حتى ولا ناظر المدرسة القبيح المنظر، ولا السيدة مورتون أستاذة العلوم وهي توبخني لعدم اتمامي واجباتي المدرسية، سأوضح لك لماذا أنا غامض نوعاً ما كما تقولين. علمتني والدتي التركيز على ما هو جوهري وأساسي، وغض النظر عما هو

WWW.REWITY.COM
RAYAHEEN
WWW.REWITY.COM

غير ذلك. واليوم نحن أمام أمر جوهري وأساسي، وعلينا عدم الاستسلام... هيا بنا لورين، إن عملاً شاقاً ينتظرنا».

قبيل الوصول إلى السيارة، تقدمت لورين من آرثر وقبلته على خده.

ـ شكراً لك ... شكراً على كل شيء آرثر.

نظر آرثر مندهشاً، ووجنتاه محمرتان خجلاً، ابتسم وأمسك يدها ومضيا معاً.

8

أمضى نحواً من أسبوعين يتردد إلى المكتبة العامة التابعة لبلدية سان فرنسيسكو التي تحتوي آلاف الكتب عن كل موضوع، ولكل موضوع قاعته الخاصة. ينقب بالكتب الطبية، المتعلقة بالغيبوبة والصدمة الدماغية، عما يمكن أن يوصله، لا إلى كيفية مساعدة لورين وحسب، مع أنها هي الهدف، بل والإنسانية جمعاء.

كان يمضي نهاراته يقرأ ويدوّن، ومن ثم يوثق المعلومات التي برأيه ـ على الأقل ـ قد تكون مفيدة.

عند كل صباح كان يجلس إلى الطاولة رقم 48 في القاعة 27المخصصة للأبحاث الطبية، ويكدس الكتب والمجلات والأبحاث. لم يتوان عن توجيه الأسئلة إلى الأطباء الذين يلتقيهم، غير آبه لردة فعلهم أو لرغبتهم في مد يد العون له أم لا. حتى غدا محط أنظار الجميع ومدعاة للتساؤل «ترى ما الذي يحاول هذا المهندس معرفته؟ وما الغاية من هذه الأبحاث التي يجريها؟». حتى أن أحد الأطباء المتخصصين في الأمراض العصبية سأله مباشرة «أما ترى فيما تفعله مضيعة للوقت؟ أنت مهندس، فما لك والأبحاث الطبية، أم أنك تريد دراسة الطب، أي أن تعود طالباً من جديد؟». وكثيراً ما كان يسخر منه آخرون، ورغم عدم

WWW.REWITY.COM

توصله إلى مبتغاه، لم ييأس. حتى وهو يتناول الغداء في مطعم المكتبة، كان يقرأ.

كثيرون كانوا يأتون ويغادرون إلا هو؛ يبدأ داومه منذ افتتاح قاعات المكتبة تمام العاشرة صباحاً، حتى إقفالها في العاشرة ليلاً. لا عجب إذن أن تشتاق إليه الطاولة 48 إذا قصد المرحاض أو أحب المشي بعض الوقت فتسأله حين يعود «أين كنت، لماذا تركتني؟». ولكن عبثاً كان يحاول. كلما قرأ بحثاً، يجد نفسه أمام باب موصد وطريق مسدود، «إنها حالة ميؤوس منها ولا أمل بشفائها إلا باللجوء إلى مشعوذ أو كاهن يصف لها تعويذة، أو إلى ساحر وليس باللجوء إلى طبيب اختصاصي، مهما علت مكانته العلمية. أو اتسعت شهرته».

كل يوم، وعند الرابعة بعد الظهر كان يتصل بصديقه بول يسأله عن سير العمل في المكتب، ويعبر له عن شكره وامتنانه لتفهم حالته وليعلن فشله في الوصول إلى نتيجة. وكان بول يأخذ كلام آرثر على محمل الجد - أو لنقل يتظاهر بذلك - «إفعل ما تشاء يا صاحبي ولكني مشتاق إليك، بودي لو أراك ولو لدقائق.. دعنا على اتصال دائم، ولا تنسَ الإعتناء بحبيبتك الشبح.. إنتبه من الإفراط في ممارسة الحب». وكان آرثر يرد عليه بضحكة تعبر عن سخريته مما يسمع، وبالوقت ذاته، تؤكد عزمه وتصميمه، على إكمال ما بدأ، حتى يتوصل إلى نتيجة حاسمة، سلبية كانت أم إيجابية.

كل ليلة حين يعود إلى شقته، يجد لورين بانتظاره، تراقب وصوله من خلال النافذة المطلة على الشارع، وكما توطدت العلاقة بين آرثر والطاولة 48 كذلك توطدت العلاقة بين لورين والنافذة.

في كل ليلة، أيضاً، فيما هو يعدّ طعام العشاء يخبرها عن نتيجة قراءاته وما تمكن من جمعه من المعلومات. وكثيراً ما كان يخترع لها أجوبة عن لسان أطباء أعصاب التقاهم في المكتبة، يخترع لها أجوبة، تُدخل الأمل في حياتها، كان يفعل ذلك، وكأنه لا يدري - أو لا يريد أن يدري - أنها طبيبة وأن بعضاً من الأجوبة المخترعة غير مقنعة، ليس لها كطبيبة، بل حتى للبشر العاديين. وفي الوقت ذاته، كانت معجبة بذكائه وإدراكه لمعاني الكثير من المصطلحات والتعابير الطبية، لكنها كانت تلفت نظره إلى أنها خائفة من عدم الوصول إلى النهاية التي يريدها هو، بدلاً من تلك التي ستوصله إليها الأبحاث.

كانت النقاشات تطول وتطول، إلى ما بعد منتصف الليل، وإلى قبيل بزوغ الفجر أحياناً؛ أي حتى لا يعود قادراً على مقاومة النعاس، فيأوي هو إلى فراشه، وتعود هي لتقف عند النافذة، تراقب سكون الليل وهدأته. تتمتع برؤية الأضواء الخادعة للنظر، بألوان تلك الأضواء التي تتغير كل دقيقة، أو قل كل نصف دقيقة، تراقب مراكب الصيادين وهي عائدة إلى الميناء كما راقبتها وهي مبحرة نحو عمق المحيط.

كان سكون الليل يريحها ويخيفها في آن. يريحها بوجود آرثر إلى جانبها، ويخيفها، لأنها تخشى مما يخبئه صباح اليوم التالي، وعبثاً حاولت ثني آرثر عن مواصلة البحث، وعبثاً حاولت إفهامه أن حالتها، لم تعد مرتبطة بالطب وعلاجات الأطباء، إنما ترتبط بما وراء العلم، وأن شفاءها لن يكون إلا بمعجزة، وأن زمان المعجزات ولّى. كذلك عبثاً حاولت إقناعه الموافقة على اصطحابها معه إلى المكتبة، «لا.. لن أسمح بذلك.. لأني أخاف عليك. وأخاف هدر الوقت دون الإستفادة منه».

WWW.REWITY.COM

ويضيف «عليك البقاء إلى جانب جسدك ومراقبته عن كثب، عضلة فعضلة، عظمة فعظمة. ركزي النظر على كل شيء في جسدك، تصرفي وكأنك تمارسين رياضة اليوغا. حاولي الإحساس بأنك مازلت طبيعية، وفي هذه الأثناء سأسعى أنا إلى إيجاد بعض السبل أو الوسائل التي تعيد الوحدة بينك وبين جسدك».

بعد أيام من عناء البحث والتنقيب، حتى في تلك الكتب التي تتحدث عن الحياة بعد الموت وعن بعض الخرافات. رأى آرثر أنه لا بد من استراحة وجدانية ولو لبضع ساعات. وما إن دقت ساعة المكتبة العامة معلنة العاشرة ليلاً، حتى استقل سيارته وراح يعبر شارع كاليفورنيا وابتسامة عريضة على شفتيه، عيناه تحاولان اختراق عتمة الليل، لعله يرى وجه لورين مطلاً من النافذة، رغم بعد المسافة.

توقف أمام إحدى السوبر ماركات، وابتاع كل ما اعتقد أنه سيضفي جواً من الاستراحة النفسية. اشترى حتى الشموع المعطرة، وباقات الورود. كان يفعل هذا وهو يتساءل «لماذا ينتابني هذا الشعور؟ رغم كل ما أواجه من مصاعب؟».

كلما اشترى شيئاً، كان يتخيل عيني لورين تشعان نوراً والإبتسامات ترتسم مشرقة على شفتيها. «الليلة سأرتب المائدة سأجعلها وكأنها مائدة في أفخم المطاعم، شموع مضاءة، زهور هنا ورود هناك، موسيقى حالمة، الليلة سأراقصها، سأضمها إلى صدري، سأمنحها الدفء والحنان... سأزرع الأمل في حياتها، سأجعلها تنتظر شروق شمس جديدة بفرح عظيم».

كانت مياه الخليج تتلون مع ألوان الغروب، وعلى صفحتها تنعكس أضواء الشوارع والمخازن التجارية. أوقف سيارته إلى جانب الرصيف، لئلا يضطر إلى رَكْنها في المرآب، فيتأخر لقاؤه بلورين بضعة دقائق. تسلق الأدراج بخطوات منتظمة مع بعض الحركات البهلوانية التي تعبر عن سرور داخلي.

فتح الباب وأعاد غلقه بحركة من رجله، اتجه نحو المطبخ مباشرة، ووضع الأكياس في إحدى زواياه.

لورين، كانت في مكانها المفضل عند النافذة، عيناها سارحتان في البعيد، ولكن الغريب في الأمر، أنها لم ترحب به كعادتها، حتى لم تحاول حتى الإلتفات إليه.

ـ ما بك الليلة؟ تساءل وهو يتقدم نحوها ليضع يديه على كتفيها، لكنها ابتعدت عنه وهي تتمتم «يا إلهي كيف سأخبره؟».

ـ لورين... لورين ما الذي يحدث؟

ـ أرجوك دعني وحدي. قالت هذا واتجهت نحو غرفة النوم تبعها آرثر وهو يخلع معطفه، فوجدها متكئة على النافذة ورأسها بين يديها، جسدها يرتجف وكأنها مصابة بنوبة حمى.

ـ أتبكين يا لورين؟

ـ وهل أمثالي يبكون؟ لا دموع عندي لأذرفها.

ـ ولماذا ترتجفين؟

حاول التحديق في عينيها، لكنها أشاحت وجهها عنه «أرجوك دعني... دعني وحدي أرجوك».

أمسكها من كتفيها وأدارها حتى أصبحا وجهاً لوجه، رفع

WWW.REWITY.COM

رأسها بيمناه، وحدق بعينيها الحائرتين، رأى الخوف فيهما «ما الخطب يا لورين؟».

- سينتهي كل شيء يا آرثر.

- ما هو الذي سينتهي؟

- ذهبت اليوم إلى المستشفى لأطمئن على أمي، فوجدتها تخاطبني كما ولو أني أسمعها، فعرفت أن لقاء سيجمعها مع اللجنة الطبية في المستشفى، وعرفت أيضاً ان الأطباء يحاولون إقناعها بالموافقة على نزع أنابيب التغذية عن جسدي.

- وماذا يعني هذا؟

- ماذا يعني؟.... يعني الموت...

لقد سبق للجنة المحافظة على الأخلاق الطبية في المستشفى أن طلبت لقاء السيدة كلاين عدة مرات خلال الأسابيع الأخيرة. دون جدوى، لكنها أخيراً عادت ووافقت، والتقت الطبيب الأخصائي بالإنعاش ومعدات الحياة الإصطناعية؛ إضافة إلى الدكتورة كلومب الأخصائية بالطب النفسي التي دخلت معها في حوار طويل لإقناعها بتقبل ما لا بد من حدوثه. إن لم يكن اليوم فغداً. فلورين هي الآن مجرد جسد بلا روح، وبقاؤها على هذه الحال، لا يعني كلفة مادية وحسب، بل ألماً وعذاباً للوالدة. ومن الطبيعي جداً أن ترفض أية عائلة موت إنسان عزيز عليها، أن ترفض فقدان واحد منها. وخاصة إذا كان هذا الإنسان وحيداً وله محبة خاصة في قلب الوالدة، ولكن بأي ثمن؟ ولماذا؟ وهل هذا الرفض هو نتيجة أمل بالشفاء، أم لمجرد الرفض لأسباب عاطفية؟

وجدت السيدة كلاين نفسها أمام أمرين لا ثالث لهما، إما

الموافقة على نزع أجهزة التغذية الجسدية عن جسد لورين، وإما إبقاءها على حالتها التي لا أمل لشفائها منها ولو بنسبة نصف من مئة. هذا ما أكدته الدكتورة كلومب لزملائها وأضافت «إنه بالفعل قرار صعب.. إنها أم وعاطفة الأمومة تصعب مقاومتها، ولكنها في الوقت ذاته إنسانة منطقية وواقعية وأعتقد أني سأنجح باقناعها بالموافقة على اللجوء إلى أسلوب الموت الرحيم قريباً».

كانت لورين تقف إلى جانب والدتها في الغرفة 505 من مستشفى سان فرنسيسكو التذكاري، تراقب كل حركاتها.

إنها تبدو أكبر من عمرها بنحو من عشر سنوات، تجاعيد الوجه صارت واضحة، دموع في العيون، لا ابتسامات على الشفاه. بدا واضحاً أنها في حيرة من أمرها لا تدري ماذا تفعل. أشهر مضت وهي على هذه الحال، تأتي كل صباح لتجلس إلى جانب جسد ابنتها وتغادر عند المساء.

وأخيراً انفجر نبع الدمع في عينيها، وهي تتطلع إلى جسدي وتتكلم معي، معتذرة عن القرار الذي ستتخذه. عن سماحها بإماتتي وهي تقول:«وأخيراً يا عزيزتي لورين، يا أغلى البشر على قلبي وأحبهم إلي.أخيراً يا ابنتي يبدو أن ساعة الفراق الأبدي قد أزفت سأسمح لهم بنزع معدات التغذية عن جسدك، وتركك تواجهين وجه ربك. قاومت، وما أزال أقاوم من أجل ابقائك حية. كنت أنانية وما أزال، ولكن الوقت حان».

«سامحيني لورين، يوم الإثنين سأقابل الدكتورة كلومب وأعطيها موافقتي الخطية، فإن كنت يا ابنتي قادرة على الشفاء أخبريني،

WWW.REWITY.COM
RAYAHEEN
WWW.REWITY.COM

حركي أنمل يدك أو أصبع رجلك؛ أو حتى جفن عينيك، دعيني اتخذ القرار الصائب يا لورين. منذ شهور وأنت ممددة هنا، لا جفن يرمش، ولا إصبع يتحرك».

«كنت صغيرة حين توفى والدك، وكذلك كنت أنا، كنت ما أزال في مقتبل العمر، كرست حياتي لك، رفضت طلب الرجال للزواج، وحتى للحب إكراماً لعينيك، لطالما شكرتك لأنك جعلتني أحيا حياة الأمومة، ولطالما شكرتك لأنك كنت إبنة صالحة. ما أزال أحتفظ بأول حذاء انتعلته رجلاك، وبأول لعبة أهديتك إياها ليلة عيد الميلاد، لم يكن عمرك قد تجاوز العام بعد.

ما أزال أذكر يوم تخرجت من كلية الطب، يومها أخذتك بين ذراعي، شددتك إلى صدري، حتى أن دموعي بللت كتفيك، وصرخت «أنت الآن الدكتورة لورين، وليس لورين كلاين فقط».

«بعد أسبوع على الأكثر، لن ارتدي ثيابي باكراً كل صباح، حتى أكون هنا في هذه الغرفة، ولكني أعدك أن ازورك هناك، وأنت تعرفين أين، كل صباح ومساء، أعرف أنك تكرهين العتمة، لذا سأجعل من قبرك شعلة ضوء ونور، أعرف أنك تحبين الزهور والورود، فسأجعل من قبرك حديقة غناء، سأجعله مقصداً للعشاق يلتقون تحت أشجاره. ويمتعون عيونهم بأجمل الألوان».

انحنت والدتي فوق جسدي وراحت تقبل وجنتي ويدي وترجوني أن أسامحها، ترجوني أن أصدر أدنى إشارة تدل على أني ما زلت قادرة على المقاومة من أجل البقاء حية. صدقني آرثر ساعتان وهي على هذه الحال.. وأخيراً وجدت نفسي أخرج من الغرفة وأعود

إلى هنا، لافكر بأمي وبنفسي وبك.. جئت مباشرة إلى هنا إلى صديقتي النافذة، لأنظر الشوارع، لأرى السيارات تعبر جيئة وذهاباً، والناس تروح وتأتي، اليوم هو الخميس، أتعرف ماذا يعني هذا؟ يعني أن أياماً قليلة تفصلني عن ساعة موتي.

أخذها آرثر بين ذراعيه، وشدها إليه «لن يكون هذا.. لن أسمح لهم بذلك».

ـ وكيف يكون ذلك؟

ـ امنحيني بعضاً من الوقت.. ساعتين ليس أكثر.

ابتعدت عنه وعادت إلى الوقوف عند النافذة «ما الهم.. ما الهم؟ قد يكون من الأفضل فعل ذلك.. وقد يكونون على صواب».

ـ ماذا تقولين؟

بدت لورين قوية جداً وهي تواجه القدر المحتوم «الحقيقة التي لا تقبل ردعاً ولا عجباً، هي أني لا ميتة ولا حية، وفوق هذا أدمّر حياة أمي، وحياتك أنت أيضاً».

ـ أمجنونة أنت؟ اوتعتقدين أن هناك أماً ـ حتى ولو كانت أقبح الأمهات سلوكاً ـ ترتاح لأن موت ابنتها هو الأفضل. فكيف لو كانت كأمك؟

ابتسمت لورين وقالت «شكراً جزيلاً».

ـ وعلام تشكرينني؟

ـ على تعبيرك الموت هو الأفضل، وبظروفي خاصة.

ـ وهل تعتقدين أن أمك لن تشعر بفراغ كبير بعد رحيلك؟

WWW.REWITY.COM

وهل تعتقدين أن رحيلك هو الأفضل لها؟ ثم ماذا عني أنا؟

نظرت إليه باندهاش «وماذا عنك أنت؟».

- نعم، أولست إنساناً يتألم، إن كانت الناس لا تراكِ ولا تسمعك ولا تتحسس وجودك، فأنا أراك وأسمعك، وأتحسس وجودك

- أهذا اعتراف بالحب؟

- لا تكوني بلهاء لورين

- لست أدري لماذا تبدي هذا الإهتمام الزائد، لماذا تحاول الصراع من أجلي، هل أصابك مس من الجنون؟ وبلهجة عدائية قالت «أيمكنني معرفة دوافعك؟».

- تعرفين دوافعي يا لورين... سأحاول التحدث مع والدتك إنه الحل الأفضل، إذ لربما تمكنت من إقناعها بعدم الموافقة على نزع أنابيب التغذية.

في البدء لم تستوعب لورين الفكرة، واعتبرت الحديث مع والدتها، وكأنه مهمة مستحيلة. إنما بعد نقاش طويل، لم تجد أمامها أية وسيلة أخرى قد تبقيها حية، أو على ما هي عليه لا حية ولا ميتة «إن أمي إنسانة مميزة، فعلاً هي إنسانة مميزة .. لا تتخذ قراراتها إلا بناء لقناعات راسخة. وبعد تدقيق في الأمور وتحليل الحسنات والسيئات. أعرف أن قلبها ينفطر الآن حزناً، فهي تحبني بجنون وتخاف عليّ بجنون.أنا ابنتها الوحيدة.. ولكن كيف يمكننا ترتيب لقاء بينك وبينها؟».

وراحت الأفكار تتزاحم في رأسها، وكل فكرة أصعب من الأخرى «فهي لن تدخل معك في نقاش حول هذا الموضوع،

وأنت...؟ أنت كيف يمكنك التحدث إليها حول تأجيل أو التراجع عن قرارها بإنهاء حياتي، بأي أسلوب؟ ولماذا؟».

- ماذا لو تعمدت جعل اللقاء يبدو وكأنه صدفة؟

- لنقل ذلك، ولكن كيف، ولماذا ستتحدث عني؟ فمن المستحيل أن تباشر بالقول «إسمعيني سيدة كلاين، لم يسبق لنا أن تعارفنا، ولكني هنا لأخبرك أن ابنتك لورين التي هي في حالة غيبوبة، وجسدها ممدد على سرير في الغرفة 505 في مستشفى سان فرنسيسكو التذكاري، ويزعم الأطباء أن لا أمل من شفائها، وتمكنوا من إقناعك بالموافقة على إنهاء حياتها، وأنهم ينتظرون توقيعك على المستندات الرسمية يوم الإثنين المقبل، إن ابنتك هذه تعيش معي في شقتي كشبح، وهي تراك كل يوم تنتحبين قرب جسدها، وتقدر معاناتك، وتعرف كيف تمكنت الدكتورة كلومب من إقناعك لأنها كانت معكما في الغرفة، ساعتئذٍ.. صدقني آرثر، ستعتبرك إما مجنوناً، أو جاسوساً، ولكن أي نوع من الجواسيس؟ جاسوس يتجسس على حياة الناس الخاصة؛ ولمصلحة من؟».

- فعلاً.. أنت محقة بهذا، لن تعتبرني مجنوناً وحسب، بل وقد تقذف بي من أعلى الجسر إلى مياه المحيط.

ساد صمت رهيب... كل يحدق بالآخر ولا يدري ماذا يقول. تمنى آرثر لو يضمها إلى صدره، لو يقبل تلك الشفتين المرتعشتين..

حاول ضمها، لكنها أفلتت منه واتجهت إلى موقعها الاستراتيجي، إلى النافذة: «أيام قليلة، وتفتقدني النافذة؛ وتحن الطرقات إلى نظري.. أما أنت فلن تعود منشغلاً بهذا الشبح الذي

WWW.REWITY.COM

يقيم معك وستتوقف عن التفكير بكيفية مساعدته، لن تعود إلى القاعة 72 في مكتبة البلدية، ستعود إلى عملك كالمعتاد. ومن يدري قد تعود إلى كارول آن». وصاح آرثر بأعلى صوته «بربك توقفي عن هذا.. لا تذكري هذا الاسم بعد اليوم. فأنت .. أنت وحدك».

وقاطعته لورين «أنا، ماذا تعني أنا وحدي؟».

- تعرفين ماذا أعني، أنت إنسانة مثقفة قبل أن تكوني شبحاً.. إذن...!!!

- إذن ماذا؟ واستدارت لورين نحو آرثر «اسمع آرثر لقد وجدتها... وجدتها».

- ماذا وجدت؟

- إنها تنزه كالي كل صباح على طريق المارينا.

- ماذا تعنين؟

- أعني أمي، تنزه كالي كل صباح على طريق المارينا.

- هذا يفترض أن يكون معي كلب.

- لماذا؟

- لأني لو كنت وحدي، لن أتمكن من مداعبة كالي؟ ولن أتمكن من التحدث مع والدتك...

- أتهزء مني آرثر؟

- لا.. فعلاً فكرة سديدة، عليّ تنفيذها.

- وكيف؟

- ستعرفين كيف.

9

قبيل بزوغ الفجر، نهض آرثر، ارتدى بزه رياضية وجلس في غرفة الجلوس يرتشف قهوة الصباح. تذكر كيف كانت ليلي توقظه باكراً للذهاب إلى شاطىء البحر، لرؤية بزوغ الفجر وشروق الشمس، تذكر كل رحلاتهما، الصباحية منها، والمسائية. تذكر كلماتها «الماضي هو الماضي بينما الحياة هي المستقبل... حاول إنقاذ حياتي، ولكن ليس على حساب حياتك.. حافظ على حياتك. إنما لا تكن أنانيا». تذكر أشياء وأشياء وهو ينظر إلى لورين التي ما تزال غارقة في النوم «ما لهذا الوجه الملائكي، إنها تبتسم حتى في آخر أيام وجودها... إنها ترفض الموت، إنها تحب الحياة ولهذا السبب ما تزال تبتسم أيعقل أن يأتي يوم، قريباً كان أم بعيداً، ولا أمتع عيني برؤية هذا الوجه كل صبح وكل مساء؟».

تنهد آرثر، ومسح دمعة بللت وجنته، لم يكن قادراً على إطفاء النار في صدره. منذ التقاها، وهو يعيش حياة جديدة، لا أحد في العالم كله يعيشها. لقد غيرت مجرى حياته، جعلت منه إلهاً إنسانياً، أنسته كل ما حوله، همومه، مشاكله، عمله، أنسته كارول آن وغباوتها وأنانيتها.

«اليوم، سألتقي والدتها علني أتمكن من إقناعها بالعدول عن

WWW.REWITY.COM

موافقتها لنزع أنابيب التغذية». نهض من مكانه وتوجه نحو النافذة وأخذ يحدق بالتلال والهضاب، بالطرقات، بخليج سان فرنسيسكو «فعلاً كانت محقة باختيار هذه الشقة، وشكراً للسمسار الذي ألح علي لرؤيتها... أيام قليلة وقد تشتاق النافذة للورين... لا...لا لن يكون هذا... لن تموت لورين، إلا بعد موتي».

عادت الدموع تنهمر من عينيه «عجباً لماذا أبكي، أنسيت ما قاله أنطوني يوم وفاة أمي؟». رويداً رويداً بدأ نور الفجر يزحف على سان فرنسيسكو «لورين... لورين إنهضي حبيبتي» لم تستجب لورين لندائه، فتقدم منها وأخذ يداعب وجهها بيمناه ورجاها أن تستفيق.

استفاقت لورين مندهشة لما يفعل. لم يسبق له أن منحها هذا القدر الوفير من الحنان «ما بك آرثر؟ إنك اليوم على غير عادتك... أخائف مثلي؟».

نظر بعينيها وطلب منها أن تغمره وتشده إلى صدرها.

بحياء وضحك قالت «ما الأمر، إنك تخيفني».

- لا شيء مهماً أبداً، إنما أفعل ذلك من أجل كالي.

- «من أجل كالي؟». قالت هذا ووقفت أمامه وجهاً لوجه شدته إلى صدرها وأحنت رأسها على كتفه. أحست بنوع من السعادة الداخلية «هل فعلاً يريد هذا من أجل كالي أم أن شيئاً آخر يدور في خَلَدِه ولا يرغب أن يبوح به؟».

بدون كلمة إلى اللقاء، خرج مسرعاً واتجه نحو المارينا. هناك عند الخليج وقف يتأمل مياه المحيط. سكون وهدوء. ما يزال الضباب

الصباحي يحتضن الجسر، الذي لولا الأضواء لما كان أحد يدري أن هناك جسراً يربط بين طرفي الخليج. مراكب الصيادين تتهادى فوق المياه، وكأنها ترقص على موسيقى أحادية الإيقاع. من جديد عاد وتذكر ليلي، تذكر كيف كانت ترى السعادة في هكذا أمكنة وفي هذه الأوقات، تذكر كيف يجلس إلى جانبها وبيده صنارة صيد السمك.

بدأت أشعة الشمس تخترق عتمة الفجر، وصارت الأشياء أكثر وضوحاً. اختفت الأنوار، وأخذت الحياة تعود إلى الشوارع.

كل هذا لم يعنِ له شيئاً، عيناه مسمرتان هناك؟ عند بداية شارع المارينا، ينتظر إطلالة السيدة كلاين مع كلبتها كالي، وفجأة أطلت. حدق بها جيداً، «إنها هي... هكذا وصفتها لورين».

ابتعدت كالي بضع خطوات عن السيدة كلاين التي بدت شاردة الذهن، متعبة وكأنها تحمل الكرة الأرضية على منكبيها. اقتربت كالي من آرثر وراحت تشتم رائحته تدور حوله وتهز ذنبها. دنت إليه وتابعت تشتم رائحته، ومن ثم تمددت عند قدميه. مد يده وداعب عنقها ثم مسَّد ظهرها وذنبها، كان السرور بادياً في عيني كالي، مدت لسانها ولحست يدها، وهي تنبح نباحاً لو كان بمقدور أحد أن يفهم معناه لكان لأدرك أنها تسأل عن لورين.

اقتربت السيدة كلاين، ونظرت باستغراب إلى كالي وتوجهت لآرثر بالقول «اتعرفان بعضكما من قبل؟».

- ولماذا هذا السؤال؟

- لأن كالي لا تؤالف أحداً ولا تقترب من أحد، إنما أراها اليوم ممددة عند قدميك وهذا ما يدهشني.

WWW.REWITY.COM

- وهل هذا تصرف مستغرب من كلبة إنسانة ربطتني بها علاقة صداقة يوماً ما؟

- «نعم إنه تصرف مستغرب». قالت السيدة كلاين وقد بدا عليها الإندهاش.

كالي ما تزال عند قدمي آرثر تلوح بذنبها وتداعب رجليه برأسها فصرخت السيدة كلاين «كالي دعي هذا الفتى وشأنه».

مد آرثر يده لمصافحة السيدة كلاين معرفاً عن نفسه «نعم كالي تعرفني وأنا أعرفها، إنها كلبة لورين!!!».

بعد تردد للحظات، مدت السيدة كلاين يدها وصافحت آرثر دون أن تقدم نفسها. كانت مندهشة من تصرف الكلبة، لذا وبدلاً من أن تقدم نفسها اعتذرت منه.

- لا عليك سيدتي.

غرقت السيدة كلاين في صمت مريب. لم تكن تعي ما يجري وغير قادرة على التكلم.

- هل أنت بخير سيدتي؟ قال آرثر وهو يهز يدها مصافحاً.

- أتعرف ابنتي؟

- نعم أعرفها جيداً، كنا أصدقاء.

بعين الاستغراب نظرت إليه وكأنها تريد القول: إن ابنتها لم تذكر على مسمعها شيئاً من ذلك، وبذات النظرة كانت تتساءل، كيف تعرفتما؟ وهذا ما أراده آرثر، فقدم نفسه على أنه مهندس، جرح يده بقاطعة الورق، ونقل إلى المستشفى حيث تعمل لورين، ومن حسن

حظه أنها هي من أشرفت على علاجه، وهكذا تعرف إليها وحتى أنهما تناولا العشاء معاً مرات عدة، خاصة حين كانت تنهي عملها باكراً.

- لم يكن لإبنتي متسع لتناول العشاء خارج المنزل، فهي كانت تعود متأخرة إليه كل ليلة.

احنى آرثر رأسه دون أن يتفوه بكلمة وكأنه فقد القدرة على الاستمرار في الحديث.

- «ولكن». قالت السيدة كلاين «يبدو أن كالي تعرفك جيداً».

- أعرف هذا سيدتي، ويصعب علي القول أيضاً إني أعرف ما الذي جرى للورين، وقد زرتها مرات عدة في المستشفى.

- لكنني لم أرَك هناك في المستشفى ولو لمرة واحدة.

- بكل تهذيب ولياقة، دعاها آرثر للتنزه معاً بدلاً من الوقوف هنا، فسارا جنباً إلى جنب وكالي إلى جانب آرثر. قطع آرثر الصمت وسأل السيدة عن حالة ابنتها مؤخراً، معتذراً عن عدم التمكن من زيارتها في الفترة الأخيرة.

«لا تحسن... ولا أمل بالشفاء كما أجمع الأطباء، إنها حالة ميؤوس منها». اكتفت بهذا القول دون التطرق إلى القرار الذي توصلت إليه.

لكن آرثر أراد بعث الأمل في حياتها فقال «صدقيني، أنه حتى اليوم ما يزال الأطباء عاجزين عن فهم الغيبوبة فهماً كاملاً.. هناك مرضى أمضوا سنوات في غيبوبتهم، لكنهم عادوا إلى حياتهم الطبيعية.. قد تقولين هذا نوع من المعجزات، لديك الحق، ولكن لا شيء مقدساً كالحياة. ولهذا كلنا نصارع من أجل البقاء، ولا أعتقد أن أحداً يمتلك

WWW.REWITY.COM
RAYAHEEN

قرار إبقاء الآخرين أحياء أو إماتتهم إلا الله وحده. هو خلقنا وحدّد لكل منا أجلاً. وحده المسؤول عن وهب الحياة وإنهائها».

توقفت السيدة كلاين مستغربة هذا القول «إسمع، يبدو أن لقاءنا لم يكن مجرد صدفة، فمن أنت وماذا تريد؟».

- ولماذا تعتقدين ذلك.. ولولا كالي لما جرى بيننا أي حديث، فلست من تقرب منها بل هي أتت من تلقاء نفسها.

- ماذا تريد مني، وبأي حق تتحدث معي عن الحياة والموت.. فأنت ليس بمقدورك تفهم شعور أم تذهب إلى المستشفى يومياً، لتجلس على كرسي جانب سرير عليه جسد ابنتها، جسد لا يتحرك. حتى ولا جفن يرمش. فقط تمضي وقتها وهي تراقب صدرها يعلو ويهبط. وبأسلوب فظ أخبرته كيف تمضي الأيام بلياليها ونهاراتها وهي تتضرع لله من أجل مساعدة ابنتها، وكيف تتحدث إليها آملة أن تسمع منها ولو كلمة واحدة. «لا أحد يدري أن حياتي انتهت منذ زمن.. منذ تعرضت لورين للحادث.. منذ ذلك الحين، وأنا بدلاً من أنتظر مكالمة منها، تراني انتظر مكالمة من المستشفى ليقال لي لقد انتهى كل شيء»..

«أستيقظ عند الصباح وأنا أفكر فيها، وكذلك عندما آوي إلى فراشي». وغرقت السيدة كلاين في البكاء لا بل في النحيب... «أنا كذلك الفلاح الذي تعب وشقي، إنما لم يحصد.. كانت عندي زهرة على شجرة، إنما الزهرة لم تتحول إلى ثمرة، جاءت عاصفة هوجاء ورمتها أرضاً».

مد آرثر يده ووضعها على كتفها مبدياً اعتذاره عما سبب لها من

ألم. لكنها طلبت إليه أن يتركها وشأنها لأنها غير قادرة على الكلام، وتريد الإختلاء بنفسها لعلها تجد جزءاً بسيطاً من الاستراحة النفسية.

ثانية اعتذر آرثر، وربت على عنق كالي ومضى في طريقه عائداً إلى سيارته ولاحظ من خلال المرآة، أن والدة لورين ما تزال تراقبه.

لورين، كانت تنتظره في الشقة، وكالعادة عند النافذة، وما إن دخل حتى بادرته بالسؤال «هات أخبرني ماذا جرى».

أخبرها آرثر أدق التفاصيل، كيف أنه لم يتمكن من الاستمرار في الحديث مع والدتها لمناقشة القرار الذي اتخذته أو الذي ستتخذه معرباً عن أسفه.

- كنت أعرف هذا.. إنها لن تغيّر رأيها، إنها لا تتخذ قراراتها إلا بعد تحليل وتمحيص، إنها عنيدة جداً... هي أمي وأعرفها جيداً، إن صممت على شيء فلا مجال للمناقشة فيه مطلقاً.. إنها عنيدة كالبغال.

- لا تكوني قاسية في أحكامك، لأن قلبها ينفطر ألماً... حياتها جحيم.

- أي صهر قد تكون؟ ستمضي عمرك مدافعاً عن حماتك.

- أما تعتقدين أن هذا خارج الموضوع؟

- فكرت فقط، أنك لو تزوجتني فستكون أرملاً قبل الليلة الأولى.

- أهذا عرض أم مزاح سمج؟

- إنسَ ما قلته آرثر.. يا له من يوم تعيس؟ بدا الإنفعال عليها جلياً واضحاً، تقدمت منه، طبعت قبلة على خده واختفت.

WWW.REWITY.COM

حين عودتها مساءً، وجدت آرثر يجلس إلى مكتبه ويدوّن ما يجب تأمينه لإنجاح خططه.

- أي نوع من العلاج يعطونك في المستشفى؟

- ماذا؟

- نعم أما من علاجات يحقن بها جسدك؟

- أخبرته إنها تغذى بواسطة الأنابيب ثلاث مرات يومياً، وكذلك تحقن بالمضادات الحيوية ثلاث مرات اسبوعياً منعاً للتفاعلات الجانبية وكيف يتقلب جسدها كل صبح ومساء وعن تدليك الارداف والأرجل والأذرع والأكتاف حتى لا تتصلب. إنها أمور عادية، بإمكان أي ممرضة القيام بها. وما عدا ذلك، فهناك آلة تخطيط القلب ودلائل الحياة.

- إني أتنفس طبيعياً، وهذا ما جعلهم يقونني حية حتى اليوم، وإلا كانوا نزعوا كل الأنابيب منذ زمن.

- هل سبق لك وأشرفت على علاج مريض حالته كحالتك؟

- نعم ولا.. سبق لي وأشرفت على إحدى الحالات الطارئة في قسم الطوارىء، ليس لفترة طويلة..

- ولكن ماذا لو طلب منك فعل ذلك؟

- اسمع آرثر، طالما أن تعليمات الطبيب المشرف واضحة، فلا شيء صعب أبداً، كما تعلم أن الممرضات هن اللواتي يعتنين عملياً بالمريض. الطبيب يشخص الحالة، ويصف الدواء وكيفية المعالجة وهن ينفذن، إلا فيما ندر من الحالات.

- شيء رائع إذن. طالما أنه بمقدورك فعل ذلك.

- أعتقد ذلك.. ولكن ما الذي تنوي فعله.

- هل عملية التغذية، معقدة؟

- ماذا تعني؟

- أعني أمرين: الأول هل هذه المواد الغذائية متوفرة في الصيدليات العامة؟ والثاني هل يمكنك تغذية جسدك بواسطة الأنابيب؟

- إنها متوفرة في صيدليات المستشفيات

- وماذا عن الصيدليات العامة؟

فكرت لورين قليلاً وبحركة من رأسها أجابت بالنفي، لكنها استطردت شارحة كيفية تحضير هذه الأمصال من خلال مزج المواد الأولية بنسب معينة. وأن هذه المواد الأساسية متوفرة خارج صيدليات المستشفيات.. أما كيفية مد المريض بها، فهذه عملية سهلة حتى ولو في المنزل.

- إذن عليّ الاستعانة ببول.

- لماذا؟

- لإيجاد سيارة إسعاف.

- سيارة إسعاف؟ ولماذا؟... أمجنون أنت.. كن واضحاً ما الذي تريد فعله؟

- إني أخطط لاختطافك.

انتفضت لورين جسدياً وعقلياً، بدا الإندهاش عليها وصاحت «ماذا؟».

WWW.REWITY.COM

ـ كما سمعت، سنختطف جسدك من المستشفى؛ وهكذا لن يكون بوسعهم إنهاء حياتك.

ـ أفقدت صوابك آرثر؟

ـ لا... ليس بعد.

كيف يمكننا اختطافي؟... أين ستخفي الجسد؟ ومن الذي سيعتني به؟

ـ أسئلة واضحة.. ولكن ما عليك.. أنت من سيعتني بالجسد، كل ما هو مطلوب منك شرح كيفية الإعتناء، وأنا أتكفل بالباقي. كل ما علينا الآن هو المواد الأساسية وتحضير الأمصال المغذية. إضافة إلى شراء الأنابيب والحقن اللازمة..كما سبق وقلت، هذه ليست عملية معقدة... أليس كذلك؟

ـ ولكن أي طبيب سيوقع الوصفة الطبية؟

ـ حسناً هذا يعيدنا إلى تساؤلاتك: لماذا وكيف وماذا بعدئذٍ؟

ـ يبقى سؤال واحد..

ـ ما هو؟

ـ ولكن لماذا تفعل كل ذلك؟

ـ حسناً، سأروي لك الآن حكاية نقلاً عن أمي.. ذات ليلة، كانت مدعوة لحفل عشاء والتقت بجراح عيون غير مشهور. الدكتور كوبيرن ميلر كان يبدو وكأنه أسعد البشر، كان يرقص بفرح عظيم، يوزع ابتسامته على الحاضرين دونما استثناء. سألته ليلي عن سر سعادته هذه فأخبرها، أنه منذ اسبوعين أجرى عملية جراحية

لفتاة في العاشرة من عمرها، ولدت عمياء، وحتى ذاك اليوم لا تعرف شيئاً عن العالم الخارجي، لا صور مطبوعة في رأسها ولا من يحزنون، تعرف أهلها من أصواتهم، وتتخيلهم، ومن يدري قد تكون تخيلت أباها أنه على شكل أمها أو لربما من يدري.

إجراء العملية كان أشبه بضرب من الجنون بسبب عدم ضمان نجاحها ولو بنسبة نصف بالمئة، لكن الدكتور ميلر أصر على ضرورة فعل شيء قد يعيد هذه الفتاة إلى العالم الواقعي، إلى العالم الحقيقي، قد يجعلها تتعرف إلى وجه أبيها وأمها، وتصبح قادرة على التمييز بين الشجرة وعمود الكهرباء، بين الكلب والقطة.

وبعيد ظهر ذاك اليوم، يوم حفلة العشاء، ذهب الدكتور ميلر إلى المستشفى وأبلغ الفتاة أنه سيرفع الضمادات عن عينيها، وأنها سترى أشياء وأشياء وكل ما عليها هو عدم الخوف. سألته الفتاة عن أول شيء ستراه فقال «النور».

ـ وما هو النور؟

ـ إنه الحياة.. ليس بوسع أي انسان أن يصفه.. ولكن ...

وأخذ الدكتور يرفع الضمادات ببطء وعناية، وفجأة أبصرت الفتاة النور، فارتعشت وخافت.. إنها ترى أشياء لم تعهدها من قبل، وفي الوقت ذاته، أخذت ملايين الصور تدخل عبر عينيها إلى دماغها. شعر الدكتور ميلر بخوف الفتاة، فأعاد الضمادات إلى مكانها. ضمها إلى صدره وراح يخبرها عما سترى، وأنها بعد اليوم لن تعتمد على مخيلتها، بل على الواقع الملموس. عاد ونزع الضمادات وهي بين ذراعيه ما تزال. أول شيء فعلته الفتاة، كان أن

WWW.REWITY.COM

نظرت إليه، ثم حركت أنامل يدها فسُرّت لرؤية هذه الحركة، أجالت النظر في الغرفة وتساءلت عن كل شيء، عن الباب، عن الجدار، عن اللوحات المعلقة على الجدران، ومن ثم حدّقت بلعبتها التي كانت رفيقتها الدائمة أيام العتمة، كانت تدركها باللمس، أما اليوم فها هي تراها وتلمسها معاً.

وفجأة فتح الباب ودخلت امرأة في الأربعين من العمر وعلى شفتيها ابتسامة عريضة دون ان تتفوه بأية كلمة.

نظرت الفتاة إليها وفتحت ذراعيها «أمي.. أمي ها أنا أراك». نعم «ها أنا أراك».

أتعرفين الآن لماذا كان الدكتور سعيداً تلك الليلة؟... لأنه أدخل السعادة إلى قلب فتاة بريئة. لأنه قام بعمل رائع لن ينساه طالما هو حي. لقد اقتنص فرصة إثبات وجوده، ونجح، وهكذا أنا.. قد تكونين أنت الفرصة التي انتظرتها نحواً من عشرين سنة؛ وما أنوي فعله هو ما سبق للدكتور ميلر أن فعله.

ابتسمت لورين وهي ترنو إليه «ولكن.. كيف؟».

ـ اسمعي لورين. بول سيتدبر أمر سيارة الإسعاف، وأنا سأتدبر الباقي.

ـ أنت مجنون فعلاً... وهل تعتقد أن اختطاف مريض من مستشفى أشبه بلعبة طفولية أو سرقة تفاحة عن شجرة في بستان؟ وهل تعتقد أن دخول المستشفى هو أشبه بدخول سوبر ماركت. إذا كان خروج مريض من المستشفى يتطلب عملاً مضنياً، فكيف

باختطافه؟ لا بد من وجود مستندات رسمية ممهورة بخاتم المستشفى وموقعة من الطبيب المختص.

هذا ما عليك فعله لمساعدتي.

ـ كيف؟

ـ لا شك أنك تعرفين أين تحفظ الاستمارات الطبية وما شابه من أوراق رسمية تعتمدها الإدارة.

نعم وماذا بعد؟

أنا من سيسرق تلك الأوراق. هل استوعبت معنى كلامي ولكن هل سبق لك وملأت هكذا مستندات؟

«نعم.. فعلت ذلك. إنها على ثلاث نسخ، الأولى بيضاء والثانية زهرية اللون أما الثالثة فزرقاء، وبالطبع كلها مروسة باسم المستشفى أو مركز الاسعاف.

حسناً سنتمكن من الحصول على هذه النماذج ومن ثم نزوّرها.. تعالي.. أسرعي.

ارتدى آرثر معطفة وتناول مفاتيح سيارته وطلب من لورين مرافقته، طلب منها ذلك باسلوب الآمر الناهي حتى لا يكون أمامها مجال إلا الإنصياع لرغبته. وذهبا معاً إلى مستشفى سان فرنسيسكو التذكاري. أوقف سيارته أمام مدخل قسم الطوارى، وحين سألته لورين عن سبب فعلته هذه، نظر إليها وابتسامة خبيثة على شفتيه وقال: «ما عليك إلا مرافقتي». واتجه مباشرة نحو مكتب الدخول في قسم الطوارىء، وراح يشرح للممرضة المناوبة، أنه أحس بألم حاد في خاصرته اليمنى منذ ساعتين ويعتقد أن هذا الألم هو بسبب

WWW.REWITY.COM

التهاب الزائدة الدودية. أعطته الممرضة بعض الأوراق كي يملأها، وذهبت لجلب حقنة لأخذ عينة من دمه تمهيداً لإرسالها إلى المختبر كذلك تأكدت من دقات قلبه وضغط الدم، وطلبت منه وهي تخرج من الغرفة، أن ينتظر الطبيب المناوب ابتسمت لورين وهي تنظر إليه كيف يتظاهر أنه يعاني من الألم حتى أنها كادت تصدق أنه فعلاً يتألم.

- «أنت لا تدري ماذا تريد». قالت لورين.

وجاء الدكتور سبيسك وأخذ بإجراء الفحوصات الروتينية ويكثر من الأسئلة حول وضع آرثر الصحي، ومما يشكو وكيف ومتى أحس بالألم.

- أيمكنك تحديد موقع الألم بدقة؟

- إنه في معدتي، الحقيقة لا يمكنني فعل ذلك

- لا تبالغ في إظهار الألم قالت لورين «وإلا ستمضي ليلة أو اثنين هنا».

- هل أنت عصبي المزاج؟ تساءل الدكتور سبيسك

- يمكنك قول ذلك.

- إذن ما عليك إلا الهدوء فآلامك ناتجة عن تشنجات في أعصاب المعدة.. على كل سأصف لك الدواء المناسب.

خرج الدكتور سبيسك، وارتسمت أسارير الفرح على وجه آرثر، ففي حوزته كل ما يريد من مستندات واستمارات قد تساعده على اختطاف جسد لورين وكلها باسم مستشفى سان فرنسيسكو التذكاري.

في الشقة أخذ آرثر يزوّر المستندات مستعيناً بآلة النسخ الإلكترونية والحاسوب، وهكذا حصل على ما يريد من مستندات

- أهذه هي؟

- أهكذا أنت دائماً، إن صممت على فعل شيء، لا أحد يثنيك عنه.

- لأجلك أفعل المستحيل.

- ولكن...

- قاطعها آرثر «ولكن ماذا؟».

- سيارة الإسعاف؟

- لا عليك، فهذه مهمة بول..

- من...؟ بول... كيف ذلك؟

- إسمعيني لورين. زوج والدته يمتلك مصنعاً لترميم وتجديد سيارات الإسعاف، وهكذا لن يجد صعوبة في تأمين واحدة.

- وهل اقتنع بذلك؟ وكيف...؟ أما ترى أنك أجبرته على فعل قد يؤدي به - كما بك - إلى السجن؟

- للمرة المليون أقول لك، حياتك عندي أهم ما في الوجود وأتمنى ألا تكرري سؤالك المعهود لماذا أفعل هذا؟

- وكيف لي ألا أفعل؟ إن ما ستقوم به هو عمل متهور، فدخول المستشفى - وفي مثل هذه الحال خاصة - أمر صعب، وليس كدخول متجر أو مطعم. تدخل وتخرج كما يحلو لك.

- حسناً إذن؟ وكيف أمنعهم من إماتتك؟ أذهب إليهم أزعق في

WWW.REWITY.COM
RAYAHEEN
WWW.REWITY.COM

وجوههم معلناً أني سأقطع اليد التي تمتد لنزع أنابيب التغذية عن جسدك. وإن تصدّت لي والدتك ماذا أقول؟

- آرثر، لا أحد يعلم مدى شكري لك. ولكن...

- ولكن ماذا؟ قال مقاطعاً.

- وإن فشلت الخطة، لن يتم القضاء عليّ وحدي، بل عليك وعلى بول أيضاً..

- لن نفشل .ولا تخافي لا عليّ ولا على بول، الآن عليّ الذهاب إلى المستشفى أولاً، ومن ثم شراء المواد الأساسية للتغذية، علينا تحضير كل شيء قبل يوم غد.

- ولماذا المستشفى؟

- أنسيت. علينا، أنا وبول أن نكون مرتدين الرداء الأبيض، وإلا سنكون فعلاً قد ورطنا أنفسنا.

قال هذا، ودونما استئذان، أو أية كلمة، نهض مسرعاً قاصداً المستشفى/ قسم الطوارىء، حيث قابل الممرضة المناوبة التي استقبلته مبتسمة:

- عفواً سيدي كيف لي أن أخدمك؟

- الحقيقة أني آتٍ لرؤية قريبة لي تعمل هنا.

- ومن تكون قريبتك هذه؟

- إنها الدكتورة لورين كلاين.

- من؟.. قالت الممرضة والإندهاش بادٍ على محياها.

- الدكتورة لورين كلاين.

WWW.REWITY.COM

- ومنذ متى لم تلتقيا؟

- منذ زمن بعيد.. منذ نيف وسبعة أشهر فأنا أعمل مصوراً صحافياً في إفريقيا.

- اسمع يا سيدي.. ما عليك إلا التوجه إلى الاستعلامات في المبنى التالي. أنا حديثة العهد هنا، والدكتورة لورين لا تعمل في قسم الطوارىء.

- إذن علي الذهاب إلى المبنى الآخر، المبنى الرئيسي أليس كذلك؟

- نعم سيدي.

شكرها وخرج من الغرفة متجهاً نحو الممر، وأخذ يتجول في الممرات حتى وجد باب إحدى الغرف مفتوحاً. نظر إلى الداخل فوجد رداءين أبيضين معلقين على المشجب. تلفت حوله ليتأكد من عدم وجود أحد، دخل الغرفة وأخذ الرداءين ووضعهما تحت معطفه وأعاد تزريره، وخرج من المبنى بشكل طبيعي، متجهاً نحو سيارته التي كان قد ركنها في موقف قسم الطوارىء، في طريق العود عرج على الصيدليات وابتاع كل المستلزمات الضرورية لتغذية الجسد والمضادات الحيوية

لورين كانت تقف عند النافذة كعادتها، ودون أن تلتفت لآرثر قالت «لا بد أنك فقدت صوابك» ودون أية كلمة تقدم منها ورمى الرداءين أمامها.

ابتسمت لورين «لا تقل إن سيارة الإسعاف في المرآب أيضاً».

- لا... هذه مهمة بول وسيكون هنا على الموعد المحدد، بالساعة والدقيقة والثانية.

- ومن أين أتيت بالرداءين؟

- من قسم الطوارىء.

فعلاً إنك إنسان عنيد، لا أحد يثنيك عن فعل ما ترغب أن تفعله.. ورداء من هذا؟

ارتدى آرثر الرداء وأخذ يتمخطر به.

ابتسمت لورين «لقد سرقت رداء الدكتور برونسويك».

- ومن يكون هذا؟

- إنه طبيب قلب مشهور.

- إذن قد يكتشف العاملون ذلك؟

- لا عليك، فلا أحد يعرف الدكتور برونسوبك إلا قلائل من الذين يعملون في قسم طبابة القلب والشرايين فقط ومن ثم فهو ليس طبيباً مقيماً في المستشفى بل يأتي بناءً للطلب وفي الحالات الطارئة.

نظرت لورين إلى آرثر وهو يرتدي رداء الدكتور برونسوبك ويضع السماعة حول عنقه «فعلاً أنت طبيب جذاب آرثر» تقدمت منه أخذته بين ذراعيها وقبلته على شفتيه «من يدري يا آرثر قد تكون هذه آخر قبلة؟».

شدها إليه وهو يقول «لا لن تكون كذلك، لن أسمح لأحد، كائناً من كان أن ينهي حياتك قبل حياتي».

- شكرا آرثر.

- دعك من شكري، ما يزال أمامنا عمل كثير.

- ولدينا الوقت الكافي أليس كذلك؟

- ليس أكثر من أربع وعشرين ساعة، تكونين بعدها في مأمن من رغبات الأطباء.

- إذا تم كل شيء على مايرام.

- سيكون ذلك.

WWW.REWITY.COM

10

صباح اليوم التالي لأول مرة منذ أسبوعين، تناول آرثر فطوره وهو يقرأ صحف الصباح. ، فيما لورين تقف وراءه تدلك كتفيه وتحدق به، بإعجاب. منذ أسبوع، وهي تنظر إليه هكذا وتردد عليه سؤالاً أصبح معهوداً لديه «أما تزال مستعداً للمضي فيما أنت عازم عليه؟». وكما في كل مرة، لزم آرثر الصمت واكتفى بالابتسام.

عند الظهيرة كانا يتنزهان، على شاطيء الخليج، يراقبان أمواجه الهائجة، الجبال المكللة بالأشجار الخضراء، والأضواء التي تخدع النظر بتغير ألوانها كل دقيقة، الطيور تحوم، الأسماك الكبيرة تبحث عن فرائسها بين الأسماك الصغيرة والأضعف، وطيور النورس تحوم فوق الماء بحثاً عن سمكة أحبت أن تطفو، فإذا بها تصبح فريسة.

ـ إنه التناغم في الطبيعة، الأمواج ـ الرياح ـ الرمال ـ الأشجار. إنه التناغم الذي لا أحد يدرك كيف يتم وكيف يتناسق، التناغم الذي يبهرني ويبهرك ويبهر معظم المخلوقات البشرية. ولكن كم من البشر يرون الأشياء كما أراها؟ كم من البشر يدركون أهمية أن تكون مرئياً، مسموعاً ومحسوساً؟

ـ هناك كثيرون غير قادرين على تناسي، أوجاعهم أو ما يقلقهم بمجرد النظر إلى هذه المعجزة الإبداعية في التناغم والتناسق، لأن في

WWW.REWITY.COM

حياتهم ما يبقيهم قلقين حائرين، متسائلين كيف يجدون حلولاً لمشاكلهم، ولكن لا أحد يهتم بما أنت تعطيه. أنت حالة فريدة. إن لم نقل نادرة. قد يكون الآخرون قادرون على حل مشاكلهم بأنفسهم، أما أنت فلا... ولهذا أنت بحاجة لمن يأخذ بيدك، لمن يقدم المساعدة.

- من هنا ورداً على سؤالك الذي ترددينه دائماً، صبحاً وظهراً ومساءً، فيما لو تخليت عن رغبتي بالمخاطرة، فقد تجدين هذا الجمال وتلك الحيوية في خطر، قد لا تعودين موجودة. لذا فالذي أعمله من أجل إعادتك إلى العالم، إنما أفعله لأحقق ذاتي، وأعطي لحياتي قيمة ومعنى. فكيف لي عدم القيام بعمل يحقق هذا؟

لم تتفوه لورين بأية كلمة، بل استمرت تحدق بالأفق حيناً وبأمواج مياه الخليج حيناً آخر، وهي تحفر بيدها على رمل الشاطىء خطوطاً تتشابك مرات وتتوازى مرات أخرى. خطوطاً لو رآها عالم تحليل نفسي، لكان انكب على دراستها وحلل الحالة النفسية للورين المتمسكة بالحياة، التي لم يتمكن اليأس من القضاء على ابتسامتها. وهي في الوقت ذاته مهددة بالموت في كل لحظة. إنسانة تعاني من مثل هذه العذابات، ماذا سترسم وماذا ستحفر؟

في الموعد المحدد، بالساعة والثانية، أوقف بول سيارة الإسعاف إلى جانب الطريق وصعد الأدراج مسرعاً نحو شقة آرثر، ما إن فُتح الباب حتى صاح «كل شيء جاهز».

ناول آرثر بول حقيبة، وطلب إليه ارتداء لباس معين ووضع نظارة طبية على عينيه.

- ماذا؟ وكيف لي قيادة سيارة الإسعاف وأنا أضع هذه النظارة على عيني.

- لا تخف إنها مجرد زجاج صافٍ، لا أكثر ولا أقل.

- أوليس هناك لحية مزيفة أيضاً؟

تجاهل آرثر سخرية بول وأردف يقول:

- ونحن في الطريق إلى المستشفى سأوضح لك الأمور. علينا أن نسرع الآن لنتم كل شيء في لحظة التسلم والتسليم بين الفريقين المناوبين... لورين تعالي معنا، فقد نكون بحاجة إليك.

- أتتكلم مع الشبح؟

- كفى بول.. لنمضي.

سبقتهما لورين وجلست على المقعد الأمامي لسيارة الإسعاف.

- ما هذه يا بول، إنها قديمة جداً أليس كذلك؟

ولكن صدقني بأن طعمها يشبه طعم النبيذ المعتق منذ عام 1971.

- عفواً سيدي.. اعتذر يا عزيزي. قال بول ومضى متابعاً حديثه «إنك كالمتسول الذي يضع شروطاً على المحسنين إليه. إنها السيارة الوحيدة التي تمكنت من سرقتها».

- لا عليك كنت أمزح، أولم تقل إن لها طعماً يشبه طعم النبيذ المعتق؟

- أتريد تشغيل الأضواء وزمور السيارة.. دكتور.

- كن جدياً بول.. هذه مسألة حياة أو موت.. أتعرف معنى هذا؟

- ليس بمقدوري أن أكون جدياً يا صديقي الذي هو كالخمرة

WWW.REWITY.COM
RAYAHEEN

المعتقة، لأني لو فعلت ذلك، لكنت وعيت أني وشريكي ذاهبان في سيارة إسعاف مسروقة لسرقة جسد إمرأة مصابة بالغيبوبة من المستشفى، ولكنت وعيت مدى خطورة هذه الحماقة، ولما كنت الآن معك. إذن دعني بسخريتي، أشعر وكأني أحلم، أو قل أعاني من كابوس.

دعك من كل هذا الآن، لطالما كنت أعتبر أوقات بعد ظهر الآحاد مملة، ولكن اليوم سيكون تاريخياً، سيكون ذكرى لا تنسى».

ضحكت لورين.

ـ كلامه مضحك أليس كذلك. قال آرثر مخاطباً لورين.

ـ كفاك تخاطباً مع نفسك. قال بول.

ـ أنا أكلم نفسي؟...لست كذلك.

ـ حسناً... حسناً، هناك شبح معنا، إنما أرجوك توقف عن الحديث معه، وإلا ستثير أعصابي.

ـ ليس هو، بل هي، إنها إمرأة وهي تسمعنا الآن...

ـ قل لي، لماذا اعتدت على التدخين مؤخراً وأي نوع تدخن، أتمنى ألا يكون...

قاطعه آرثر «تابع الطريق ودعك من الخرافات».

ـ أهكذا أنتما دائما. تساءلت لورين.

ـ هكذا وأكثر.. هذا قليل من كثير. قال آرثر.

ـ ما الذي تهذي به. قال بول.

ـ كلامي ليس موجهاً لك.

داس بول علي مكابح السيارة وأوقفها بسرعة.

ـ ما الذي تفعله؟ لماذا أوقفت السيارة؟

ـ لماذا؟ قال بول «تسألني لماذا؟ اسمعني آرثر، ما أحببت يوماً حتى لا أفقد وعيي وأصبح أعمى، وها أنت اليوم تفعل».

ـ أفعل ماذا؟

ـ تعرف ماذا تفعل.

ـ أنا لا أخاطب نفسي.. بل أخاطب لورين، ثق بما أقول.

ـ ما هذه التفاهات التي تتفوه بها... هذا جنون مطبق.

صاح آرثر «بربك ثق بي.. استحلفك بالله أن تفعل».

ـ ولكن عليك إيضاح ما يجري أولاً. قال بول بصوت رزين وتابع:

ـ تبدو كرجل مجنون وبت أخشى على نفسي أن تنتقل عدوى الجنون إلي.

ـ حسناً، سأحاول أيضاح كل شيء، ولكن أمامنا اليوم مهمة صعبة وشاقة تأكد من ذلك.. أرجوك تفهم وضعي.

فيما كانت سيارة الإسعاف تعبر شوارع سان فرنسيسكو، أخذ آرثر يوضح لبول ما يصعب إيضاحه. أخبره الحكاية من البداية حتى هذه اللحظة. من لحظة عثوره على لورين في الغرفة الملحقة بالحمام، إلى الآن.

تابع آرثر حديثه متناسياً وجود لورين «إنها إمرأة رائعة الجمال يا بول، مرحة، مثقفة. تجاذبت معها شتى أنواع الأحاديث، اتفقنا

WWW.REWITY.COM

وجوههم معلناً أني سأقطع اليد التي تمتد لنزع أنابيب التغذية عن جسدك. وإن تصدّت لي والدتك ماذا أقول؟

- آرثر، لا أحد يعلم مدى شكري لك. ولكن...

- ولكن ماذا؟ قال مقاطعاً.

- وإن فشلت الخطة، لن يتم القضاء عليّ وحدي، بل عليك وعلى بول أيضاً..

- لن نفشل .ولا تخافي لا عليّ ولا على بول، الآن عليّ الذهاب إلى المستشفى أولاً، ومن ثم شراء المواد الأساسية للتغذية، علينا تحضير كل شيء قبل يوم غد.

- ولماذا المستشفى؟

- أنسيت. علينا، أنا وبول أن نكون مرتدين الرداء الأبيض، وإلا سنكون فعلاً قد ورطنا أنفسنا.

قال هذا، ودونما استئذان، أو أية كلمة، نهض مسرعاً قاصداً المستشفى/ قسم الطوارىء، حيث قابل الممرضة المناوبة التي استقبلته مبتسمة:

- عفواً سيدي كيف لي أن أخدمك؟

- الحقيقة أني آتٍ لرؤية قريبة لي تعمل هنا.

- ومن تكون قريبتك هذه؟

- إنها الدكتورة لورين كلاين.

- من؟.. قالت الممرضة والإندهاش بادٍ على محياها.

- الدكتورة لورين كلاين.

WWW.REWITY.COM

- ومنذ متى لم تلتقيا؟

- منذ زمن بعيد.. منذ نيف وسبعة أشهر فأنا أعمل مصوراً صحافياً في إفريقيا.

- اسمع يا سيدي.. ما عليك إلا التوجه إلى الاستعلامات في المبنى التالي. أنا حديثة العهد هنا، والدكتورة لورين لا تعمل في قسم الطوارىء.

- إذن علي الذهاب إلى المبنى الآخر، المبنى الرئيسي أليس كذلك؟

- نعم سيدي.

شكرها وخرج من الغرفة متجهاً نحو الممر، وأخذ يتجول في الممرات حتى وجد باب إحدى الغرف مفتوحاً. نظر إلى الداخل فوجد رداءين أبيضين معلقين على المشجب. تلفت حوله ليتأكد من عدم وجود أحد، دخل الغرفة وأخذ الرداءين ووضعهما تحت معطفه وأعاد تزريره، وخرج من المبنى بشكل طبيعي، متجهاً نحو سيارته التي كان قد ركنها في موقف قسم الطوارىء، في طريق العود عرج على الصيدليات وابتاع كل المستلزمات الضرورية لتغذية الجسد والمضادات الحيوية

لورين كانت تقف عند النافذة كعادتها، ودون أن تلتفت لآرثر قالت «لا بد أنك فقدت صوابك» ودون أية كلمة تقدم منها ورمى الرداءين أمامها.

ابتسمت لورين «لا تقل إن سيارة الإسعاف في المرآب أيضاً».

- لا... هذه مهمة بول وسيكون هنا على الموعد المحدد، بالساعة والدقيقة والثانية.

وجوههم معلناً أني سأقطع اليد التي تمتد لنزع أنابيب التغذية عن جسدك. وإن تصدّت لي والدتك ماذا أقول؟

- آرثر، لا أحد يعلم مدى شكري لك. ولكن...

- ولكن ماذا؟ قال مقاطعاً.

- وإن فشلت الخطة، لن يتم القضاء عليّ وحدي، بل عليك وعلى بول أيضاً..

- لن نفشل .ولا تخافي لا عليّ ولا على بول، الآن عليّ الذهاب إلى المستشفى أولاً، ومن ثم شراء المواد الأساسية للتغذية، علينا تحضير كل شيء قبل يوم غد.

- ولماذا المستشفى؟

- أنسيت. علينا، أنا وبول أن نكون مرتدين الرداء الأبيض، وإلا سنكون فعلاً قد ورطنا أنفسنا.

قال هذا، ودونما استئذان، أو أية كلمة، نهض مسرعاً قاصداً المستشفى/ قسم الطوارىء، حيث قابل الممرضة المناوبة التي استقبلته مبتسمة:

- عفواً سيدي كيف لي أن أخدمك؟

- الحقيقة أني آتٍ لرؤية قريبة لي تعمل هنا.

- ومن تكون قريبتك هذه؟

- إنها الدكتورة لورين كلاين.

- من؟.. قالت الممرضة والإندهاش بادٍ على محياها.

- الدكتورة لورين كلاين.

WWW.REWITY.COM

- ومنذ متى لم تلتقيا؟

- منذ زمن بعيد.. منذ نيف وسبعة أشهر فأنا أعمل مصوراً صحافياً في إفريقيا.

- اسمع يا سيدي.. ما عليك إلا التوجه إلى الاستعلامات في المبنى التالي. أنا حديثة العهد هنا، والدكتورة لورين لا تعمل في قسم الطوارىء.

- إذن علي الذهاب إلى المبنى الآخر، المبنى الرئيسي أليس كذلك؟

- نعم سيدي.

شكرها وخرج من الغرفة متجهاً نحو الممر، وأخذ يتجول في الممرات حتى وجد باب إحدى الغرف مفتوحاً. نظر إلى الداخل فوجد رداءين أبيضين معلقين على المشجب. تلفت حوله ليتأكد من عدم وجود أحد، دخل الغرفة وأخذ الرداءين ووضعهما تحت معطفه وأعاد تزريره، وخرج من المبنى بشكل طبيعي، متجهاً نحو سيارته التي كان قد ركنها في موقف قسم الطوارىء، في طريق العود عرج على الصيدليات وابتاع كل المستلزمات الضرورية لتغذية الجسد والمضادات الحيوية

لورين كانت تقف عند النافذة كعادتها، ودون أن تلتفت لآرثر قالت «لا بد أنك فقدت صوابك» ودون أية كلمة تقدم منها ورمى الرداءين أمامها.

ابتسمت لورين «لا تقل إن سيارة الإسعاف في المرآب أيضاً».

- لا... هذه مهمة بول وسيكون هنا على الموعد المحدد، بالساعة والدقيقة والثانية.

- ومن أين أتيت بالرداءين؟

- من قسم الطوارىء.

فعلاً إنك إنسان عنيد، لا أحد يثنيك عن فعل ما ترغب أن تفعله.. ورداء من هذا؟

ارتدى آرثر الرداء وأخذ يتمخطر به.

ابتسمت لورين «لقد سرقت رداء الدكتور برونسويك».

- ومن يكون هذا؟

- إنه طبيب قلب مشهور.

- إذن قد يكتشف العاملون ذلك؟

- لا عليك، فلا أحد يعرف الدكتور برونسوبك إلا قلائل من الذين يعملون في قسم طبابة القلب والشرايين فقط ومن ثم فهو ليس طبيباً مقيماً في المستشفى بل يأتي بناءً للطلب وفي الحالات الطارئة.

نظرت لورين إلى آرثر وهو يرتدي رداء الدكتور برونسوبك ويضع السماعة حول عنقه «فعلاً أنت طبيب جذاب آرثر» تقدمت منه أخذته بين ذراعيها وقبلته على شفتيه «من يدري يا آرثر قد تكون هذه آخر قبلة؟».

شدها إليه وهو يقول «لا لن تكون كذلك، لن أسمح لأحد، كائناً من كان أن ينهي حياتك قبل حياتي».

- شكرا آرثر.

- دعك من شكري، ما يزال أمامنا عمل كثير.

- ولدينا الوقت الكافي أليس كذلك؟

- ليس أكثر من أربع وعشرين ساعة، تكونين بعدها في مأمن من رغبات الأطباء.

- إذا تم كل شيء على مايرام.

- سيكون ذلك.

WWW.REWITY.COM

10

صباح اليوم التالي لأول مرة منذ أسبوعين، تناول آرثر فطوره وهو يقرأ صحف الصباح. ، فيما لورين تقف وراءه تدلك كتفيه وتحدق به، بإعجاب. منذ أسبوع، وهي تنظر إليه هكذا وتردد عليه سؤالاً أصبح معهوداً لديه «أما تزال مستعداً للمضي فيما أنت عازم عليه؟». وكما في كل مرة، لزم آرثر الصمت واكتفى بالابتسام.

عند الظهيرة كانا يتنزهان، على شاطيء الخليج، يراقبان أمواجه الهائجة، الجبال المكللة بالأشجار الخضراء، والأضواء التي تخدع النظر بتغير ألوانها كل دقيقة، الطيور تحوم، الأسماك الكبيرة تبحث عن فرائسها بين الأسماك الصغيرة والأضعف، وطيور النورس تحوم فوق الماء بحثاً عن سمكة أحبت أن تطفو، فإذا بها تصبح فريسة.

ـ إنه التناغم في الطبيعة، الأمواج ـ الرياح ـ الرمال ـ الأشجار. إنه التناغم الذي لا أحد يدرك كيف يتم وكيف يتناسق، التناغم الذي يبهرني ويبهرك ويبهر معظم المخلوقات البشرية. ولكن كم من البشر يرون الأشياء كما أراها؟ كم من البشر يدركون أهمية أن تكون مرئياً، مسموعاً ومحسوساً؟

ـ هناك كثيرون غير قادرين على تناسي، أوجاعهم أو ما يقلقهم بمجرد النظر إلى هذه المعجزة الإبداعية في التناغم والتناسق، لأن في

WWW.REWITY.COM

حياتهم ما يبقيهم قلقين حائرين، متسائلين كيف يجدون حلولاً لمشاكلهم، ولكن لا أحد يهتم بما أنت تعطيه. أنت حالة فريدة. إن لم نقل نادرة. قد يكون الآخرون قادرون على حل مشاكلهم بأنفسهم، أما أنت فلا... ولهذا أنت بحاجة لمن يأخذ بيدك، لمن يقدم المساعدة.

- من هنا ورداً على سؤالك الذي ترددينه دائماً، صبحاً وظهراً ومساءً، فيما لو تخليت عن رغبتي بالمخاطرة، فقد تجدين هذا الجمال وتلك الحيوية في خطر، قد لا تعودين موجودة. لذا فالذي أعمله من أجل إعادتك إلى العالم، إنما أفعله لأحقق ذاتي، وأعطي لحياتي قيمة ومعنى. فكيف لي عدم القيام بعمل يحقق هذا؟

لم تتفوه لورين بأية كلمة، بل استمرت تحدق بالأفق حيناً وبأمواج مياه الخليج حيناً آخر، وهي تحفر بيدها على رمل الشاطىء خطوطاً تتشابك مرات وتتوازى مرات أخرى. خطوطاً لو رآها عالم تحليل نفسي، لكان انكب على دراستها وحلل الحالة النفسية للورين المتمسكة بالحياة، التي لم يتمكن اليأس من القضاء على ابتسامتها. وهي في الوقت ذاته مهددة بالموت في كل لحظة. إنسانة تعاني من مثل هذه العذابات، ماذا سترسم وماذا ستحفر؟

في الموعد المحدد، بالساعة والثانية، أوقف بول سيارة الإسعاف إلى جانب الطريق وصعد الأدراج مسرعاً نحو شقة آرثر، ما إن فُتح الباب حتى صاح «كل شيء جاهز».

ناول آرثر بول حقيبة، وطلب إليه ارتداء لباس معين ووضع نظارة طبية على عينيه.

- ماذا؟ وكيف لي قيادة سيارة الإسعاف وأنا أضع هذه النظارة على عيني.

- لا تخف إنها مجرد زجاج صافٍ، لا أكثر ولا أقل.

- أوليس هناك لحية مزيفة أيضاً؟

تجاهل آرثر سخرية بول وأردف يقول:

- ونحن في الطريق إلى المستشفى سأوضح لك الأمور. علينا أن نسرع الآن لنتم كل شيء في لحظة التسلم والتسليم بين الفريقين المناوبين... لورين تعالي معنا، فقد نكون بحاجة إليك.

- أتتكلم مع الشبح؟

- كفى بول.. لنمضي.

سبقتهما لورين وجلست على المقعد الأمامي لسيارة الإسعاف.

- ما هذه يا بول، إنها قديمة جداً أليس كذلك؟

ولكن صدقني بأن طعمها يشبه طعم النبيذ المعتق منذ عام 1971.

- عفواً سيدي.. اعتذر يا عزيزي. قال بول ومضى متابعاً حديثه «إنك كالمتسول الذي يضع شروطاً على المحسنين إليه. إنها السيارة الوحيدة التي تمكنت من سرقتها».

- لا عليك كنت أمزح، أولم تقل إن لها طعماً يشبه طعم النبيذ المعتق؟

- أتريد تشغيل الأضواء وزمور السيارة.. دكتور.

- كن جدياً بول.. هذه مسألة حياة أو موت.. أتعرف معنى هذا؟

- ليس بمقدوري أن أكون جدياً يا صديقي الذي هو كالخمرة

WWW.REWITY.COM
RAYAHEEN

المعتقة، لأني لو فعلت ذلك، لكنت وعيت أني وشريكي ذاهبان في سيارة إسعاف مسروقة لسرقة جسد إمرأة مصابة بالغيبوبة من المستشفى، ولكنت وعيت مدى خطورة هذه الحماقة، ولما كنت الآن معك. إذن دعني بسخريتي، أشعر وكأني أحلم، أو قل أعاني من كابوس.

دعك من كل هذا الآن، لطالما كنت أعتبر أوقات بعد ظهر الآحاد مملة، ولكن اليوم سيكون تاريخياً، سيكون ذكرى لا تنسى».

ضحكت لورين.

ـ كلامه مضحك أليس كذلك. قال آرثر مخاطباً لورين.

ـ كفاك تخاطباً مع نفسك. قال بول.

ـ أنا أكلم نفسي؟...لست كذلك.

ـ حسناً... حسناً، هناك شبح معنا، إنما أرجوك توقف عن الحديث معه، وإلا ستثير أعصابي.

ـ ليس هو، بل هي، إنها إمرأة وهي تسمعنا الآن...

ـ قل لي، لماذا اعتدت على التدخين مؤخراً وأي نوع تدخن، أتمنى ألا يكون...

قاطعه آرثر «تابع الطريق ودعك من الخرافات».

ـ أهكذا أنتما دائما. تساءلت لورين.

ـ هكذا وأكثر.. هذا قليل من كثير. قال آرثر.

ـ ما الذي تهذي به. قال بول.

ـ كلامي ليس موجهاً لك.

داس بول علي مكابح السيارة وأوقفها بسرعة.

ـ ما الذي تفعله؟ لماذا أوقفت السيارة؟

ـ لماذا؟ قال بول «تسألني لماذا؟ اسمعني آرثر، ما أحببت يوماً حتى لا أفقد وعيي وأصبح أعمى، وها أنت اليوم تفعل».

ـ أفعل ماذا؟

ـ تعرف ماذا تفعل.

ـ أنا لا أخاطب نفسي.. بل أخاطب لورين، ثق بما أقول.

ـ ما هذه التفاهات التي تتفوه بها... هذا جنون مطبق.

صاح آرثر «بربك ثق بي.. استحلفك بالله أن تفعل».

ـ ولكن عليك إيضاح ما يجري أولاً. قال بول بصوت رزين وتابع:

ـ تبدو كرجل مجنون وبت أخشى على نفسي أن تنتقل عدوى الجنون إلي.

ـ حسناً، سأحاول أيضاح كل شيء، ولكن أمامنا اليوم مهمة صعبة وشاقة تأكد من ذلك.. أرجوك تفهم وضعي.

فيما كانت سيارة الإسعاف تعبر شوارع سان فرنسيسكو، أخذ آرثر يوضح لبول ما يصعب إيضاحه. أخبره الحكاية من البداية حتى هذه اللحظة. من لحظة عثوره على لورين في الغرفة الملحقة بالحمام، إلى الآن.

تابع آرثر حديثه متناسياً وجود لورين «إنها إمرأة رائعة الجمال يا بول، مرحة، مثقفة. تجاذبت معها شتى أنواع الأحاديث، اتفقنا

WWW.REWITY.COM

أحياناً واختلفنا أحياناً أخرى، ولكن وبرغم هذا، أحس أن علاقة وطيدة تربطني بها».

ـ أتدري؟ أدخلت الدفء إلى حياتي، حولت شقتي من صحراء قفراء إلى واحة معشوشبة، إلى واحة غنية بالسواقي، بالطيور المغردة والأشجار الوارفة.

قاطعه بول «كيف تقول ذلك، أوليست هي معنا، إذن تكون قد أوقعت نفسك في ورطة».

ـ كيف هذا؟

ـ لأنك. قال بول وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة «وفي هذه الحال تعلن حبك لها... أوليس كذلك؟ فهل أنت مقتنع بما تفعل؟

ـ بالطبع، أنا مقتنع بكل كلمة أقول.. ولكن ماذا تقصد؟

ـ لعمري ما رأيتك كما اليوم، يبدو واضحاً وجلياً أنك مغرم.. مغرم... مغرم. ومن ثم توجه بول بحديثه إلى لورين «هل أنت هنا معنا يا سيدتي الجميلة التي نحن ذاهبون لسرقة جسدها؟ فيما إذا كنت فعلاً معنا، أرجوك أعيدي صديقي وشريكي إلى وعيه. فأنا لم أره ولم أعهده هكذا من قبل».

ـ اصمت وامضِ في طريقك. قال آرثر.

ـ فقط لأني صديقك، سأقتنع بما تقول، لأنه لا حل أمامي سوى ذلك. ولكن كوننا أصدقاء، فهذا لا يعني إجباري على مشاركتك أفكارك الجنونية.. ها قد وصلنا إلى المستشفى.

لم تتمكن لورين من التزام الصمت «أهكذا أنتما دائماً؟».

ـ أين أذهب الآن؟ تسآل بول.

توجه إلى موقف سيارات الإسعاف، وأشعل الأنوار.

ترجل الثلاثة واتجهوا نحو مكتب الاستعلامات، حيث استقبلهم الموظف المناوب

ـ وماذا جلبتم لنا اليوم؟

«لم نجلب.. بل أتينا لنأخذ». أجاب آرثر بصوب ثابت ورصين وقدم نفسه على أنه الدكتور برونسويك. وأنهم هنا لنقل المريضة لورين كلاين إلى مركز الرعاية المتخصصة بناءً لطلب من إدارة المستشفى.

تقدمت الممرضة المناوبة، شقراء معتدلة القامة، عريضة الإبتسامة اسمها كاتي كما هو مكتوب على ثوبها الأبيض، وطلبت من آرثر المستندات الثبوتية التي تخوله نقل الجسد، فكان لها ما أرادت، لكنها تساءلت «لماذا بحق الله، أتيتم في هذه الساعة، ساعة التسلم والتسليم، بين الفريق المنتهي دوامه والفريق الذي يليه؟ هذه العملية، تستغرق ما يقارب نصف ساعة على الأقل من الوقت، وأنا سأغادر بعد خمس دقائق ليس أكثر».

اعتذر آرثر معللاً قدومهما بهذا الوقت، بسبب مهمة نقل مريض آخر من مستشفى آخر.

ـ أنا آسفة. قالت الممرضة «إن المريض المطلوب ترحيله من هنا هو في الطابق الخامس، وفي الغرفة 505 تحديداً، يمكنكما استعمال المصعد «لا أعتقد أن الليل هو الزمان المناسب لترحيل مريض».

وافقها آرثر على ما قالت ولكنه تساءل «أجئنا باكراً أم متأخرين؟».

WWW.REWITY.COM

ـ سأجلب الحمالة. قال بول في محاولة لوقف الجدال بين آرثر والممرضة وتابع «أراك في الطابق الخامس دكتور».

عرضت كاتي عليهما مناداة موظف يساعدهما، لكن آرثر شكرها وطلب منها وضع الملف الطبي للمريض في سيارة الإسعاف، فأجابت «الملف الأساسي سيبقى هنا، وسنرسل لكم صورة عنه».

ـ أعلم هذا آنسة كاتي. قال آرثر ولكني أعني آخر الفحوصات والتحاليل المخبرية والصورة الشعاعية والتنظيرية وتخطيط القلب والدماغ وما شابه».

ـ .. فعلاً إنك رائع وتتقن تمثيل دور الدكتور برونسوبك.

همست لورين في أذن آرثر «ولكن أين تعلمت هذا؟».

ـ من التلفزيون. همس آرثر بأذن لورين مازحاً.

نظرت إليه كاتي باستغراب وقالت «كل هذه تجدها في الملف الموجود لدى الممرضة المناوبة في الطابق الخامس». عادت ورمقته باستغراب وأضافت «يبدو أنه من المستحسن أن آتي معك».

شكرها آرثر وذكّرها أنه عليها البقاء هنا، لتسليم الممرضة التي ستحل محلها بعد قليل، وأنه بمقدوره فعل ذلك وحده «كما تعلمين فنحن في منتصف ليل الأحد، وعليك أخذ قسط من الراحة بعد يوم عمل مضن». ابتسم آرثر ابتسامة شكر.

للتو عاد بول مع الحمالة، إلى قاعة الاستقبال، أمسك بذراع آرثر واتجها بهدوء عبر الممر نحو المصعد الذي نقل المتآمرين الثلاثة إلى

الطابق الخامس الذي ما أن وصلا إليه حتى همس آرثر بأذن لورين، «كلما أسرعنا، كلما كان أفضل».

ـ نعم. قال بول ولورين بصوت واحد.

عند منتصف الممر يقف طالب طب مذعوراً، حائراً بأمر ما، ما إن رآهما، حتى تقدم من آرثر وأخذه بذراعه «شكراً لله على وجودك هنا دكتور برونسويك. أنا بحاجة لمساعدتك في الغرفة 508 هل تتكرم وتتبعني؟».

قال الطالب هذا وركض مسرعاً إلى غرفة الفريق المناوب. لكن الصدمة كانت لآرثر ولبول اللذين توقعا كل شيء إلا أن يطلب منهما تشخيص حالات مرضيه.

ـ يا إلهي وكيف سأتصرف الآن؟ قال آرثر.

ـ وتسألني أنا؟ قال بول.

ـ لا بل أسأل لورين.

ـ امضِ في طريقك لا تخف. قالت لورين «وهل لديك حل آخر؟ أنا إلى جانبك».

ـ لنمضِ قدماً، فليس لدينا خيار آخر. قال آرثر بصوت مسموع.

ـ ماذا تعني بقولك لنمضِ..؟ أنت لست طبيباً.. أما تعتقد أنه علينا عدم الإستمرار بهذه المهزلة قبل أن ترتكب جريمة.

ـ ما تقصد بقولك قبل أن ترتكب جريمة؟

ـ أقصد قبل أن يموت هذا المريض السيء الحظ يا دكتور برونسويك.

ـ لا عليك فلورين هي التي ستتولى العناية به.

WWW.REWITY.COM
RAYAHEEN

- في هذه الحال.. فليكن الله معنا». قال بول «رباه... رباه، لماذا أنا دون غيري؟».

دلف الثلاثة إلى الغرفة ,508 حيث كان طالب الطب يقف إلى جانب السرير ومعه ممرضة «إنه بحالة سيئة، أعتقد أنه مصاب بذبحة قلبية. هذا عدا عن أنه يعاني من ارتفاع نسبة السكر في الدم، ولست أدري كيف أعيد الانتظام إلى دقات قلبه... فأنا ما أزال في السنة الثالثة».

- لا تخف فالدكتور برونسويك هنا. تمتم بول بأنفاس متقطعة.

همست لورين بأذن آرثر «إقطع تلك الورقة من آلة تخطيط القلب ودعني أراها».

- هل لنا بإشعال النور في هذه الغرفة؟ قال آرثر للممرضة ومد يده نحو آلة تخطيط القلب وسحب الورقة، وعاد إلى حيث بمقدور لورين قراءة التخطيط.

- إنه يعاني من إضطرابات في نبضات القلب... إنه تلميذ فاشل». قالت لورين وردد آرثر وراءها هذا الكلام لكنه استبدل «إنه بفاشل. بأنك فاشل. ويعني التلميذ

بول كان يحاول تجفيف العرق الذي بدأ يتصبب من جبينه

- أعرف هذا دكتور برونسويك. قال الطالب «ولكني ماذا عليّ فعله لإنقاذه؟».

محاولاً كسب الوقت ردد آرثر «ماذا؟ ولكن ما عليك فعله لإنقاذه؟».

- إسأله بأي دواء حقنه؟ قالت لورين.

- أي دواء حقنته به؟ قال آرثر للطالب.

أجابت الممرضة بصوت يعكس عدم ثقتها بكفاءة طالب الطب «لا شيء.. لا شيء على الإطلاق حتى ولا أي علاج آخر».

- وماذا تعتقد أنه مفروض فينا أن نعمل الآن؟ قال آرثر للطالب

- إخرس. قال بول لآرثر «نحن لسنا هنا لإعطاء دروس في الطب.. انظر إلى هذا الفتى المسكين الممدد أمامك، يكاد يموت، لقد أزرق لون شفاهه.. لدينا عمل آخر».

نظر آرثر نحو الممرضة «أهدئي، واعذريه، إنه حديث العهد في المهنة، ولم نجد غيره سائقاً».

- احقنه باثنتي ملليغرام من الأدرلينالين، ومن ثم سنضع له أنبوباً لإخراج السائل من رئتيه. قالت لورين لآرثر.

نظر آرثر للطالب وقال «إذن إحقنه بإثنتي ملليغرام من الإدرينالين».

- حاضر دكتور. قالت الممرضة «الحقيقة كنت أنوي فعل ذلك، ولكن لا يحق لي التصرف دون أوامر الطبيب الملازم».

- ومن ثم سنزرع له انبوباً لإخراج المياه. قال هذا بلهجة تنم عن الأمر وعن التساؤل في آن «هل تعرف كيف تضع هذا الأنبوب؟». «إسأل الممرضة وليس الطبيب، فالأطباء نادراً ما يقومون بهذه المهمة». قالت لورين.

أجاب الطالب «لم يسبق لي أن فعلت هذا».

- وأنتِ أيتها الممرضة.

- لا دكتور برونسويك بامكاني تجهيز كل ما تطلب، وأشكرك

WWW.REWITY.COM

على هذه الثقة». إلتفتت نحو الطالب «أنت تعال معي، فيمكنك مساعدتي في تجهيز ما يلزم على الأقل». خرجت الممرضة وتبعها الطالب خجلاً من نفسه.

- وماذا عليّ أن أفعل الآن؟ تساءل آرثر بصوت متهدج فيه كثير من الخوف.

- أتعرف؟ قال بول «علينا الخروج من هنا، هذا كل ما بمقدورنا فعله، وبأسرع ما يمكن، لا بل حالاً.. وحالاً».

- لا آرثر إصغِ إليّ، ثابر على ما بدأت به وأنا أقول لك كيف ستضع الأنبوب. قالت لورين. في هذه اللحظة عادت الممرضة تحمل صينية عليها الأنبوب وكل ما يلزم.

- قف إلى جانبه. قالت لورين «خذ مقدار إصبعين تحت عظم القفص الصدري. أتعرف ما أعني؟ إجعل الإبرة بزاوية مقدارها 15 درجة إغرزها ببطء إنما بثبات فإن غرزت في المكان المناسب، سيتدفق سائل لا لون له، وإلا سيتدفق الدم ويكون قد قضي على المريض».

- ليس بمقدوري أن أقوم بهذه المجازفة. تمتم آرثر.

- لا خيار آخر أمامك حبيبي. قالت لورين «وإلا فإن هذا الفتى هالك لا محالة».

- أقلتِ حبيبي أما أنا أتوهم؟ تسآل آرثر.

ابتسمت لورين «إفعل ما هو مطلوب منك الآن.. خذ نفساً عميقاً قبل غرز الإبرة وكان الله بعونك».، وضع آرثر الإبرة حيث أشارت لورين، فيما الممرضة تراقبه باهتمام كلي رائع.

قالت لورين «ادخل الأبرة قليلاً بعد داخل الجسد ودفعة واحدة، وهكذا استقرت الإبرة بالغشاء الواقي للقلب «عمل رائع».. إفتح الصباب الذي على جانب الأنبوب لتسهيل عملية خروج السائل». قالت لورين، وما إن فعل آرثر ما أملته عليه، حتى تدفق سائل لا لون له

صاحت لورين «برافو لقد أنقذت حياته».

في هذه الأثناء كاد يغمى على بول عدة مرات «أنا لا أصدق ما أرى».

بعد أن خف ضغط السائل على القلب، أخذ القلب يستعيد دقاته حتى انتظمت. شكرته الممرضة وقالت «سأعتني به كل العناية».

آرثر وبول خرجا من الغرفة إلى الممر، إلا أن بول ركب رأسه وعاد ثانية إلى الغرفة508 يهزأ من الطالب. وبعد عودته خاطب آرثر قائلاً «أتدري؟ كدتُ أصاب بنوبة قلبية.. إنما شكراً لله».

- هي التي ساعدتني وأفهمتني كل شيء.

هز بول رأسه «هي.. هي..!!! المهم علينا الآن الإستفادة من كل دقيقة، وغداً بعد أن أصحو من هذا الحلم المزعج سأتصل بك وأخبرك بما جرى.. ولا شك ستغرق بالضحك وتنعتني بالمجنون.

- تعال الآن لإنجاز ما أتينا من أجله.

دخلا الغرفة 505 أشعلا الضوء، وقف بول يحدق بالجسد الممدد على السرير فأشفق على صاحبته، «أهذا هو جسد الشبح يا صاحبي؟».

ضحك آرثر «حسناً يا صديقي، هذا وقت العمل وليس وقت

WWW.REWITY.COM

النقاش، إجعل الحمالة إلى جانب السرير تماماً، أنت تضع يديك تحت رأسها وأنا أمسكها برجليها ونعد واحد ـ اثنان ـ ثلاثة وننقل الجسد إلى الحمالة».

بعد الإنتهاء من هذه المهمة، أقدم آرثر على إعادة وضع الشراشف فوق الجسد، والتأكد من أن المصل ما يزال يسري في جسدها «والآن، أنهينا القسم الأول، لنذهب من هنا، لا ضرورة لأن نسرع، فنحن نقوم بوظيفتنا».

ـ أمرك دكتور. قال بول وهو يصر أسنانه.

ـ أنتما رائعان أيها المشاغبان. قالت لورين.

ـ ماذا تقولين؟ مشاغبان.. غداً نتكلم بهذا. قال آرثر.

قبيل وصولهم إلى المصعد، نادت الممرضة الدكتور بورونسويك، فعاد آرثر بهدوء تام وقال «نعم أيتها الممرضة أهناك مريض آخر يفترض بي معالجته قبل ذهابي؟».

ـ أبداً سيدي، ولكن كنت أرغب بمد يد العون.

ـ ... شكراً فكل شيء جرى على ما يرام.

ـ ثانية شكراً لك دكتور برونسويك.

ـ ما إن أخذ المصعد بالهبوط حتى تنفس آرثر وبول الصعداء.

ـ ثلاث فتيات جميلات.. اسبوعان في هاواي... فيراري ويخت.

ـ ما هذا الهذيان يا بول؟ قال آرثر.

ـ أنا... أهذي؟ لا... ولكن هذا ما يتوجب عليك تقديمه لي لقاء

عملي هذه الليلة، أو المرحلة الأولى كما سميتها أنت.. بربك آرثر ألا أستحق هذا؟

كان الممر بين المصعد والباب الخارجي مقفراً، إذن لا ضرورة للشعور بالارتياب أو الخوف. وضعا الجسد في سيارة الإسعاف وانطلقا، انتبه آرثر إلى وثائق الترحيل وإلى ورقة صفراء مكتوب عليها «إتصل بي غداً. هناك أمور يجب تسويتها في استمارة تحويل المريضة لورين كلاين ـ الممرضة كاتي».

ـ المهم أن النقل تمت بسهولة. قال بول.

ـ أتعرف لماذا؟ لأن عددنا لم يكن أكثر. قال آرثر.

ـ أعرف هذا دكتور برونسويك.. والآن إلى أين؟

ـ إلى شقتي كخطوة أولى.

انطلقت سيارة الإسعاف تعبر شوارع سان فرنسيسكو نحو المقلب الثاني من المدينة، حيث شقة آرثر الذي كان قد حضر كل مستلزمات إكمال نقل الجسد في سيارته إلى كارمل، وطلب من بول ألا يتوقف أمام الشقة، بل أن يقوم بجولة في الشوارع المجاورة، ريثما يكون قد نقل تلك المستلزمات من الشقة إلى سيارته.

عندما أصبحت السيارة بمحاذاة الشقة، حاول بوب فتح باب مرآب سيارة آرثر بآلة التحكم عن بعد، لكن عبثاً حاول.

ـ ما الأمر؟ تساءل آرثر.

ـ تسألني أنا؟ أهذا الذي كان ينقصني بعد.. بربك قل لي ماذا أفعل.. باب المرآب لا يفتح. وسيارة اسعاف مسروقة وجسد

WWW.REWITY.COM RAYAHEEN

WWW.REWITY.COM

حبيبتك فيها مركونة أمام شقتك في هذا الوقت اللعين الذي ينزه فيه معظم الجيران كلابهم.

- إخرس.

- إخرس!!! أمرك دكتور برونسويك، أهذا هو جزائي؟

حاول الإثنان فتح الباب يدوياً، إنما عبثاً. «أترى آرثر لست أدري من منا أكثر حماقة ... أنا أم أنت.. أوليس عندك بطارية احتياط لآلة التحكم عن بعد؟».

- ليس الآن وقت الجدال.. إصعد إلى الشقة هناك بطاريات غير مستعملة بعد. قالت لورين

نزل آرثر من سيارة الإسعاف، وقصد الشقة وأخذ يبحث عن بطاريات. لم يترك زاوية، في غرفة النوم، في غرفة الجلوس، أو المطبخ، لكنه لم يجد أياً منها. في هذه الأثناء كان بول يقوم بالجولة الخامسة في الشوارع القريبة «ولكن ماذا لو ارتاب الشرطي في الأمر؟». قال بول لنفسه «لا شك سأمضي عمري سجيناً، ولماذا؟ بتهمة سرقة سيارة إسعاف، لا...لا هذا ليس ذنباً مهماً مقابل جريمة سرقة جسد مريض من مستشفى وانتحال صفة».

فجأة توقفت سيارة الشرطة إلى جانبه وأومأت إليه أن ينزل، استجاب بول لطلب ضابط الشرطة الذي سأله «هل أضعت طريقك يا صاحبي؟». فأجاب بول «لا.. لا.. لكني انتظر زميلاً لي صعد إلى شقته لإحضار بعض الأشياء ومن ثم نعود لركن السيارة في المرآب المخصص لها.. نعم نركن دايزي».

- ومن تكون دايزي هذه؟ تساءل ضابط الشرطة.

- سيارة الإسعاف هذه.. إني أدعوها دايزي.. منذ عشر سنوات ولم يجلس أحد خلف مقودها غيري، ... عشر سنوات...، أتعرف ماذا تعني السنوات العشر، صارت جزءاً مني، جزءاً مهماً من ذكرياتي بل كل حياتي.

ضحك الشرطي وتفهم موقف بول وبالوقت ذاته طلب منه عدم إضاعة الوقت، والتجوال بعد وإلا ستنهال المكالمات الهاتفية من أبناء الحيّ مستفسرة عن سبب وجود سيارة اسعاف تجوب الشوارع فأبناء هذه الحيّ حشريون، فضوليون.

- أعرف هذا أيها الضابط، فأنا من أبناء هذا الحيّ أيضاً، ليلة سعيدة أيها الضابط... رد الضابط التحية عليه بمثلها وانطلقت سيارة الشرطة، لكن السائق توجه إلى الضابط بالقول «أراهنك على مئة دولار، إن كان ينتظر أحداً».

آرثر يقف وسط غرفة الجلوس يلطم رأسه، ماذا يفعل الآن.

- بطاريات آلة التحكم الخاصة بالتلفاز. صاحت لورين «هاتها واسرع بنا».

كاد بول يفقد صوابه إنها الجولة التاسعة، ماذا لو عادت سيارة الشرطة، ماذا سيقول للضابط.. لم يعد صديقي بعد.. وهل سيقتنع بهكذا جواب؟». ولكن أساريره انفرجت حين شاهد باب المرآب يفتح.

نقلا جسد لورين إلى المقعد الخلفي ووضعاه بشكل تبدو وكأنها نائمة، بعد إخفاء أنابيب المصل تحت حرام وضع على الجسد.

«أسرع وأعد سيارة الإسعاف إلى مرآب أبيك وانتظرني. عشر

WWW.REWITY.COM

دقائق ليس أكثر وأكون هناك... عليّ إحضار بعد المعدات اللازمة لعملية العلاج». قال آرثر.

انطلق بول في سيارة الإسعاف، لكن المفاجأة كانت برؤيته سيارة الشرطة ذاتها تسير إلى جانبه، فانعطف نحو شارع آخر، فيما تابعت سيارة الشرطة مهمتها العادية.

أوقف بول سيارة الإسعاف في مرآب والده دون أن يشعر أحد ووقف على الرصيف ينتظر وصول آرثر.

بعد نحو من ثلث الساعة وصل آرثر، صعد بول إلى جانبه، فيما لورين كانت تجلس قرب جسدها على المقعد الخلفي. أخذ آرثر يسلك شارعاً تلو آخر حتى وصل إلى الطريق السريع المؤدي إلى كارمل. لورين كانت تحدق بالأنوار والبنايات واستعادت ذكرى قيادتها سيارتها عبر هذه الشوارع يوم وقوع الحادث

طلب بول من آرثر السماح له بقيادة السيارة، فكان له ما أراد. وفيما كان بول يقود السيارة، كان آرثر يراقب نجوم السماء، مدركاً أهمية ما فعله ومدى خطورته. سرح الخيال به، وتفجرت في داخله أحاسيس كثيرة. تذكر كيف فقد أمه ليلي واليوم هل سيفقد لورين؟

11

ليلي كما يحلو لآرثر أن يسمي أمه، شاعرة فرنسية جاءت إلى كاليفورنيا، لتتزوج من والده الطيار «الذي ارتفع بطائرته حتى لامست النجوم، لكن القدر كان أقوى، فقضى بحادث تحطم طائرته». حسب ما روت ليلي. كان آرثر ما يزال في الثالثة من عمره.

بكت ليلي زوجها كثيراً ولزمن طويل. وتعبيراً عن تعلقها بذكرياتها العتيقة، لم تنتقل إلى مكان آخر، بل بقيت مقيمة في البيت الخشبي ذي اللون الأبيض المطل على المحيط، والذي تحيط به حديقة واسعة، تحمل بصمات ليلي.

أنطوني رسام وصديق قديم لليلي، كان يقيم في الجناح المخصص للضيوف، ويهتم بالحديقة. كل مساء كان أنطوني يجالس ليلي، يتجاذبان أطراف الحديث حتى ساعة متأخرة من الليل. وجود أنطوني، جعل آرثر يحس أن في البيت رجلاً، خاصةً بعد وفاة أبيه، لكن ليلي كانت الصديقة والأم في آن. منها تعلم كل شيء، تعلم الحب، تعلم العطاء ولم يتعلم لا الحقد ولا الكراهية. كثيراً ما كانت توقظه باكراً . لا لشيء، بل ليمتع عينيه برؤية جمال الفجر، ولتشرح له كيف يصغي إلى التناغم فيما يسمع من أصوات. علمته أسماء

WWW.REWITY.COM

جميع الأزهار في الحديقة، وكذلك أسماء الأشجار، وكثيراً ما كانت تأخذه في جولة بالحديقة، ليتعرف إلى قيمة الطبيعة المعطاءة.

خلال فصلي الربيع والخريف، تلقنه أسماء الطيور المهاجرة التي تحوم في الأجواء طلباً للأماكن الآمنة، حيث الماء والكلأ. تأخذه إلى جانب آخر من الحديقة، حيث زرعت الخضراوات، لتقول له، هذه هبة من الله، علينا الاهتمام بها. إنها تمنحنا الغذاء والدواء، «فلا تقطف إلا الناضج منها». وعند الشاطىء تحصي له عدد الأمواج التي تلامس الصخر برقة ونعومة وكأنها تعتذر منها عن شدتها وعنفها في فصل الشتاء، أو تعتذر عن تغير مزاجها بين فصل وآخر. تقول له، «أنظر إلى البحر، حدّق في المدى البعيد، إسمح لعينيك أن تخترقا حجب الأفق، واذهب بافكارك إلى ما لا حدود». كانت تشرح كيفية تحول الأحوال الجوية، وما تأثير الرياح والغيوم على هذا التحول ونادراً ما كانت مخطئة.

أصبح آرثر يعرف الحديقة، شبراً شبراً، وصار بمقدوره التجول فيها آمناً حتى ولو كان مغمض العينين، لقد حفظ أسماء الحيوانات وأوكارها.

أبعد من هذا وأهم منه، علمته ليلي كيف يحب وكيف ينمو ويسمو بتصرفاته، زرعت حب الأزهار والورود بقلبه، «أنظر آرثر أمامك مئات الأنواع منها، ولكل لونها الخاص ورائحتها الخاصة، أترى يا ولدي كيف تتناسق هذه الألوان وكيف يمتزج بعض تلك الروائح ببعضها، لتعطيك رائحة تريح صدرك، فتكون كمن يشم جميع أنواع العطور».

كانت تحكي له عن الأطفال الذين يحلمون بالأيام الآتية، أيام

يصبحون فيها راشدين، وحين يبلغون سن الرشد وما فوق، يحنون إلى أيام الطفولة. كانت تحب كل شيء، إنما تبقى الورود حبها الأكبر.

صبيحة يوم صيفي، أيقظته باكراً «إنهض يا بني.. إنهض لئلا تشرق الشمس وأنت ما تزال نائما».

نهض الطفل الصغير، أمسك يد أمه وشد عليها بأنامله الطرية، أما هي فدغدغت وجنتيه براحة يدها.

كانت ليلي تضع عطراً، لن ينساه آرثر على مدى الحياة، عطراً هو مزيج من عطور خاصة بها، ترش كل صباح عنقها، فيعبق الأريج في البيت كذلك فعلت ذاك الصباح.

ـ آرثر أنا أنتظرك في المطبخ.

إرتدى آرثر ثيابه بصمت، لقد علمته أمه أن يحترم الصمت والهدوء والسكينة، وكونه يعرف إلى أين سيذهبان بعد تناول الفطور، جهز كل ما يلزم لهذه الرحلة، ومن ثم اتجه نحو المطبخ.

ـ كيف حالك اليوم يا صديقي الصغير؟

ـ بحال جيدة.

ـ تبدو متعباً أكنت تقرأ وأنت مستلقٍ في سريرك؟

ـ لا... لم أفعل.

ـ أتعرف آرثر لماذا علاقتنا على أفضل ما يرام؟ لأني لم أكذب عليك يوماً، ولأني، أتحدث إليك ليس على أساس أنك طفل، بل كإنسان راشد.

إني أثق بك. وكثيراً ما يكون بلوغ الرشد مؤذياً، خاصة إذا كنا لا نعرف ما هو المهم في الحياة. وهذا ما أرغب أن أعلمك إياه. فكر

WWW.REWITY.COM
RAYAHEEN
WWW.REWITY.COM

بكل شيء على أساس أنه ضروري ومهم. هكذا تكون سعيداً. أنت، أنا، أحاديثنا، شروق الشمس، رائحة القهوة ـ ابتسمت ـ كل شيء.. كل شيء قد يسعدنا.

ـ إسمع آرثر. نحن اليوم ذاهبان لنصطاد السمك، أعرف أنك تحب ذلك كثيراً. أعرف أنك تحب الإبحار على متن القارب وأنك رغم صغر سنك تحب أن تتعلم التجديف. فاليوم لن أمنعك عن ذلك سنمضي معاً، أنت وأنا في رحلة التغلب على المعاناة والإرهاق، لا شيء أجمل ولا أروع من أن تكون على متن القارب، لا أنت قريب من الشاطىء ولا أنت بعيد عنه. تهب عليك نسيمات ريح دافئة حيناً وباردة أحياناً أخرى. عيناك تسرح في البعيد البعيد. لا حدود لمدى رؤيتك.

مع بدء آرثر بالتجديف. أخذ القارب بالابتعاد عن الشاطىء. ومضى آرثر يجدف ويجدف بثبات ودون شعور بالتعب. وحين وصلا إلى النقطة المنشودة، سحب المجذافين ووضعهما داخل القارب. ليلي أخذت تجهز صنارتها وكذلك طلبت إلى آرثر أن يفعل الشيء ذاته. لم تقم هي بتجهيز صنارة آرثر، بل طلبت إليه فعل ذلك، كان هو ينفذ وهي تراقب. تريده ألا يكون اتكالياً، بل معتمداً على نفسه.

في البحر وعلى متن القارب جلسا وجهاً لوجه والصمت مخيم، لا صوت، إلا صوت مياه المحيط تتلاطم مع جوانب القارب وصوت الأمواج التي تعبر قربهما. وفجأة قطعت ليلي هذا الصمت

ـ أنت أتعلم أني لا أجيد السباحة؟

ـ نعم أعلم ذلك.

ـ إذن ماذا تفعل لو حدث أن سقطت في الماء؟

ـ أقفز خلفك محاولاً إنقاذك. قال هذا دون تردد.

ـ يا لك من صبي غبي.

ـ دهش آرثر لهذه النبرة غير الإعتيادية في صوت أمه. هذه النبرة التي تعبر عن الغضب.

ـ كل ما عليك فعله هو محاولة جعلي أعود إلى الشاطىء لا أكثر ولا أقل.. حياتك هي الأهم، إنها الهدية التي منحتك إياها، لتمنحني السعادة طالما أنت معي عدني ألا تجازف بها أبداً.

ـ أعدك. قال آرثر.

ـ لا. ليس من الضروري أبداً أن ترمي نفسك خلفي، بل عليك أن تمد يدك محاولاً إمساكي في مكان ما من جسدي لمساعدتي للعودة إلى الشاطىء. إن فشلت، تكون فعلت ما عليك، فعلت كل ما بوسعك، ولا ضرورة للإحساس بتأنيب الضمير. عليك دائماً اتخاذ القرار المناسب الذي يمكنك من محاولة مساعدة الآخرين دون المجازفة بحياتك. وإلا قد تموت من أجل لا شيء.. أنت عليك فعل كل ما بوسعك لإنقاذي ولكن دون المجازفة بحياتك.

انهمرت دموع آرثر وقال «لا تحدثيني عن الموت أمي».

مسحت ليلي دموع آرثر براحة يدها وضمته إلى صدرها وأشبعت رأسه تقبيلاً.

ـ كثيراً ما نمر بأوقات نكون فيها ضعفاء غير قادرين على مواجهة المتاعب. حين نشعر بالعجز عن فعل شيء، ينتابنا الخوف، والخوف يوهن عزيمتنا، يجعلنا ضعفاء. إعلم أن ما من إنسان إلا وسيمر في مثل هذه الحالات، شاء أم أبى. كل ما هو مطلوب منك هو الصمود

WWW.REWITY.COM

في وجه المصاعب، الكفاح للقضاء على أسباب خوفك أو يأسك. إياك والتردد، فإن كان الخوف قد يؤدي إلى التهلكة، فالتردد سيفعل ذلك أيضاً. ما عليك إلا الإختلاء بنفسك والتفكير بصمت؛ بصمت عميق. من ثم تتخذ القرار المناسب. ولا يبقى عليك إلا وضع الأمور في نصابها. لا تسمح للشك أن يسيطر عليك. وإلا لن تعود واثقاً من قدرتك على تنفيذ ما صممت عليه، وهكذا تغرق في الحزن. والحزن يقضي على حيوية الإنسان، يميته وهو حي. كل قرار تتخذه هو درس تتعرف من خلاله على ذاتك ومن خلاله أيضاً، تتفاهم وتتفاعل مع ذاتك.

أنظر إلى العالم، أنظر حولك، جنوباً وشمالاً، شرقاً وغرباً، أنظر إلى السماء. فالنجوم توجه لك دعوة لقضاء سهرة حب وسعادة برفقة القمر، أنظر إلى الأرض: أشجار خضراء وأخرى عارية، أزهار ورود، أشواك، سواقٍ، ينابيع، قطعان مواشٍ، عصافير وطيور، عشاق يتبادلون القبل في السر والعلانية، أطفال صغار ينهضون باكراً حتى لا تفوتهم حافلة المدرسة وشباب يتلهفون لتحصيل المعرفة، حتى يصنعوا المستقبل بدلاً من أن يصنعهم هو.

أنظر إلى الشمس، تمنحنا الحياة من خلال أشعتها المتعددة الألوان. أنظر إلى الأشجار كيف تتراقص أغصانها مع نسيمات الريح. أنظر إلى طائر النورس كيف يتحدى عصف الريح بجناحيه الصغيرين. هل تعتقد أن الطبيعة، وجدت هكذا؟ وإلا لِمَ تعددت الألوان، ولِمَ تعددت الأنواع. كل هذه لم توجد لتتصارع، بل لتتشارك في عزف مقطوعة موسيقية رومانسية حينا، وواقعية حيناً آخر. لولا هذه المشاركة لن تكون هناك حياة، ما أروع لذة مشاركة

الآخرين آلامهم قبل أفراحهم. هكذا نمنحهم الثقة بأنفسهم وبالناس المحيطين بهم، وهكذا نعلمهم كيف يشاركون الآخرين أيضاً ويتشاركون معهم».

أريدك يا ولدي أن تكون أنت أنت، لا أحد سواك. يغمرك الحب، حب الناس، حب الطبيعة، حب الجمال والقبح في آن، أريدك أن تكون جميلاً لتر الوجود جميلاً، أريدك متفائلاً حتى لا يدخل اليأس إلى قلبك. أريدك أن تترفع عن الذات الأنانية، فوحدك لست بقادر على فعل شيء. أريدك أن تبقى دائم التطلع إلى الأمام، ولا تلتفت إلى الماضي.

آرثر، أسألك يا ولدي أن يبقى هذا الصباح محفوراً في ذاكرتك. أتدري لماذا؟ لأننا فيه تشاركنا التجديف والإبحار، تشاركنا في صيد الأسماك، تشاركنا في تحدي أمواج المحيط، في استقبال شمس الصباح، تشاركنا الأحاديث والمشاعر والأحاسيس. يوماً ما، حين لا أعود معك، حين أكون قد رحلت عن هذا العالم. ـ وكلنا، كباراً وصغاراً، نساءً ورجالاً مقدر علينا أن نرحل، متى وكيف؟ هذا ما نجهله، لكننا نعرف أننا سنرحل ـ حينئذٍ إستعد ذكرياته واشعر بالسعادة وليس بالحزن، لأننا فيه تشاركنا السعادة. وإذا زلت بي القدم وسقطت في المياه. لا تقفز ورائي.. بل إفعل ما عليك، إفعل ما بوسعك فعله لإنقاذي دون المجازفة بحياتك، وإلا تكون أهلكت نفسك ولم تفعل شيئاً من أجلي.

بالفعل، عاشت ليلي حياة رائعة ملؤها الهدوء والسكينة، وهكذا رحلت. عند الصباح رحلت، قبل أن ترى الشمس وهي تشرق. جاء الصبي الصغير. وقف إلى جانب سريرها وقال:

WWW.REWITY.COM

ـ لماذا؟.. لماذا لم تنتظري شروق الشمس؟

أنطوني، الصديق الحميم، كان يقف إلى جانبه. لم ينطق بكلمة، كل ما فعله هو التحديق به.

ـ لماذا لم تقولي وداعاً يا آرثر؟ لم يسبق لك أن فعلت هذا من قبل... لماذا رحلت وأنا ما أزال في سريري نائماً؟

كثيراً ما يكون لدى الأطفال حدس ليس عند الكبار مثله. والذكريات تنطبع في عقولهم وتترسخ لذا، رأى انطوني أنه لا بد من الإجابة على تساؤلات آرثر، وإلا ستبقى هذه التساؤلات تقلق ذهنه وتعكر صفو تفكيره فيما بعد.

وضع أنطوني يديه على كتفي آرثر «وماذا كان بمقدورها أن تفعل؟ فالموت لا يعلمنا مسبقاً أنه آتٍ، إنه يأتي دون سابق إنذار. استفاقت ليلي عند منتصف الليالي بسبب أوجاع مؤلمة. أرادت أن تبقى يقظة حتى ترى شروق الشمس. ولكن، وبرغم ما تميزت من عزم وإرادة رحلت قبل أن تشرق الشمس».

ـ إنها خطيئتي إذن.. كنت نائماً.

ـ لا.. لا تجعل هذا الاعتقاد يرسخ في خاطرك. أتريد معرفة السبب الحقيقي الذي منع ليلي أن تقول لك وداعاً؟ ليلي كانت إمرأة غير اعتيادية، كانت إمرأة رائعة، والنساء أمثالها يرحلن وهن أقوياء، يتركن أحباءهن هكذا دون وداع.

نظر الصبي بوجه أنطوني، رأى عينيه دامعتين، ووجنتيه مبللتين، كان الحزن بادياً على وجهه. شفتاه تتمتمان كلاماً مبهماً. أو لربما يتلو صلوات معينة. مسح أنطوني دموعه براحة يده.

ـ حسناً يا صديقي الصغير. ها أنا أبكي فلماذا لا تبكي. كان

انطوني يقول هذا وهو يدرك أن الكلام لا نفع منه في مثل هذه المواقف.

ـ حسناً يا صديقي ... الحياة ما تزال أمامك، الحياة هي في المستقبل وليست في الماضي. هذا كل ما أرادت أن تعلمك إياه طوال حياتها ـ تذكر هذا يا آرثر... الحياة هي الأيام الآتية وليست الأيام التي مضت.

ـ هل لك أن تتركني وحدي معها. أعرف أن الموت مخيف، ولكن انظر إليها كم تبدو جميلة، تبدو وكأنها نائمة وليست ميتة.

نظر آرثر إلى يدي والدته، رأى العروق الزرقاء تبدو واضحة تحت جلدها الناعم. أخذ يدها وقبلها ومن ثم مررها على وجنتيه ثم عاد وقبل راحتي يديها.

ـ أحبك... وسأحبك دائماً.. ثقي أني سأجعلك فخورة بي.

ـ آرثر. قال أنطوني.

ـ نعم يا صديقي الأوحد.

ـ حملتني أمك هذه الرسالة.. هي لك.. خذها.. والآن سأتركك وحدك.

استلم آرثر الرسالة المكتوبة على ورق ملون. وتنشق عطر والدته من خلالها وأخذ يقرأ:

عزيزي آرثر:

حين تقرأ هذه الرسالة، لن أكون قادرة على مخاطبتك. أعرف أنك ستغرق في الدموع وأن حزناً كبيراً سيغمرك. وستلومني وتعتبر أني خدعتك. إنها كلماتي الأخيرة لك، ولن أكتب لك بعد اليوم.. إذن اعتبرها ميثاق حب بيننا.

WWW.REWITY.COM

صعدت روحي إلى الأعلى وصعدت معها كل السعادة التي قدمتها لي. الحياة هدية لا توصف يا آرثر، ولا أحد يدرك مدى روعتها وأهميتها إلا حين يعي أنه سيفقدها، ساعتئذٍ، وساعتئذٍ فقط، يزداد جمال الحياة تألقاً. إذن، آرثر، عليك أن تعيش كل يوم بحيوية. أن يكون كل يوم، ولادة جديدة وحباً جديداً.

كثيراً ما تجعلنا الحياة في حيرة منها ومن أمرنا، ولكن علينا معرفة أن الزهور التي تذبل اليوم ستعود وتتفتح أكمامها فيما بعد.

حبيبي منذ ولادتك رأيت في عينيك بريق سعادتي، وعرفت أنك لست كغيرك من الأطفال. رأيت أسنانك تتساقط وتعود تنمو من جديد دون أن أسمع ولو أنّة وجع واحدة، على خلاف غيرك من أترابك. عرفت فيك الشجاعة والقوة، وبالرغم من هذا عرفت فيك نقاط ضعف. وهذا دليل إنسانيتك. تذكر أنه عليك أن تعطي كما عليك أن تأخذ. الشجاعة والقوة قد تتحولان ضدك إن لم تحسن التصرف. الرجال يبكون أيضاً يا آرثر، وكذلك يتألمون.

من اليوم وصاعداً، لن أكون إلى جانبك، أقدم لك النصح والمشورة. أقول هذا وأنا أدرك أنه ما يزال مبكراً عليك أن تكون رجلاً، ولكن عبر هذه الرحلة الطويلة التي عليك القيام بها حتى تصبح رجلاً، أرجوك يا آرثر أبقِ طفولتك حية فيك، لا تتخلَ عن أحلامك وطموحاتك. وإلا لن يكون لوجودك معنى، ستفقد أهمية حياتك.. الأحلام هي التي تجعلك تشقى وتتعب لتحقيقها، هي ذاتها تنعشك بعد أن تتحقق. إذن ليكن لك حلم جديد، عند كل صباح جديد.

عزيزي القوي، الجميل، ولدي العزيز، ثق بنفسك دائماً، ثق بوعيك، ثق بقدرتك، ثق بأحاسيسك. عش حياتك بعمق، إشرب الكأس حتى الثمالة، أنت مسؤول عن نفسك.. من اليوم وصاعداً أنت

مسؤول عن نفسك وعن أولئك الذين ستحب وتهوى. لا تتخلَ عن البريق الذي عرفته دائماً في عينيك. خاصة في ذلك الصباح الذي أمضيناه معاً على متن القارب، كان بريق عينيك أقوى إشعاعاً من نور الشمس. إن أهم ما أعطيتك إياه هو الإندهاش. الإحساس بالإندهاش. الإندهاش تعبير عن حب جديد. حب شيء جديد.

«رَجُلي الصغير، إني مجبرة على الرحيل، لا خيار عندي سوى الرحيل، إني راحلة وما أزال أقول أحبك. كنت كل وجودي، كنت الأمل والحلم. ولكني أرحل عنك مرتاحة الضمير. أرحل وأنا فخورة بك.

أمك التي أحبتك ليلي».

طوى آرثر الرسالة ووضعها في جيبه. انحنى وقبل جبهة والدته الباردة. ترك الغرفة بخطى ثابتة، كما علمته أن يمشي. «الرجل الحقيقي هو من لا ينظر إلى الوراء».

نحو الحديقة مضى، يلسعه برد ذاك الصباح، كان الندى يرطب أوراق الورود والشجر. عند جذع شجرة، جلس. أحنى رأسه إلى الوراء وسمح للدمع أن ينهمر.

من الرواق كان أنطوني يراقبه «آه صديقتي ليلي، لم يكن له في الحياة غيرك ، باكراً رحلتِ.. باكراً رحلت».

انتبه آرثر إلى وجود انطوني فجاء وجلس إلى جانبه دون أن يتفوه أي منهما بكلمة واحدة. وحدها الدموع كانت تتكلم، وحدها الذكريات تسيطر على أفكارهما. غداً، وغداً ليس بعيداً، لن تكون ليلي معهما. فقط الذكرى ستبقى. ورائحة العطر الذي كان يعبق منها كل صباح، حتى الزهور ستشتاق إليها، فكيف بآرثر وأنطوني؟

WWW.REWITY.COM
RAYAHEEN
WWW.REWITY.COM

أحنى آرثر رأسه على كتف انطوني وغط في نوم عميق وبعد ساعات جاء الحانوتي وأخذ جسد ليلي، ومع رحيلها. اغرورقت عينا انطوني بدمع صامت. كان صدره يعلو ويهبط. أنفاسه تتقطع. رفع يده ملوحاً تحية الوداع وعاد ليتفقد آرثر في سريره فوجده ما يزال في سبات عميق، إلا أن دموعاً تبلل وجنتيه.

لم تكن ليلي عاطفية وحسب، بل واقعية أيضاً. لذا رتبت مستقبل آرثر قبل رحيلها. بعد انقضاء عدة أسابيع على وفاتها، أغلق أنطوني جميع غرف المنزل، باستثناء غرفتين في الطابق السفلي جعلهما مسكنه لما تبقى له من العمر.

وذات صباح، أوصل آرثر إلى محطة القطارات، ليرحل إلى مدرسة داخلية، كانت ليلي قد اختارتها مسبقاً. رحل آرثر عن المنزل، حاملاً ذكريات أمه معه؛ ليمضي طفولته وحيداً، يحن إلى حنان أمه، فيستعيد ذكرياتها، هكذا كتب عليه أن يكون في سن المراهقة، دون ان يعيش كمراهق، وأن يبلغ عمر الشباب، لكن يتصرف كرجل بالغ مسؤول، كان يندهش لرؤية كل جديد ـ هكذا علمته ليلي ـ دون أن يحتقر أي قديم.

ذات مساء من أمسيات حزيران، وبعد انتهاء آرثر من امتحانات نهاية العام، طُلب إلى مكتب مديرة المدرسة التي أخبرته أن ليلي كانت مريضة، وأنها هي منْ اختارت له هذه المدرسة قبل عام من وفاتها. وأودعتها مفاتيح المنزل في كارمل حيث ولد وترعرع، وكذلك أخبرته أن أمه قد تركت له من المال ما يكفي لصنع نفسه وبناء مستقبله.

تناول آرثر المفاتيح التي كانت في علاّقة مستديرة، تنفتح عن بعضها، فرأى صورته وهو صغيراً ما يزال على جهة، وصورة ليلي على الجهة الأخرى.

أبلغته المديرة ان عليه الإنصراف، وأخذته من ذراعه واتجهت به نحو

الباب، ودست في جيبه رسالة «وهذه منها أيضاً... لقد طلبت عدم تسليمك هذه الرسالة قبل تخرجك من هنا، وعليك عدم قراءتها إلا إذا كنت في طريق العودة إلى منزلك في كارمل».

خرج آرثر من مكتب المديرة، واضعاً الباب الخارجي نصب عينيه، دون التفات إلى الوراء.

كان يدرك بقرارة نفسه، أن وقت العودة إلى كارمل لم يحن بعد، وأن أوان فتح الرسالة ما يزال بعيداً أيضاً.

WWW.REWITY.COM

12

ببطء كان بول يقود السيارة على الطريق المحاذي لشاطىء المحيط. رغم العتمة، تبدو المناظر خلابة، فتمنى لو أن الوقت نهاراً، لكان استمتع برؤيتها. قاربت الرحلة على الانتهاء. هذا ما قاله آرثر. كان ليلاً متعباً بالنسبة إلى بول. لورين قرب جسدها على المقعد الخلفي مغمضة العينين إنما لا تغط في نوم عميق.

أراد آرثر الإستفادة من الدقائق التي تفصله عن وصوله إلى بيت الطفولة ومرتع الذكريات مع ليلي وأنطوني. أراد الإستفادة منها بقراءة تلك الرسالة التي استلمها من مديرة المدرسة ، مد يده إلى جيبه وأخرجها وراح يتذكر ما رددته المديرة على سمعه حين سلمته المفاتيح والرسالة وأخذ يقرأ:

«عزيزي آرثر

إن قراءتك لهذه الرسالة، تعني أنك صممت العزم على العودة إلى كارمل. كم كان بودي، أو قل لو بمقدوري، أن أعرف كم بلغت من العمر الآن؟ قل ذلك همساً وأنا سأسمعك.

في يدك الآن، مفاتيح البيت الذي أمضينا فيه أنت وأنا أروع السنوات، أعرف أن عودتك لهذا المنزل ستجعلك وجهاً لوجه أمام ذكريات عتيقة. أقول هذا وأنا كلي ثقة تامة أنك لن تعود مباشرة إلى

WWW.REWITY.COM

كارمل، بل لربما بعد زمن طويل من استلامك هذه الرسالة.

كن واثقاً أني سأسمع صرير الباب لحظة فتحه. كل غرفة ستدخلها هي ملأى بالذكريات. سوف تفتح النوافذ واحدة بعد أخرى، وهكذا سيعود نور الشمس ليدخل المنزل، نور الشمس الذي أحن إلى رؤيته من جديد.لا شك ستلقي نظرة على الحديقة التي لربما لن يتبقى فيها إلا تلك الأنواع القادرة على مقاومة الإهمال وعصف الريح. وستدخل غرفتي الخاصة، ادخلها آمناً بسلام، ستجد فيها حقيبة سوداء، إفتحها إن شئت، ففيها يومياتي يوماً بعد يوم، فيها طفولتك وأحلامي.

ـ حياتك هي الأهم... فاعمل من أجلها إنما إياك أن تكون أنانيا.

والدتك ليلي

بهدوء أعاد آرثر الرسالة إلى جيبه ومسح دمعتين ليس أكثر. تذكّر ما كانت تردده دائماً على مسمعه «الماضي هو الماضي أما الحياة فهي المستقبل». وتذكر أيضا، «إياك وأن تلتفت إلى الوراء».

لكن الإنسان يبقى إنساناً، تجتاحه أمواج الحنين وتغتاله الذكريات.

آراد آرثر أن يغرق في الصمت، أن يبعد كل شيء عن ذهنه، ولكن ما إن تراءى له سياج المنزل، حتى عادت مشاعر الحنين تتأجج في داخله، أشجار السرو ازدادت شموخاً وكذلك غيرها من الأشجار.

اليوم، بعد عشرين عاماً يعود إلى هنا، إلى هذا المنزل الذي

احتضن طفولته ونمّى الصداقة مع ليلي وأنطوني، اليوم يعود ولكن أين ليلي وأين أنطوني؟ كلاهما رحل.

هذا الصمت كان لا بد وأن ينكسر «ها قد وصلنا يا بول.... إنتظر لحظة لأفتح البوابة الخارجية حتى تتمكن من ادخال السيارة إلى الفناء الداخلي».

ترجل آرثر، فتح ذراعيه، تنشق الهواء النقي. هواء البحر الناعم البرودة. فتح البوابة الخارجية ودخل بول إلى أمام المدخل الداخلي وترجل هو الأخر.

ـ كم من الوقت مضى على مجيئك إلى هنا؟

ـ عشرون عاماً يا صديقي.

ـ أوتعتقد أنك ستجد منزلاً صالحاً لاستقبال بشر؟

ـ ماذا تعني؟

ـ أعني عشرون عاماً من الإهمال، لا بد...

ـ فهمت، ولكن ما عليك .كان أنطوني يهتم به كثيراً.

ما إن دخل آرثر المنزل وأضاء النور، حتى تأكد أن لا بد من ترميم المنزل كإعادة الطلاء وإصلاح النوافذ وما شابه، أما ما عدا ذلك، فكل شيء ما يزال على حاله. يبدو واضحاً وجلياً، مدى اهتمام أنطوني بصيانة المنزل قبل وفاته.

«وماذا الآن؟». تساءل بول.

ورد آرثر، أول شيء علينا فعله هو نقل جسد لورين إلى جناح والدته ليلي وتأمين كل ما يلزم له وكأنه ما يزال في الغرفة 505 من

WWW.REWITY.COM

مستشفى سان فرنسيسكو التذكاري «لا تخف يا صاحبي، قبل مجيئي، طلبت من شركة الكهرباء إعادة وصل التيار وكذلك من شركة المياة، ولهذا ـ كما ترى ـ فالنور مضاء. لقد اتخذت كافة الإحتياطات اللازمة لتسهيل الإقامة هنا. وإعتباراً من غد سأبدأ بعملية الترميم الكلي، حتى أعيده أفضل مما كان عليه.

لورين كانت ما تزال قرب جسدها في السيارة. وعند إقدام آرثر وبول على نقل الجسد إلى جناح ليلي ووضعه على السرير، نظرت لورين إلى آرثر «علينا التأكد من أن المصل يجري بسهولة. ومن قياس النبض ودقات القلب، ومن ثم القيام بجولة صغيرة في أرجاء هذا المكان الجديد الذي سأقيم فيه».

بول كان يوضب جميع المستلزمات اللازمة للعلاج في خزائن المطبخ والبراد.

ـ حسناً يا صديقي، ها أنا نفذت ما طلب مني، وكنت أتمنى لو بمقدوري البقاء هنا في هذا المنزل، إنما لا بد من العودة. كما تعلم لدينا في المكتب مهام كثيرة يجب إنجازها، وأعتقد أنه عليك الآن التفكير بكيفية صنع بعض من القهوة قبل أن أعود أدراجي إلى سان فرنسيسكو.

تناول آرثر آلة صنع القهوة الإيطالية الصنع ووضعها على المدفأة، كذلك وجد غلاف بن قديم ما يزال مغلقاً بإحكام.

ـ أم فرنسية، وآلة صنع قهوة إيطالية؟ كيف هذا؟ تساءل بول.

ـ إنه الشيء الوحيد من صنع إيطاليا في هذا البيت. أجاب آرثر وانحنى لفتح صباب أنبوبة الغاز، وأشعل النار.

ـ إنه لأمر عجيب غريب. قال بول «أنبوبة الغاز ما تزال ملأى؟

ـ إعلم يا بول، كان أنطوني شديد الحرص على مثل هذه الأشياء، وانا متأكد أن هناك أنبوبتين أخريتين في المرآب.

وضع آرثر فنجانين على الطاولة الخشبية، وصب القهوة، فانبعثت رائحة بن شهية «إنتظر لحظة».

ـ ولماذا؟

ـ لئلا تحرق شفتيك... وأول ما عليك فعله هو تنشق بخار هذا النوع من البن.

جاءت لورين ووقفت خلف آرثر وانحنت لتهمس في أذنه،

ـ لقد أحببت هذا المكان، سأكون سعيده هنا.

ـ يسرني سماع ذلك.

ـ إني متشوقة لرؤية كل شيء والحديقة أولا.

ـ وأنا كذلك. غداً نقوم في جولة معاً، حتى شاطىء المحيط.

ـ هل أنت بخير يا صاحبي؟ قال بول.

ـ نعم أنا كذلك، كنت أتكلم مع لورين.

ـ إذا كان وجودي مزعجاً، فأنا راحل على الفور. قال بول.

ثانيةً انحنت لورين فوق آرثر، رمقته بنظرة حب وعبرت عن رغبتها الملحة بالبقاء هنا، وحدها.

كان الإستغراب بادياً على وجه بول وبصوت معبر عن الانزعاج «أما تزال بحاجة إليّ أو يمكنني الرحيل؟ فأحاديثك مع الشبح تثير أعصابي».

ـ لماذا لا تحاول تفهم حالتي يا صديقي؟

WWW.REWITY.COM
RAYAHEEN

ـ تطلب مني أن أتفهم حالتك؟... ممن تطلب هذا؟ مني أنا الذي سرق سيارة إسعاف ومن ثم مريضاً من المستشفى؟ مني أنا؟ فبدلاً من أن أكون الآن في سريري، غارقاً في أحلامي، ها أنا أشاركك شرب القهوة.. فعلاً إنك تثير أعصابي.

«عفواً بول، لم أقصد هذا أبداً... أنا فعلاً عاجز عن الشكر ومن كل قلبي أتمنى أن أكون قادراً عاجلاً أم آجلاً، رد هذا الجميل».

كان آرثر يخشى عدم قدرة بول على القيادة في طريق العودة إلى سان فرنسيسكو، لكن بول طمأنه وشكره على هذه القهوة الإيطالية، مشدداً على هذه الكلمة بلهجة ساخرة. «والآن، أترى أنه من المفيد أن أغادر وأتركك مع الشبح وجسده. في هذه الأرض المقفرة، وليس لديك أية وسيلة نقل؟».

ـ مبدئياً هناك سيارة فورد قديمة الطراز في المرآب.

ـ ماذا؟... وكم مضى على توقفها؟

ـ لست أدري؟

ـ وهل تعتقد أنها ستعمل؟

ـ أعتقد ذلك.. كل ما يجب فعله هو تزويدها ببطارية جديدة... كن مطمئناً يا صديقي وتأكد أني جد ممتن لك جداً...

ابتسم بول وهو يشد على يد آرثر. «ثق أننا روح واحدة في جسدين منفصلين... أنا ذاهب الآن، وقلبي معك هنا. فعلاً أنا خائف عليك من ذاك الشبح، ولكن أنت من جنيت على نفسك».

ـ كان الله معك.

قبل إقلاع السيارة، نظر بول إلى آرثر «أمتأكد أنت أنك لست بحاجة لي، وأنك بخير؟».

ـ تأكد من ذلك يا صديقي؟

ـ إذن أغادر مرتاح الضمير.

ـ بول؟؟؟

ـ نعم...!!!

ـ إني شاكر لك كل الشكر.

ـ دعك من هذا.

ـ لن أنسى أنك جازفت كثيراً من أجلي، وأنك فعلت هذا رغم عدم إقتناعك بما رويته لك، فعلت كل هذا انطلاقاً من إيمانك بالصداقة وأنا أقدر لك هذا.

ـ أعرف هذا يا صديقي.. دعنا على إتصال دائم، ولا تتردد بدعوتي إن كان وجودي يفيدك.. عدني بذلك آرثر.

ـ أعدك بول. قال آرثر هذا ولوح بيده مودعاً بول الذي سرعان ما أخذ يقود السيارة عائداً من حيث أتى.

آرثر ما يزال واقفاً مكانه ملوحاً بيده، على شفتيه إبتسامة عريضة «وأخيراً ها أنا هنا من جديد.. لن أنام قبل شروق الشمس، لن تغمض عيناي قبل رؤية أشعة الشمس تتسلل رويداً رويداً وتنعكس ألواناً على مياه المحيط».

تقدمت لورين ووقفت إلى جانبه «كم من الوقت مضى على وفاة والدتك؟».

WWW.REWITY.COM

- زمن بعيد.

- ومنذ ذلك الزمن، لم تعد إلى هنا؟

- أبداً لم أفعل هذا؟... نظر آرثر إلى لورين وابتسم «أنت لست الشبح الوحيد في حياتي».

- شيء مزعج أليس كذلك، أتعتقد أن روحها ما تزال هنا؟

- لا أعتقد ذلك.. ولكن أتمنى لو تكون.

- وهل تفعل هذا من أجلي.

- لا.. إنما أفعل ما أفعل من أجل خوض تجربة جديدة.

- خوض ماذا؟

- عفواً نسيت أنك عنيدة متهورة. صمت قليلاً ثم تابع «على فتح الحقيبة السوداء».

- عم تتكلم؟

- عن ذكريات عتيقة.

- أتعني ذكرياتك هنا؟

- إنه منزل أمي كما هو منزلي أيضاً.

- هل توفيت والدتك بالسكتة القلبية؟

- لا.. كانت مريضة بالسرطان.. كانت تعرف هذا جيداً.. أما بالنسبة إلي فكان هذا مفاجأة... تعالي نقوم بجولة في هذا المكان.

أول الأمكنة، كان الشاطىء، جلسا على صخرة عند حافة المياه، تحت شجرة سرو تظللها.

- لو تعلمين كم من الساعات أمضينا هنا، أنا وهي.. كثيراً ما كنا نأتي معاً قبيل شروق الشمس، لمراقبتها وهي تشرق. وكذلك عند المساء.. عند المساء لم نكن وحدنا، بل كان كثيرون غيرنا يتحلقون لرؤية غروب الشمس، كل غروب كان مختلفاً عن غروب سابق أو عن آخر لاحق، أتعرفين لماذا؟ بسبب تغير حرارة الجو، وحركة المياه وعوامل طبيعية أخرى. حتى لون السماء عند الغروب، ليس هو دائماً، ولا يتكرر.

- أمضيت زمناً طويلاً هنا؟

- حتى العاشرة من عمري.. أعني حتى وفاة والدتي.

- واليوم أستأتي بي لأرى غروب الشمس؟

- بالطبع سأفعل.. لا بل يجب فعل ذلك.

خلفهما كانت ملامح المنزل تتضح شيئاً فشيئاً، فضوء الشمس بدأ ينعكس على جدرانه وسقفه. وكلما ارتفعت الشمس في السماء كانت معالم البيت تتضح، فاكتشفت لورين أنه منزل متواضع لكنه جميل أكثر مما تتصور، منزل تمكن من تحدي عوامل الطبيعة، ولا أحد يصدق أنه كان مهجوراً.

- إنه لمنزل جميل.. فما كان يجب هجرة لمدة طويلة.

- لم يكن مهجوراً بكل معنى الكلمة. كان أنطوني رجلاً رائعاً، يهتم بصيانته وترميمه، أنطوني كان رجلاً رومانسياً جداً، صياد سمك، كان عدة رجال في رجل واحد. كان رساماً مغموراً، جاء إلى هنا منذ زمن طويل، وأقام في البناء الملصق بالمنزل، أقام علاقة صداقة حميمة، ليس مع أمي وحسب، بل ومع أبي أيضاً. أعتقد أن

WWW.REWITY.COM

علاقة حب كانت تربطه بأمي حتى يوم كان أبي ما يزال حياً لكنهما لم يتصرفا كعاشقين. أعتقد أنهما اكتفيا بالشعور بالحب وعيشه روحياً وليس جسدياً، معاً كان يجلسان غارقين في صمت عميق معبرين عما يختلج في صدريهما. أعتقد أنهما كانا مكملين لبعضهما البعض.

ـ وماذا حدث لأنطوني؟

ـ أمضى خمسة عشر عاماً، بعد وفاة ليلي، يزور قبرها بانتظام، لم يقطف زهرة من الحديقة يوماً ويأخذها معه إلى الضريح.. أتعرفين لماذا؟ لأنها كانت ترفض أن تمُد يد إلى زهرة.. وفي الوقت ذاته كان يهتم بالمنزل، يرمم ما يجب ترميمه، يجدد الحديقة عاماً بعد عام، ويهتم بتلك الزهور التي كانت تحبها ليلي وتفضلها على غيرها.

ـ مات انطوني في بداية الشتاء، صبيحة يوم مشمس قارس البرودة. حين نهض يومها، شعر بنوع من التعب، رغم هذا لم يتقاعس عن القيام بواجباته، فقام بتشحيم مزالج البوابات، لكنه لم يتمكن من إكمال ما بدأ به. أحس بألم في رئتيه وبنوع من ضيق التنفس. مشى إلى جانب الأشجار محاولاً استنشاق الهواء النقي، جلس تحت شجرة صنوبر طالما كان يجلس عند جذعها أيام الربيع والصيف، لكن الألم كان أقوى، زحف نحو المنزل، واستدعى أحد الجيران هاتفياً، نقل أنطوني إلى غرفة العناية في المستشفى.. بضعة أيام لم تكن كافية لشفائه. وهكذا رحل أنطوني. بعد وفاته اتصل بي كاتب العدل يسألني عما أحب فعله بالبيت، والغريب، أن كاتب العدل، أبدى إندهاشه لرؤية المنزل بأفضل حال. أعتقد يا لورين أن

انطوني أيضاً كان يعلم أن ساعة وفاته لم تعد بعيدة. ورغم هذا رفض الاستسلام بل استمر في العطاء.

استمر آرثر يتكلم فيما عينا لورين شاردتان في الأفق. بل بما هو أبعد «سألت أمي يوماً ما هو الموت؟». فقالت «حين نمضي يوماً سعيداً، وحين ننهض باكراً قبل شروق الشمس ونأتي معاً لصيد السمك. أو حين تقوم بما عليك في الحديقة، معي أو مع أنطوني، ونتنشق الهواء النقي مساءً، ونعود إلى البيت فلا بد من أن تأوي إلى الفراش، تقاوم النعاس لكنك تصل إلى مرحلة ترى نفسك عاجزاً عن مقاومته، لا تعود قادراً على فعل شيء للاستمرار يقظاً، فتنام على أمل أن تصحو غداً، وتبدأ يوماً جديداً بحيوية، وتمرح وتسرح وتأكل وتشرب وتزرع وتحصد، ولكنك تصل إلى مرحلة النعاس، نعاس الجسد، النعاس الذي لا استفاقة بعده».

ـ يومها كانت أمي مريضة، تعاني من السرطان وعذاباته، لكنها كانت قوية جداً، لم تستسلم له، بل ثابرت على الحياة وكأن شيئاً لم يكن. اليوم صرت قادراً على فهم ما قالته يومها.

ـ وماذا كان جوابك؟

ـ أمسكت يديها، وسألتها إن كانت تحس بتعب. فابتسمت. على كل حال، اليوم أدرك أيضاً لماذا استمر أنطوني يقاوم حتى اللحظة الأخيرة.

ـ كما الفيل الهرم؟ قالت لورين.

ـ كان يمتلك حكمة الفلاسفة كلهم.

معاً نهضا، وأمسك كل منهما يد الآخر وعادا إلى المنزل

WWW.REWITY.COM
RAYAHEEN
WWW.REWITY.COM

ـ أترى آرثر.. لا أنا طلبت منك أن نعود إلى المنزل ولا أنت. لكننا فعلنا تلقائيا.

ـ نعم أدرك هذا وأدرك معناه يا لورين.

اتجه آرثر نحو البوابة الزرقاء، فتحها ودعى لورين لدخول «جنة ليلي... إلى الحديقة».

الأزهار الورود، هي كل ما كان يشد ليلي إلى الحياة، كانت مجنونة في عشقها للطبيعة، وهذا ما جعلها تتوافق مع أنطوني توافقاً تاماً. كان أنطوني يعرف نقاط ضعف ليلي، لذا كان يهتم بالحديقة. بكل زهرة على حدة، بكل وردة، بكل شجرة، «كانت أمي تعرف كل زهرة، تعرف كم قمراً على الشتلة الواحدة، والويل لمن يقطف واحداً منها». كانت الحديقة حياتها، انتقت أنواع الزهور والورود بعناية فائقة، زرعتها بخط تناسقي تناغمي بحيث تبدو الألوان وكأنها تتآخى بلا تنافر بين لون وآخر. كانت تعتقد أن بعض الأنواع جيء بها من بلاد بعيدة، لأنها في الأساس لا تنبت في بلاد كبلادنا، لكن ليلي تحدت هذا ونجحت، جعلت هذه الأنواع تتكيف مع المناخ في كارمل، وتأكدي أنها لربما فكرت بتغيير مناخ كارمل ليتناسب مع متطلبات هذه الأنواع. أقول هذا مع أنه ضرب من الجنون.»

أحصى آرثر ما لا يقل عن مئة وخمسين نوعاً من الزهور والورود. وأخبرها أنه ذات يوم هبت عاصفة ريح عاتية، فما كان من ليلي وأنطوني إلا أن أسرعا إلى المرآب وحضرا ما يجب لنصب خيمة تحمي المزروعات، عملا معاً في طقس ممطر وعاصف. ولماذا؟

من أجل حماية الحديقة ليس أكثر. عند الصباح كان كل منهما مرمياً على سريره منهك القوى خائر العزم، لا يقوى على فعل شيء، حتى على مد يده لتناول كوب الماء لإرواء عطشه. المهم أن العاصفة لم تدمر الحديقة.

ـ أنظر يا آرثر ما يزال الكثير منها حتى اليوم؟ قالت لورين.

ـ هذه ورود برية، فلا الشمس تقوى عليها ولا الريح.

ما إن أشرقت الشمس، حتى بدت الجنينة بحلة أبهى، زهور هنا وورود هناك، أشجار السرو تشامخت وكأنها في تنافس أيها ترتفع أكثر حتى تلامس الغيم أو تلوح محيية للطائرات العابرة سماء كارمل.

أمضيا قسماً من النهار يستكشفان الحديقة. عند شجرة في زاوية الحديقة وقف آرثر «أنظري لورين ماذا حفرت على جذعها «أحبك أمي».

أترين ما يزال الحفر بادياً حتى اليوم. كان يوماً من أيام الماضي، تعرفت لورين خلاله على طفولة آرثر الذي استفاض في الحديث عن تلك الفترة من عمره.

قبيل الغروب توجها نحو الشاطىء، جلسا على صخرة ملساء يحدقان بالسماء بل بالناس التي تحتل الصخور المجاورة وما من سبب لذلك إلا رؤية غروب الشمس.

وهبط الليل.. وتناثرت النجوم في السماء، هدوء وسكينة. الأضواء تتلألأ في الشوارع وعند واجهات البنايات والمحلات التجارية. مراكب الصيادين تبتعد شيئاً فشيئاً. كانت لورين دائمة

WWW.REWITY.COM

الإبتسام. ونور الفرح يشع من عينيها. آرثر يحدق بالوجه الملائكي «أيعقل أن يكون هذا الوجه وجه شبح؟». بعد العودة إلى البيت تأكد آرثر من أن كل شيء على ما يرام بالنسبة للجسد. وعاد إلى غرفة الجلوس ليجالس لورين، قرب موقد النار.

- كان يوماً رائعاً.. شكراً لك آرثر.. ولكن ماذا عن الحقيبة السوداء؟

- لا أعتقد أنها ستهرب...

- بودي لو تسمعني ما كتبته ليلي...

- أعتقد أنها تحتوي على أشياء خاصة بها، على ذكرياتها ومن يدري ماذا تحتوي؟

- أين هي؟

- إنها في غرفتها.

- لماذا لا تحاول معرفة ما بها..؟ أما ترغب بذلك؟

تراكمت الأفكار برأسه. لماذا ما يزال يتصرف وكأنه طفل؟ إنه اليوم إنسان ناضج مكتمل الشخصية، وعليه معرفة كل شيء.. لماذا الخوف من اكتشاف ما في الحقيبة. نظر آرثر إلى لورين «الحقيقة أني خائف».

- خائف؟ ومما أنت خائف؟

- لست أدري.. خائف أن أجد فيها ما يغير مفاهيمي.

- أنت .. أنت تقول هذا.. إذهب وهاتها.

ظل آرثر في مكانه لا يبدي أي رغبة باستجابة طلب لورين التي

ألحت عليه «ليس هناك أي سبب للخوف.. فإذا كانت ليلي قد وضعت كل حياتها أو قل اختصرتها وحفظتها في هذه الحقيبة، فهي فعلت هذا من أجل أن يأتي يوم يتعرف فيه ابنها عليها أكثر. إن أحببت شخصاً عليك أن تحبه في ساعات قوته كما في ساعات ضعفه، عليك أن تحبه كما هو، ليس كما تريده أن يكون.. لماذا أنت خائف، ولماذا تصدر حكماً مسبقاً عليها، ومن ثم من أنت لتصدر الأحكام. أوليست هي من طلبت منك فعل ذلك؟ إنها تريدك أن تتعرف عليها أكثر فأكثر. فيما مضى تعرفت عليها وأنت ما تزال طفلاً، لكنها اليوم تريدك أن تتعرف عليها بعد أن بلغت سن الرشد، أما تعتقد ذلك؟».

فكر آرثر بما قالته لورين.. «فعلاً لماذا أنا خائف؟ ولماذا أصدر أحكاماً مسبقة على امرأة أحببتها وأعطتني كل عمرها». نهض فجأة واتجه نحو غرفة ليلي، أمسك الحقيبة التي كانت موضوعة على أحد الرفوف، حاول سحبها، لكنه تردد، وأخيراً انتزعها من مكانها وعاد بها إلى غرفة الجلوس، رماها أرضاً عند قدمي لورين. وجلس هو قبالتها. فتح الحقيبة فإذا به أمام تاريخ امرأة وتاريخه في آن. عقود حلى، صور، رسائل، دفتر مذكرات. والأهم من هذا، الملعقة الفضية التي كان آرثر يتناول الطعام بها في صغره وكذلك أول حذاء انتعله.

كان آرثر ينقب في الحقيبة، ولورين تحدق به، كانت ترغب بل تتمنى أن ترى الدموع تنهمر من عينيه، لكنها تذكرت ما سبق وقال «الماضي هو الماضي...».

WWW.REWITY.COM

في غطاء الحقيبة، كانت هناك رسالة محكمة الإغلاق مكتوب عليها بأحرف كبيرة «إليك يا آرثر». قصَّ آرثر المغلف وأخذ يقرأ:

«حبيبي الأغلى آرثر

إذن... أنت الآن في المنزل، لا شك أن وقتاً طويلاً مضى قبل عودتك إليه. أعرف هذا جيداً.. في هذه الحقيبة ستجد كل مذكراتي وذكرياتي التي شاركتني فيها حلاوة الحياة. وفيها أيضاً ذكرياتي قبل أن تولد، قبل أن تأتي إلى هذا العالم وتمنحني السعادة، تمنحني لذة الإحساس بالأمومة، تروى عطش الأنثى لأن تصبح أماً. ستجد فيها أشياء لم أكن قادرة - يومها - على جعلك تعرفها.. لا تقل لماذا؟ لأنك كنت صغيراً ما تزال، وغير قادر على تفهمها واستيعابها».

وأنت تقرأ هذه الرسالة ستتعرف إلى أمك. بعين الإنسان الراشد المكتمل النضوج. كنت أماً وامرأة في آن. كنت امرأة تعاني الخوف، تعتز بقوتها، تنتابها الهواجس والظنون، عندها أحاسيس ومشاعر، وثق يا آرثر أن كل ما أسديت لك من نصائح، كان عصارة تجربتي الشخصية، أنا امرأة تعلمت من أخطائي، نعم أقول أخطائي، ليس هناك أصعب من تربية الأطفال. تمضي كامل حياتك وأنت تعلمه أو تعلمها، ما تعتقد أنت أنه الأفضل. هناك أباء يتعلمون من تجاربهم وأخرون يمنحون الحب بلا حدود. الآباء ليسوا قديسين. حين سأغلق هذه الحقيبة، سأخشى أن تُصدم بما فيها. لقد رحلتُ وأنت ما تزال صغيراً، ثم إني كنت أتمنى أن يطول عمري لتتعرف إليّ بعد أن تصبح راشداً وواعياً. لا أدري كم سيكون عمرك حين تقرأ هذه الرسالة، ولكني أتخيلك شاباً بهي الطلعة. رباه كم أتمنى لو بمقدوري إطالة عمري لأعيش إلى جانبك أطول فترة ممكنة. قد

تجدني سخيفة إذا قلت إن تفكيري بأني سأحرم من رؤية عينيك كل صباح ومن سماع صوتك تنادين ليلي، يؤلمني أكثر بكثير من المرض الذي سيأخذني من هذا العالم».

«كذلك أريدك أن تعرف أنني أحببت أنطوني، ولكني لم أعش هذا الحب. كنت خائفة من نفسي، خائفة من أبيك، وخائفة أن أسبب الأذية له.

خائفة من تدمير ما بنيت، خائفة من كل شيء، لهذا تحول هذا الحب إلى حلم جميل رائع، ما أشرقت شمس ولا أغربت إلا وفكرت بأنطوني. واستمر الخوف، حتى بعد وفاة والدك، إنما صرت أخاف منك وعليك».

أحبني أنطوني كما تشتهي أية إمرأة أن تُحب ولو لمرة واحدة في حياتها، ولكن وبسبب خوفي غير المعلن لم أكن قادرة على مبادلته الحب .كنت دائماً أبرر ضعفي وخوفي. لم أسمح لنفسي أن تنغمس في الملذات الجسدية. رغم معرفتي أن أمواج الحياة تتقاذفني بعيداً عن شاطىء الوجود. أبوك... كان رجلاً رائعاً.. لكن أنطوني كان حبي الأوحد.

لا أحد رمقني بنظرة كنظرته ولا أحد كلمني كما فعل هو. كنت لا أخاف شيئاً طالما أنا إلى جانبه، كان يمنحني الأمان النفسي والاستراحة الوجدانية. كان يعي ما هي احتياجاتي ونزواتي، لكنه لم يحاول يوماً استغلال هذا الوعي. كان رجلاً يعيش حياة متناغمة مع شهامة الرجال وحب العطاء، بينما أنا كنت - بسبب خوفي - مصممة على عدم عيش الحب كما يجب أن يعاش، أجبرت نفسي على الإعتقاد أن هذه سعادة يستحيل الوصول إليها مع أني كنت تواقة لها.

WWW.REWITY.COM
RAYAHEEN

ولكن، ذات ليلة مارسنا الحب وحملت منه، لكني أجهضت نفسي دون إبلاغه حتى بأني حامل. أقول لك هذا يا آرثر رغم أنه كان يعرف ما أخفيته عنه.. لا تسألني كيف.. إنه أنطوني... ولذلك لم نكرر تلك الممارسة أبداً.

اليوم، أعتقد أن المرض لن يقوى عليّ طالما أنا أعيش سلاماً داخلياً. نعم يا آرثر. عشنا معاً سنوات طوالاً تحت ظلال أكاذيبي، لم أخدع أحداً، بل خدعت حياتي. ولهذا أرى أنها لن تغفر لي ما فعلت.

أترى! كنت تعلم القليل عن والدتك. وحتى اليوم، يوم كتابتي هذه الرسالة كنت ما أزال مترددة عن قول كل شيء لأني كنت - وما أزال - أخشى أن تصدر عليّ حكماً جائراً. أتذكر يا آرثر ما قلته لك يوماً «إن أسوأ الأكاذيب هي تلك التي نكذب بها على أنفسنا؟».

كانت هناك أشياء وأشياء أود إطلاعك عليها، ولكن لم يكن لدينا الوقت الكافي. وكنت أنا السبب، لقد توهمت أن أنطوني لن يهتم بك، وحين أيقنت أنه سيفعل ذلك، كان الأوان قد فات، كنت أصبحت مريضة، ولا جدوى من بداية حياتي من جديد.

في هذه الحقيبة ستجد أشياء وأشياء، كلها تعرفك عليّ أكثر وأكثر. ستجد صوراً لنا معاً، صوراً لك أنت وحدك، صور أنطوني، وكذلك رسائله إليّ وأرجو ألا تقرأها لأنها لي أنا وحدي. قد تتعجب أنك لن تجد أية صورة لوالدك. معك الحق، كل الحق. مزقتها كلها في ساعة غضب، ليس منه، بل من نفسي وبعدها ندمت، إنما لم يعد بيدي حيلة.

لقد فعلت يا حبيبي كل ما يستطيع إنسان فعله. فعلت ما اعتقدت

أنه بمقدور إنسانة مثلي أن تفعل. ولكن... أريدك أن تكون على يقين لا شك فيه، أنك كنت كل حياتي، أنك كنت سبب وجودي الأفضل والأجمل، وكنت أهم حدث في حياتي. وسأصلي وأتضرع لله أن يمنحك طفلاً أو طفلة، لتتعرف على جمال الحياة وأهميتها.

إني، إن افتخرت يوماً بشيء، فهو بأني كنت أمك وسأبقى.

أحبك يا آرثر.

ليلي

طوى الرسالة وأعادها إلى مكانها.

لاحظت لورين أن الدموع تتساقط من عينيه، اقتربت منه وأخذت تمسح تلك الدموع براحة يدها. أحس آرثر بالإندهاش. حنان لورين أنساه كل عذاباته النفسية والجسدية. لم تكتفي لورين بمسح الدموع وحسب، بل سمحت لأناملها ملامسة ذقنه وشفتيه. أما هو فأحاطها بذراعيه وشدها إليه، وما إن كادت الشفاه تلامس الشفاه، حتى أبعدته عنها.

- لماذا هذا يا آرثر؟

- لأني أحبك. قال هذا وأمسك بيدها وخرج من المنزل وهي وراءه

- إلى أين نحن ذاهبان؟

- إلى المحيط.

- لا.. ليس الآن. ووقفت أمامه وجهاً لوجه وأخذت تفكك أزرار قميصه.

WWW.REWITY.COM

- ولكن كيف تفعلين هذا؟ كنت أعتقد أنك لا تقدرين.

ضحكت لورين « لا تسأل شيئاً. حتى أنا نفسي لا أعرف كيف».

خلعت قميصه وأحاطته بذراعيها، ضمته إلى صدرها، لكنه كان في حيرة من أمره، كيف يعري شبحاً؟

ابتسمت لورين وطلبت منه أن يغمض عينيه ففعل، وما إن أعاد فتحها حتى رأها عارية أمامه

عند مدخل الرواق ضمته إلى صدرها وغرقا في بحر من القبل.

انتعشت روح لورين بملامسة جسد بشري. منحته الحب وكذلك هو. أمضيا الليل متعانقين، يتبادلان القبل ويمارسان الحب، إنها لحظات ليس أروع منها إلا لحظات رؤية هالة الشمس أثناء الكسوف.

لقد فتحت الحقيبة.

13

عند الثامنة من صباح الإثنين عاد المفتش بيلجر، إلى مركز عمله في دائرة الشرطة الجنائية، ليجد رزمة من التقارير بانتظاره، أغرب ما في هذه التقارير والبلاغات، بلاغ من مستشفى سان فرنسيسكو التذكاري، عن اختفاء مريضة بحالة الغيبوبة، بعملية يمكن تعريفها بأنها عملية خطف موصوفة.

نظر إلى زميلته وصديقته ناتالي وراح يلح عليها بالتساؤل أمتأكدة أنت من البلاغ؟

- رباه، رباه، أي ذنب ارتكبته حتى أجازى عليه؟ بربك ناتالي، أهذه بداية أسبوع؟

«يكفي أنك حليق الذقن اليوم». قالت ناتالي وعلى شفتيها ابتسامة استهزاء.

- جواب، مقنع أليس كذلك؟ وهل تريدين مني أن أعود بعد يومي عطلة، دون حلاقة ذقني؟

شهران وسيحال بيلجر على التقاعد، وهو الآن يدرب زميلته ناتالي لتحل محله «أتمنى أن يعجبك هذا الكرسي يا ناتالي، إنه كرسي مهم، حافظي عليه جيداً. لأنك لا شك ستمضين هنا وقتاً طويلاً

WWW.REWITY.COM

قبل أن ترشحي لمنصب أعلى... ولكن هل حاولت إيجاد تفسير لاختطاف إمرأة مصابة بالغيبوبة؟ أنا أعرف أن هناك من يختطف أنثى لاغتصابها، للتمتع بها، أما هذه؟ فوالله لأمر غريب. ومن ثم هل تحولت ممرات المستشفيات وأروقتها إلى شوارع في مدينة أو أزقة؟ أعني مسرحاً لجرائم الخطف؟».

ـ جورج أنت شرطي مثالي، ومثال الإنسان المتعالي عن الصغائر. قالت ناتالي وتابعت «على الدولة أن تقيم لك تمثالاً عند مدخل هذه الدائرة».

ـ ماذا؟... تمثال؟ وهل سيكون لي الحق باختيار أية حمامة يسمح لها أن تغط على رأسي أو كتفي؟

وضع بيلجر رأسه بين راحتيه، فيما ناتالي تنظر إليه حائرة ماذا بمقدورها أن تفعل، فعلاً إنه لأمر محير.

رفع بيلجر رأسه «ناتالي.. ثلاثون عاماً مضت وأنا في قسم الشرطة الجنائية، حققت خلالها بقضايا بعدد شعر رأسي وكل واحدة مختلفة عن الثانية. كثيراً ما تلقيت بلاغات عن شجار بين الجيران، عن عمليات إزعاج، عن تحرش جنسي، عن اغتصاب، عن سرقة، عن قتل متعمد، عن سطو على المصارف أو المحلات، أما اختطاف مريضة مصابة بالغيبوبة؟ فهذه... لست أدري ماذا أقول... مصيبة المصائب.. ما الدافع؟... ناتالي، ترغبين بتناول القهوة في المقهى المقابل؟».

ـ ومن يحل محلي هنا، من يتلقى البلاغات.

ـ المحيب الآلي.. ولماذا اخترعوه يا بطتي؟

ـ أنا لست بطة.. بل دجاجة.

ـ أنت بطة.. بطة قبيحة، ليس بمقدورها أن تطير. على كل هذا ليس هماً دجاجة كنت أم بطة، المهم أترافقينني؟

ـ دعني فالبطة لديها عمل كثير.

ـ تعالي.. ولكن قبل ذلك ارتدي تلك السترة التي تظهر جمال نهديك.. هيا بنا.. هيا.

ـ وماذا لو طلبني رئيس الدائرة؟

نهض بيلجر عن كرسيه واتجه نحو الشرطي المتمرن الجالس خلف مكتب في أحدى زوايا الغرفة، وقف أمامه، وضع يديه على الطاولة، «أنت أيها النمر الصغير، كيف ترى العمل معنا؟ أتعجبك هذه الكرسي المتحركة.. ابتسم.. وإلا لن تجد وقتاً للإبتسام فيما بعد».

أشار بيلجر بيده إلى ناتالي «هذه البطة ستحل محلي بعد إحالتي على التقاعد، أتعرف معنى هذا؟ ستصبح رئيستك وستكون سعيداً بذلك، ونحن الآن ذاهبان لتناول القهوة في المقهى المقابل. إن أحد سأل عنها، قل إنها تعاني من آلام نسائية وقصدت الصيدلية لشراء دواء.. أفهمت أيها النمر الصغير؟».

– إذا سمح لي بالذهاب معك. قالت ناتالي «سأعاقبه يا حضرة المفتش».

تجاهل بيلجر الملاحظة وتأبط ذراعها واتجه بها نحو الأدراج

ـ لا شك أن جدتك إنسانة رائعة؟

WWW.REWITY.COM
RAYAHEEN
WWW.REWITY.COM

ـ لماذا؟

ـ لأنها أحاكت لك هذه السترة، التي تظهر جمال صدرك. انظري إلى هذين النهدين كيف يبرزان...

الحقيقة، أن جورج كان معجباً بناتالي الممتلئة الجسد، وكان يعتبر نفسه سعيداً لأنه أمضى آخر أربع سنوات من خدمته وهي تشاطره المكتب خمسة أيام في الإسبوع.

ـ سأفتقد وجودك جورج، فعلاً ليتهم يمددون لك خدمتك...

تعالي.. تعالي. أخذ يدها وعبرا الشارع، دخلا المقهى الخشبي القديم وطلب فنجاني قهوة.

ـ أحقاً لم تتمتع بعطلة نهاية الإسبوع أيها الدب الكبير؟.

ـ كانت عطلة مملة؟

ـ أهذا بسبب عدم ذهابي معك بعد ظهر الأحد؟

طأطأ جورج رأسه علامة الإيجاب.

ـ حسناً ولماذا لم تذهب إلى المتحف أو أي مكان آخر؟ المهم ألا تبقى في المنزل وحيداً.

ـ أتذكرين، صرت أتشاءم من الذهاب إلى المتحف، صرت كذلك. منذ ذهبت ذات مرة وصودف وجود لص، وبدلاً من التمتع بعطلتي، قبضت على اللص وعدت إلى الدائرة.

ـ إلى السينما إذن؟

ـ أفي هذا العمر تريدينني أن أجلس إلى جانب شباب متسكعين؟

ـ قم في نزهة.

ـ حسناً قمنا بنزهة، وهل نمضي يومين نمشي ونمشي. على فكرة كيف هي الحال مع صديقك؟

ـ لا شيء مميز، نمضي بعض الوقت معاً...

ـ أستغرب قولك هذا، وأستغرب أن يمل رجل من وجودك معه، صدقيني أتمنى لو أني أصغر بخمسة عشر عاماً، لكنت أمضي أجمل أيام العمر إلى جانبك.

ـ ولكنك تبدو كذلك، أي أصغر من سنك الحقيقي.

ـ وهل أعتبر هذا نوعاً من التشجيع؟

ـ إنها مجرد مجاملة لا أكثر.

ما إن انتهيا من شرب القهوة، حتى نهضت ناتالي «والآن عليّ العودة إلى مكتبي، عليّ دراسة ملفات كثيرة.. وأنت ستذهب إلى المستشفى أليس كذلك؟».

وهكذا افترقا، ناتالي ذهبت إلى مكتبها أما هو فاستقل سيارة الشرطة واتجه نحو المستشفى، حيث قابل رئيسة قسم الممرضات السيدة جاركو فينسكي وقدم نفسه لها.

رمقته الممرضة بطرف عينيها وقالت «شيء رهيب.. لم يسبق أن حدث هذا».

وبذات اللهجة الإنفعالية، أخبرته أن المدير الإداري للمستشفى مصاب بإحباط نفسي ويرغب بمقابلته بعد الظهر، قبل رفع تقريره النهائي إلى مجلس الإدارة «حسناً أيمكنك العودة ثانية بعد الظهر يا حضرة المفتش؟».

WWW.REWITY.COM

«لربما؟ هذا يعتمد على ما سأحصل عليه من معلومات الآن.. فهل لك إخباري بما جرى من البداية حتى النهاية وبالتفصيل؟».

أخبرته السيدة جاركوفسكي أنه مما لا شك فيه أن عملية الإختطاف حدثت في الوقت الذي يتم التسلم والتسليم بين الفريق الطبي المنتهي دوامه والفريق الذي يأتي بعده. ولا أحد اتصل بالممرضة التي كانت في الخدمة قبل تلك الساعة. إلا أن الممرضة المناوبة ليلاً، كانت تقوم بجولتها المعتادة عند الساعة الثانية بعد منتصف الليل، وجدت السرير في الغرفة 505 فارغاً، فاعتقدت أن المريض قد توفي، وأنه لم يتم إدخال مريض جديد، عملاً بالتقليد المعمول به في المستشفى، وهو إبقاء الغرفة شاغرة لمدة أربع وعشرين ساعة في حالة الوفاة. ولم يكترث أحد للأمر حتى قمت أنا بجولتي، إذ وجدت أن شيئاً غير طبيعي قد جرى. ليس في الملفات أية إشارة إلى وفاة أحد.

ـ أتعتقدين أنه قد تكون المريضة استفاقت من غيبوبتها بشكل مفاجىء وخرجت من تلقاء نفسها؟ هذا أمر طبيعي حين يمضي الإنسان فترة طويلة في سريره.

ـ إني أقدر لك هذا الإحساس حضرة المفتش.. ولكن هل تقول هذا لأمها؟ إنها هنا في الإدارة ولن تمضي دقائق إلا وتكون معنا.

ـ بالطبع.. ولكن ما الغاية من عملية الإختطاف؟

ـ هذا هو موضوع القضية، وهذا ما يحيرني. قالت جاركوفسكي بلهجة الإستغراب وكأنها ترغب بالقول إن الوقت يمضي سدىً دون الإستفادة منه.

ـ تعلمين آنستي أن ما من جريمة إلا ولها أسبابها ودوافعها، وأنه من غير المنطقي أن يقدم إنسان على ارتكاب جريمة كهذه بلا سبب ومن دون دوافع قد يكون: تم نقل المريضة من قسم لآخر.

ـ أبداً.. من غير المعقول أن يتم ذلك.. ومن ثم وجدنا في مكتب الاستقبال مستندات التحويل، وقد تم نقل المريضة بسيارة إسعاف.

ـ سيارة إسعاف؟

أوضحت الآنسة جاركوفسكي، أنها في البدء لم تنتبه للأمر، حتى لم تشك أن هناك مريضاً اختطف، ولكن حين قصدت مكتب الإستقبال ووجد مستندات التحويل شكّت في الأمر، إذ من غير المعقول أن تتم عملية نقل المريضة دون إبلاغها مسبقاً. «في مطلق الأحوال أطلعتني موظفة الإستقبال على المستندات، فوجدتها ناقصة، ووجدت أن إحداها لا يحتوي معلومات صحيحة، الأمر الذي أثار ريبتي وتساءلت كيف تسمح تلك الغبية بمثل هذه الأشياء؟».

قاطعها بيلجر «وما اسم تلك الغبية؟».

ـ كاتي.. وهي التي كانت مناوبة الليلة الفائتة.. وبسبب غباوتها نحن في مأزق الآن.

سمع بيلجر رواية جاركوفسكي باندهاش كلي، وأدرك أن الحديث معها غير مجدٍ، طالما هي لم تكن موجودة لحظة وقوع عملية الإختطاف. وأنه من الأجدى والأكثر نفعاً الاستماع إلى الموظفين والممرضات الذين كانوا في الخدمة تلك الساعة، طلب من جاركوفسكي أسماءهم وعناوينهم وأرقام هواتفهم واتصل عبر

WWW.REWITY.COM

هاتف سيارة الشرطة بناتالي طالباً إليها استدعاءهم جميعاً إلى مركز الدائرة للإستماع إليهم وتدوين إفاداتهم.

قبل انتهاء دوامه، كان بيلجر قد استمع إلى إفادات الجميع، فعلم أن ليل الأحد الماضي حضر طبيب مزيف إلى المستشفى مع سائق سيارة اسعاف ومعهما مستندات مزورة، تقضي بنقل المريضة لورين كلاين المصابة بالغيبوبة التامة من المستشفى إلى مركز رعاية آخر، هذا كان في البداية، لكن إفادة الطبيب المتمرن، غيرت وجهة التحقيق وقلبته رأساً على عقب، إذ تبين أن الطبيب المعتقد أنه انتحل صفة الطبيب قد يكون فعلاً طبيباً وجراحاً أيضاً ويتمتع ببراعة وقدرة فائقة على العمل الطبي. واستناداً إلى إفادة الممرضة التي كانت موجودة أيضاً، تأكد المفتش بيلجر أن المختطف لم يكن طبيباً مزيفاً، بل فعلاً هو طبيب جراح أو متخصص بطب الطوارىء، لأنه أقدم على اسعاف مريض كان في حالة الخطر وأنقذ حياته وأن العمل الطبي الذي قام به، يستحيل أن يقوم به إلا طبيب كفوء. وتساءل بيلجر، عما إذا بمقدور ممرضة القيام بما قام به، فكان الجواب نعم، لكن المشكلة أن الطبيب المتمرن هو من طلب منه المساعدة فأعطاه تعليمات واضحة لا بأس فيها تجعل أي شخص يعتقد أنه طبيب.

قبل مغادرة ناتالي الدائرة إلى منزلها، عرّجت على مكتب بيلجر «هل توصلت إلى شيء ما؟».

- توصلت إلى شيء يثير الريبة والشكوك قد يجعلني أتوسع في التحقيق. إن من قام بعملية الإختطاف هو فعلاً طبيب، ويتمتع بكفاءة عالية، حسب إفادة الطبيب المتمرن والممرضة المناوبة، حضر إلى

المستشفى بسيارة إسعاف مجهولة الهوية ومعه مستندات مزورة.

- وما الذي تعتقده إذن يا جورج؟

- لست أدري.. قد تكون هناك دوافع كثيرة وراء هذه الجريمة النكراء، ربما التجارة بالأعضاء البشرية، ومن المحتمل أن يكون تم نقل الجسد إلى أحد المختبرات الطبية السرية لانتزاع الأعضاء، مثل القلب، الكلى، الكبد، العينين وما شابه للإتجار بها وبيعها في السوق السوداء، وكما تعرفين هذه تجارة مربحة.

سأل المفتش ناتالي، عما إذا كان بوسعها تزويده بلائحة تضم أسماء العيادات الخاصة التي تقوم بمثل هذه العمليات، عمليات زرع الأعضاء، خاصة تلك التي تعاني من ضائقة مالية.

- إسمع جورج، إنها السادسة مساءً الآن، وعليّ العودة إلى المنزل، فوق هذا كله، إن ما تطلبه ليس عملية سهلة وقد يتطلب وقتاً لا بأس به.. غداً صباحاً سيكون لك ما تريد.

- يا لك من إنسانة مراوغة. في الصباح دعوتني لحفلة رقص والآن تنقلبين رأساً على عقب. ناتالي.. أنا بحاجة ماسة إليك.. مدي لي يد العون...

- يا إلهي، كم أنت بارع جورج في استدرار الشفقة.. وأنت أيضاً ما بالك، ففي الصباح لم تكن هكذا.

- ربما، ولكن هل أنت راغبة في مساعدتي؟ هل أنت مستعدة لإنقاذ العم جورج؟

- يا إلهي أنا؟... إنك تضعني في موقف حرج يا جورج.. عمت مساءً جورج، أتمنى لك أحلاماً سعيدة.

WWW.REWITY.COM

- ناتالي.

- نعم جورج.

- أنت رائعة الجمال.

- جورج، قلبي ليس للبيع وأنت تعرف هذا جيداً.

- أعرف ولكن هذا أنا جورج بيلجر. لم أقصد هذا ناتالي، لم أقصد هذا يا طفلتي المدللة، ... حسناً إذهبي إلى المنزل. وأنا سأتدبر أمري.

اتجهت ناتالي نحو الباب، لكنها استدارت وقالت «أمتأكد أنك بخير يا جورج؟».

- نعم.. إذهبي واطعمي القطة.

- القطة؟.. تعرف أن لدي حساسية على القطط.

- إذن إبقي هنا وساعديني.

- عمت مساءً جورج. قالت هذا وأسرعت وهي تهبط الدرج ويدها تنزلق على حافة الدرابزين الحديدي.

استدار جورج إلى شاشة حاسوبه، طبع كلمة عيادة، أشعل سيجارة بانتظار إنتهاء البحث، دقائق قليلة، وأخذت الطابعة تصرصر، وتتساقط الأوراق منها، واحدة بعد الأخرى حتى بلغت الستين صفحة. «حسناً هذا كل شيء.. حمداً لك يا رب ليس أكثر». عاد واستدار نحو مكتبه وشرع يفكر بالإتصال بما يقارب المائتي مصرف لسؤالها «عن العيادات الخاصة التي طلبت قروضاً مالية خلال الأشهر العشرة الأخيرة». قال هذا بصوت عال.

- ولماذا خلال الأشهر العشرة الأخيرة؟ سألته ناتالي وهي تفتح باب مكتبه خلسة.

- إنه إحساس الشرطة. قال بيلجر، واستدار نحو الباب وعلى شفتيه إبتسامة عريضة «وأنت ما الذي أعادك إلى هنا؟».

- أسباب نسائية.

- حسناً هذا أمر جيد... وهل أنا صيدلية؟

- هذا يعتمد عليك.. إلى أي مطعم ستدعوني لتناول العشاء؟

- لك الحق في الإختيار.. رباه كم أنا محظوظ، ناتالي تقبل دعوتي للعشاء... لا بل تحثني على ذلك.

- جورج هل لي بسؤال شرط الإجابة بصراحة متناهية؟

- لك ما تريدين...

- تحبني يا جورج؟

- أهذا سؤال يُسأل يا ناتالي؟ وكأنك لا تتمتعين بحس نسائي.

- والآن ما هو مطلوب مني؟

- أمر بسيط وسهل التنفيذ، كل ما أريده هو الإتصال بالمركز الرئيسي للشرطة والاستعلام عما إذا كان هناك أي بلاغ عن سرقة سيارة إسعاف ليل الأحد أو خلال النهار... من يدري قد نكون محظوظين؟

اتصلت ناتالي بالمركز الرئيسي، لكن الشرطي المناوب أجابها أن لا بلاغ في هذا الموضع خلال ليل الأحد الفائت. فطلبت منه التوسع بالبحث ليشمل يوم الأحد منذ الصباح، وثانية جاءها

WWW.REWITY.COM

الجواب بالنفي، عادت ناتالي وطلبت من الشرطي المناوب البحث عن أي بلاغ عن سرقة سيارة إسعاف، خارج المركز الرئيسي للمدينة وحتى في الضواحي. ولم يتغير الجواب.

ـ لا بلاغ حول سرقة سيارة إسعاف وحتى لم يسجل دخول أية سيارة إسعاف من خارج المنطقة.

عادت ناتالي إلى مكتب بيلجر «آسفة لا شيء من هذا القبيل مطلقاً.. والآن؟».

ـ الآن عليك تلبية دعوتي للعشاء يا عزيزتي، فالمصارف لن تفيدنا بشيء قبل نهار غد.

في مطعم «بيري». الذي اختارته ناتالي، جلسا قرب النافذة المطلة على شارع الإتحاد.

كان جورج يصغي إلى ما تقوله ناتالي، وهو شارد الذهن

ـ كم من الوقت مضى على تعارفنا يا جورج؟

ـ قد يكون منذ زمن طويل بالنسبة لك، أما بالنسبة لي فلا... فعلاً أنا محظوظ جداً لأنك عملت معي خلال السنوات الأربع الأخيرة، وأن ما يزعجني في إحالتي على التقاعد هو إبتعادي عنك.

رغم هذا كان بيلجر منشغلاً في التفكير بالقضية التي تواجهه

ـ ما أزال أفكر بالدوافع الكامنة وراء الإختطاف. إني أحاول حل اللغز.

ـ ربما لدى والدتها أية معلومات، متى سيتم لقاؤها؟

ـ غداً.

ـ أو لربما يكون لها يد، خاصة وأنها تعودت الحضور يومياً إلى المستشفى وصارت مطلعة على مواعيد تبادل الفرقاء لنوبات العمل.

ـ لا.. لا.. ما من أم تقوم بهكذا حماقة.

ـ أعني لربما أرادت وضع حد لهذه المعاناة الطويلة. إذ من الطبيعي أن تدرك أن لا أمل للشفاء، فأرادت إنهاء عذاب ابنتها وعذاباتها هي أيضاً.

ـ أمجنونة أنت يا ناتالي؟ كيف تتخيلين أماً تضع هكذا خطة لقتل ابنتها؟ في هذه الحال لا تعود جريمة اختطاف موصوفة بل جريمة قتل عن سابق تصور وتصميم.

ـ معك حق.. هذا مجرد كلام فارغ.

ـ إفهميني ناتالي، لا يمكننا فهم شيء، أو فعل شيء، أو الوصول إلى أية نتيجة دون معرفة الدوافع.

ـ حسناً إذن.. لنعد بالتفكير بتجارة الأعضاء البشرية.

ـ حتى هذه، أجدها فكرة سخيفة.. إن سرقة جسد من أجل بيع الأعضاء عملية مكشوفة. تجعل المستشفيات حذرة جدا، مما يعني استحالة تكرارها. ومن ثم كم من المبالغ قد يكسب اللصوص من هذه الجريمة؟

ـ لنقل مئة وخمسين ألف دولار ثمن القلب والكليتين والكبد.

ـ أما تعتقدين أنه مبلغ لا يوازي المخاطرة من أجله؟

ـ ولكن هناك أثرياء مستعدون لدفع أي مبلغ من أجل حياتهم أو حياة أحد أبنائهم، وهناك كثيرون من هؤلاء قد يحرضون آخرين على اختطاف جسد مريض لقاء مبالغ باهظة.

WWW.REWITY.COM

وجد بيلجر في كلامها نوعاً من المنطق. وفي الوقت ذاته فيه الكثير من المبالغة، وفيما لو أخذ بنظريتها، فهذا يعني أن عليه متابعة ودراسة ملفات آلاف المجرمين والبحث عن مثل هؤلاء الأثرياء الذين هم بحاجة لعضو بشري من أجل الاستمرار في الحياة ولا يهتمون بحياة الآخرين «هذا يعني أن على هؤلاء البحث عن إنسان ميت دماغياً أولاً، ومن ثم التخطيط لسرقة جسده».

ـ هل ينبغي علينا سؤال العيادات عن الأشخاص الذين هم بحاجة لعملية زرع عضو بشري، وينتظرون متبرعاً؟

ـ هذه عملية مضنية أولاً، وثانياً بأي حق سنستجوب هؤلاء وبأية تهمة؟

رن جرس الهاتف الخلوي لناتالي، اعتذرت ناتالي واتجهت جانباً، وعادت بعد قليل.

ـ من كان المتكلم؟

ـ الشرطي المناوب.

ـ وماذ يريد؟

ـ قرر الضابط المناوب التعميم على جميع دوريات الشرطة ليل الأحد، للإستفسار عما إذا كانوا لاحظوا أي تحرك مشبوه لإحدى سيارات الإسعاف.

ـ وماذا أيضاً؟

ـ لا شك أنه قرار صائب. بالفعل هناك دورية اعترضت إحدى سيارات الإسعاف تتجول في شوارع غرين،وبستر يونيون، وتيلمود وكان هذا بعيد منتصف الليل.

ـ شيء رائع... وهل من شيء آخر؟

ـ نعم أوقفت الدورية السائق وسألته عن سبب تجواله فأجاب أنه يقوم بجولة وداعية سيارة الإسعاف قبل إحالتها على التقاعد بعد عشر سنوات من الخدمة.. حتى أصبحت جزءاً من حياته.

ـ ما كان نوعها؟

ـ فورد 1971.

فكر بيلجر ملياً بالموضوع، وغربل كل الاحتمالات في رأسه

ـ شيء رائع. قالت ناتالي، «ولكن هناك ما هو أروع».

ـ ما هو؟

ـ لقد تابعت الدورية سير السيارة، حتى ركنها سائقها في المرآب، وصار مكانها معلوماً.

ـ أترين ناتالي. كثيراً ما لا نفكر بأشياء نعتبرها رومانسية وإذ بها تقودنا إلى الحقيقة، أو لنقل إلى طريق الحقيقة.

ـ لماذا تقول هذا الآن؟

ـ لأنني لو كنت طلبت فعل ذلك، أو ملاحقة ذاك الفتى الذي كان يقود السيارة، لخشيت من أن تهزئي مني.

ـ أتعرف جورج، أنت فعلاً مخبول. كنت أعتقد أنك ستذهب للتو إلى حيث السيارة.

ـ لا. ليس اليوم، بل غداً.. قد يكون المرآب اليوم مغلقاً. غداً سأذهب دون إثارة أية شبهة. من ثم السيارة ليست هدفنا، بل الفتى الذي كان يقودها. من الأفضل أن أذهب كمتفرج، وإلا

WWW.REWITY.COM
RAYAHEEN
WWW.REWITY.COM

لوجب علينا إرسال «الجرذان» قبلنا لاستقصاء الخبر اليقين.

دفع بيلجر الفاتورة وخرجا «أتمانعين لو نمشي قليلاً؟» فسيارة الإسعاف تجولت هنا في هذه المنطقة وأريد استكشافها.

ـ أتعرف ما يسعدني؟ قالت ناتالي.

ـ لا.. هاتي أخبريني.

ـ أن تأتي معي إلى منزلي، فأنا لا أرغب أن أنام وحيدة هذه الليلة.

ـ وهل لديك فرشاة أسنان؟

ـ نعم.. إنها لك أيضاً.

ـ لنمضي إذن.. وأنا أيضاً أتمنى لو نكون معاً هذه الليلة. منذ زمن لم نكن معاً.

ـ ماذا؟ زمن طويل.. أولم نكن معاً ليل الخميس الفائت؟

ـ إذن منذ زمن طويل.. أنا مشتاق لرائحة جسدك يا ناتالي...

بعد ساعة ونصف من التجوال في الشوارع القريبة، تنهد جورج قبل أن يعبر عن اعتقاده بأنه بات على قاب قوسين من الوصول إلى اكتشاف حقيقة اختطاف جسد لورين كلاين.

«نعم ستفعل». قالت ناتالي، وكأنها تمنحه ثقة زائدة وتشجعه على المضي قدماً في تنفيذ ما هو عازم عليه «نادراً ما أخطأت يا جورج».

يوم الثلاثاء، كان يوماً مفيداً ومضنياً. قبل الظهر التقى جورج بالسيدة كلاين التي أخبرته أنها والأطباء كانوا على وشك اتخاذ

قرار يحدد مصير ابنتها. مما استبعد ضلوع السيدة كلاين في عملية الإختطاف.

بعد الظهر، قصد المرآب حيث سيارة الإسعاف التي قد تقود إلى مفتاح القضية، أربعون ميكانيكياً، وعشرة موظفين إداريين. إذن هناك ما يقارب الخمسين مشتبهاً إضافة إلى المالك، والمثير للإستغراب أن ليس في المرآب أية سيارة غير سيارات إسعاف، منها ما هو قيد الترميم ومنها ما هو قيد التجديد. سيارات إسعاف من جميع الطرازات ومختلفة تواريخ الصنع.

أصغى المالك كلياً لما تفوه به المفتش، ولكنه استبعد أن يكون أحد من موظفيه قد أخرج سيارة من المرآب، وإلا لماذا أعادها إليه. أضف إلى ذلك، أنه بعد إجراء الكشف على جميع السيارات تبين أن أقفالها كلها سليمة والمفاتيح كلها مع المالك. لكن المفتش أطلعه على ما جرى مع دورية الشرطة، وهذا يعني أن أحد الموظفين متورط في القضية وكان يعتقد أن استعارته للسيارة لن تكتشف.

ـ هكذا علينا الآن معرفة أي منهم هو المتورط؟ قال جورج.

ـ لا أحد منهم. قال المالك «فلا شيء يشير إلى ذلك».

رغم عدم اقتناع المالك بما يقوله المفتش، فإن هذا الأخير رأى أن سيارة الفورد صنع 1971 هي السيارة الوحيدة التي من الممكن أن يتجول المرء بها كسيارة عادية، وهذا ما عزز شكوكه أن أحداً من العاملين في المرآب متورط بالجريمة.

إذن الكل مشتبه بهم. طلب بيلجر من مالك المرآب ملفات العاملين لديه بما فيهم الذين تركوا العمل منذ سنتين حتى اليوم وحين

WWW.REWITY.COM

عاد إلى مكتبه قرابة الثانية كانت ناتالي ما تزال تتناول الغداء في مطعم مجاور، فغرق في دراسة ما يقارب الخمسة وخمسين ملفا؛ عند الثالثة، عادت ناتالي بتسريحة شعر جديدة، متوقعة بعض التعليقات اللاذعة.

- إياك وأن تتفوه بأية كلمة يا جورج، فكل تعليقاتك لن تجدي نفعاً.

رفع جورج عينيه نحوها، وقبل أن يتكلم، أو أن يحاول قول شيء، تقدمت ناتالي ووضعت إصبعها على شفتيه وكأنها تدعوه للصمت «لديك ما هو أهم من تسريحة شعري.. لديك قضية معقدة.. سأخبرك بما يفيدك، إن وعدتني ألا تسخر من تسريحة شعري.. أتعدني؟».

بحركة عفوية وضع يده على فمه فوق إصبعها، دلالة على موافقته على العرض الذي قدمته إليه، وكذلك بايحاءة من عينيه.

أزاحت ناتالي إصبعها عن شفتيه «لقد اتصلت والدة الفتاة المختطفة، وقالت إنها تذكرت شيئاً قد يفيدك في التحقيق وتتمنى عليك الإتصال بها. إنها في المنزل تنتظر مكالمتك».

نظر جورج إلى ناتالي والإبتسامة تعلو شفتيه «ولكني أحببت تسريحة شعرك هذه.. فعلاً تناسب شكل وجهك».

ابتسمت ناتالي وبدا الإرتياح بادياً على ملامح وجهها وعادت وجلست خلف مكتبها.

عبر الهاتف، أخبرت السيدة كلاين المفتش بيلجر عن التقائها صدفة عند المارينا بشاب أخذ يحدثها عن أهمية الحياة وقدسيتها.

رددت على سمع المفتش أدق تفاصيل الأحاديث التي جرت

بينها وبين ذاك الشاب الذي أخبرها أنه التقى ابنتها لورين في قسم الطوارىء في مستشفى سان فرنسيكو التذكاري. حيث ضمّدت جرحاً في يده، وأخبرها أنه تناول العشاء مع ابنتها أكثر من مرة. وأوضحت أنها غير مقتنعة بما قال عن صداقة ربطته بلورين منذ سنتين تقريباً وأنهت قائلة «عفواً تذكرت، لقد قدم نفسه على أنه مهندس أعتقد أن هذا قد يفيدك في التحقيق».

- حسناً.. حسناً سيدتي. تمتم المفتش «تطلبين مني البحث عن مهندس جرح يده منذ سنتين، وأخبرك أنه تناول الغداء أو العشاء، مع ابنتك أكثر من مرة وتسألينني أن أضعه على لائحة المشبوهين لمجرد أنه حدثك عن أهمية الحياة وقدسيتها ولأنه عبر عن رفضه اللجوء إلى طريقة الموت الرحيم؟».

- أما أتعتقد أن هذا قد يفيدك؟

- ليس بالضرورة، ولكن أعدك بمتابعة القضية سيدتي.

- وماذا تعتقد إذن؟ سألته ناتالي وهو يعيد سماعة الهاتف إلى مكانها

- أعتقد أن تسريحة شعرك السابقة كانت أفضل.

- دعك من شعري الآن.

عاد بيلجر لدراسة ملفات الموظفين العاملين في المرآب، لكنه لم يجد في أي منها ما يثير الشبهات أو يسمح له باستدعاء صاحب ملف لاستجوابه. فجأة وبحركة تنم عن أنه يكاد يفقد أعصابه تناول سماعة الهاتف ووضعها على أذنه وطلب المستشفى، إلا أن عاملة الهاتف لم تجب عليه إلا بعد الرنة التاسعة.

- أتعرفين قد يموت المريض قبل أن تتكرمي بالرد على الهاتف.

WWW.REWITY.COM

- إذا كان كذلك، فتأكد أنه لا ضرورة لإدخالك قسم الطوارىء بل نرسل بك إلى براد الموتى مباشرة. أجابت عاملة الهاتف.

قدم بيلجر نفسه وطلب منها وصله بالإدارة. وسأل عما إذا كان حاسوب المستشفى قادراً على إعطائه معلومات عن حادث عمل.

- هذا يعتمد على الفترة الزمنية التي انقضت». أجابت الموظفة وأضافت في مطلق الأحوال، فالسجلات الطبية هي سرية ولا يمكن البوح بمحتوياتها لأي كان، وخاصة، وشدّدت على كلمة خاصة عبر الهاتف

- تباً لكِ ولسجلاتك. قال بيلجر ونهض من خلف مكتبه كالمجنون. إرتدى المعطف الواقي من المطر وركض إلى سيارة الشرطة وراح يقودها بسرعة جنونية في الشوارع المؤدية إلى المستشفى، مطلقاً العنان للبوق.

عشر دقائق ووصل المستشفى، وقف أمام مكتب الموظفة التي كان يتحدث معها عبر الهاتف وصاح:

- تطلبين مني أن أجد جسد امرأة سرق من هنا ليل الأحد الماضي وبالوقت ذاته ترفضين تزويدي بمعلومات قد تفيدني في التحقيق. إفهميني جيداً، فإما أن تتعاوني معي وتتخلي عن مفهوم سرية المعلومات وإلا سأتخلى أنا عن متابعة التحقيق في هذه القضية، وسأعلل طلب التخلي بعدم تعاونك معي.

- كيف لي أن أخدمك حضرة المفتش؟ قالت رئيسة الممرضات جاركوفسكي وهي ما تزال تدخل المكتب.

- كل ما أريده هو عما إذا كان الحاسوب يحتفظ بمعلومات عن مهندس جيء به إلى قسم الطوارىء هنا مصاب بجرح بيده وعولج على يد المريضة المختفية؟

- منذ متى تقريباً؟

- لنقل منذ سنتين.

- حسناً. قالت جاركوفسكي «سنبحث لك عن المعلومات التي تريد».

والتفتت نحو المفتش «قد يستغرق هذا بضع دقائق».

- سأنتظر.

بعد عشر دقائق، عادت جاركوفسكي لتقول أن لا معلومات في هذا الخصوص، فما من مهندس عولج بقسم الطوارىء خلال السنتين الأخيرتين».

- أمتأكدة أنتِ؟

- نعم متأكدة من ذلك كتأكدي أني أقف أمامك الآن. أقول هذا، لأن المهنة تقضي بحفظ هكذا معلومات لسببين: الأول هو التعامل مع شركات التأمين والثاني من أجل الإحصائيات المتعلقة بحوادث العمل».

شكرها بيلجر وعاد إلى سيارته ليقود ببطء شديد. كلما لاح بصيص أمل سرعان ما ينطفىء. إلا أن موضوع المهندس أخذ يؤرقه خاصة وأن من عادته التركيز على نقطة واحدة في التحقيق مهملاً النقاط الأخرى. أمسك هاتفه الخلوي وطلب ناتالي.

WWW.REWITY.COM

- هل يمكننا معرفة عما إذا كان هناك مهندس شاب يقيم في المنطقة التي كانت تتجول فيها سيارة الإسعاف؟

- شوارع يونيون، فيلمود وغرين؟

- وشارع وبستر أيضاً، توسعي في البحث يشمل كامل قطاع المرتفعات المحيطة.

- أمرك سيدي.. اشتقت إليك جورج.

- هذا ليس وقت غزل ناتالي.

ما إن وصل بيلجر إلى مكتبه حتى أبلغته ناتالي، أن هناك ثلاثة مكاتب هندسية في البقعة المحددة وأن مهندساً واحداً يقيم فيها. مكتبان في الشارع المجاور والثالث بعيد نوعاً ما. سأل بيلجر عن عدد العاملين في هذه المكاتب، فكان الجواب سبعة وعشرون موظفاً.

عند الساعة الخامسة والنصف، وصل عدد المشتبه بهم إلى ثمانية، واحد منهم شخص ينتظر متبرعاً بأحد أعضائه إما له شخصياً أو لواحد من أفراد عائلته، ولكن أياً من المشتبه بهم لا يمكن استدعاؤه للاستجواب حتى الآن على الأقل.

حك بيلجر جبينه وتنهد ثم التفت إلى ناتالي.

- هل لدينا أي مخبر محنّك في هذه المنطقة؟

- ليس لدينا أي واحد كاحتياط.. ولكن ما عليك سأذهب إلى المنزل وأعود بعد ساعة ليس أكثر.

- لا ناتالي فأنتِ بحاجة للراحة يا حبيبتي. إبحثي عن أي مخبر واطلبي منه أن يأتينا بمعلومات وافية عن المهندس المقيم في

المنطقة، وعما إذا كان بالإمكان أخذ صورة له.

صباح اليوم التالي أبلغ بيلجر أن المهندس المذكور، لم يعد إلى شقته ليل أمس.

«رائع». صرخ بيلجر وطلب من المخبر «اعتباراً من هذه الساعة مطلوب منك جمع كافة المعلومات المتعلقة بهذا المهندس: عمره، هل يتعاطى المخدرات، هل أمضى الخدمة العسكرية، من أية ثانوية تخرج ومن أية جامعة، أين يعمل، هل لديه صديقة، هل هو مثليّ، هل يقتني قطة، أو كلباً، أو ببغاء؟ يمكنك الإتصال بقيادة الجيش، أو بمكتب التحقيقات الفيدرالي إذا شئت المهم أن تجمع أكبر عدد ممكن من المعلومات».

أمضى بيلجر بقية يومه غارقاً في التفكير، بالصدفة تعرفنا إلى سيارة الإسعاف، لكن لا أحد من العاملين في مؤسسات دفن الموتى هو تحت الأنظار. أومن بين المشتبه بهم. هذا يعني أن عليه تمضية عشرات الساعات في استجواب من يرى ضرورة استجوابه. بالفعل بدأ اليأس يتسرب إلى دماغه. هو يدرك أن أمامه عملاً شاقاً، عليه استجواب أصحاب مكاتب الهندسة في المنطقة والعاملين فيها وواحد لا غير مشتبه به بسبب إعلان موقفه من الموت الرحيم. مع أن هذا لا يعتبر ولا بأي شكل من الأشكال دافعاً للقيام بعملية اختطاف جسد مريضة مصابة بالغيبوبة.

صباح الأربعاء وقبيل شروق على كارمل. استفاقت لورين باكراً وخرجت من الغرفة بهدوء حتى لا تزعج آرثر، تأسفت جداً لعدم قدرتها على تحضير فطوره. لكن السعادة تغمرها حين تتذكر أنه

WWW.REWITY.COM
RAYAHEEN
WWW.REWITY.COM

الوحيد القادر على رؤيتها وسماعها وحتى لمس جسدها، ويحبها كما لو أنها أمرأة عادية، كما لو أنها إمرأة من لحم ودم. لقد اختبرا أشياءً شبه مستحيلة، أشياء غير قادرة على فهمها، أشياء قررت ألا تحاول استيعاب فحواها واسترجعت ما سبق للبروفسور فرنشتاين أن قاله يوماً.

ـ لا شيء مستحيل تحت الشمس، لكن محدودية تفكيرنا هي التي تجعلنا نعتقد أن هناك أشياء أبعد من متناول أيادينا ويصعب علينا فهمها أو استيعابها. كل ما علينا فعله هو حل المعادلة التي تربط بين القدرة واللا قدرة. وهكذا لا شيء يبقى مستحيلاً. لقد توصلنا إلى عمليات زرع القلب. لماذا؟ لأننا تحررنا من فكرة أننا عاجزون. اخترعنا طائرة تزن ثلاثماية وخمسين طناً وحلقنا بها في الفضاء كما لو أنها طائر مهاجر، وطأت أقدامنا سطح القمر، وحولنا الحلم إلى حقيقة.

ـ هذه هي حالتي. قالت لورين «حين صممت على فعل شيء تمكنت من فعله، لقد مارست الحب مع آرثر، وأحسست بكل المشاعر والأحاسيس التي لم أعرفها من قبل، أيام كانت روحي متحدة في جسدي.. هذه البداية وعليّ الاستمرار».

خرجت من المنزل واتجهت نحو الشاطىء.

بعد خروجها بقليل استيقظ آرثر، بحث عنها في كل زوايا المنزل فلم يجد لها أثراً. ألقى نظرة إلى الحديقة فإذا به يراها جالسة على الصخرة التي اعتادا الجلوس عليها عند الشاطىء. مضى إليها وتقدم من الخلف. مد يديه وأغمض عينيها ومن ثم انحنى وقبل رأسها.

ـ منظر رائع أليس كذلك؟ قال آرثر.

WWW.REWITY.COM

ـ أتعرف آرثر؟ كنت أفكر، طالما نحن غير قادرين على التخطيط للمستقبل، فلماذا لا نعيش حاضرنا.

ـ اليوم سأخذك لحضور استعراض أسود البحر.

ـ أسود البحر الحقيقية؟

ـ أسود البحر، والفقمة والدلافين أيضاً.

صباح الخميس جاء المخبر إلى الدائرة وهو يتأبط ملفاً كاملاً عن المهندس الرافض فكرة الموت الرحيم.

ـ ماذا لديك أيها الفتى الأغر؟ قال بيلجر.

ـ أخبار جيدة وأخرى سيئة.

تعبيراً عن عدم صبره، حل بيلجر عقدة ربطة العنق

ـ هيا أسرع، هات ما عندك.. هيا.. هيا.

ـ لا شيء يثير الاهتمام في حياة هذا المهندس لا يتعاطى المخدرات، يقوم بعمله على أكمل وجه، لا سجل إجرامي عنده، تخرج من جامعة كاليفورنيا، ذهب بعدها إلى أوروبا حيث أمضى بعضاً من الزمن، نشيط، صادق، مرح، يدفع كل ما عليه من ضرائب، لم تنظم بحقه أية مخالفة سير من أي نوع كانت بكلمة مختصرة إنه مثالي.

ـ ومن أين حصلت على كل هذه المعلومات؟

ـ لدي صديق في دائرة الضرائب.. هذا المهندس عاش يتيم الأب والأم وأورثاه منزلاً في كارمل.

ـ أتعتقد أنه يمضي عطلته هناك؟

ـ نعم إنه هناك الآن ولكن لهذا المنزل حكاية.

- وما هي هذه الحكاية؟

- لا يوجد فيه هاتف.. وهذا ما صدمني إذ كيف يعيش أمرؤ بمنطقة معزولة دون هاتف. لقد قطع الهاتف منذ سنوات خمس تقريباً. ولم يعد وصله أبداً. أما الكهرباء والماء فقد أعيد وصلهما يوم الجمعة الفائت، وهو يمضي عطلة نهاية الأسبوع هناك... إذن ليس في الأمر جريمة. آه نسيت وهذه صورته.

- حسناً فعلت أيها الفتى ولكن هذه المعلومات قد توصلنا إلى ما هو أهم.. أتوقع لك مستقبلاً زاهراً في الشرطة.

- أنك تجاملني.

- أبداً سيكون لك ذلك. قالت ناتالي.

- إسمع أيها الفتى إذهب إلى السيدة كلاين - هذا عنوانها، دعها تتعرف على الصورة، فيما إذا كانت عائدة للمهندس الذي التقته صدفة في المارينا.

خرج المخبر وعاد بعد ساعة بعد أن تعرفت السيدة عليه وأكدت أنه هو ذاته، لكن بيلجر وناتالي كان قد خرجا لتناول الطعام، بيلجر فشل في إيجاد حل للغز الجديد ألا وهو أن عنوان المريضة المختطفة هو ذاته عنوان المهندس الرافض للموت الرحيم.

- إجمعي كل هذه الأشياء على بعضها فترين آرثر بعيداً عن الشبهات.

- صار لديك معلومات، فلماذا هذا الانزعاج؟ قالت ناتالي.

- لأني أجهل ما قد يستجد، فسيرة هذا الفتى تقول إنه بعيد جداً

عن المشاكل، على العكس فحياته هادئة، واستناداً إلى إفادة الممرضة وطالب الطب أن المختطف يبدو وكأنه طبيب ماهر، وهذا مهندس.

- من يدري قد تكون صداقة ربطت بينه وبينها. قالت ناتالي.

- لقد أقسمت السيدة كلاين أن هذا لم يكن، تعتقد جازمة أنه لم يلتقِ ابنتها يوماً ما.

- ولكن ماذا عن الشقة؟ تساءلت ناتالي «أما تشكّل عنصر ربط بينه وبين الجريمة؟».

- لا.. لا.. حتى هذه.: لأن إفادة السمسار تقول إن استئجار آرثر للشقة العائدة للورين كلاين كان محض صدفة، إذ أنه كان يرغب باستئجار شقة أخرى إلا أن السمسار ألح عليه، رؤية هذه الشقة، فأعجب بها واستأجرها.

- هذا يعني أن لا دليل جرمياً في الموضوع؟

- لا.. لا أبداً إنه محض صدفة.

- إذن هل هو من قابل والدتها أو غيره؟

- حتى ولو كان هو ذاته، ففي غياب الدافع لارتكاب الجريمة لا يمكنني اتهامه بشيء لمجرد أنه استأجر شقة إمرأة اختطف جسدها ليل الأحد الفائت، وهل من مدعٍ عام يمنحني الإذن باعتقاله لهذا السبب؟

- لا سبب لاستدعائه؟

حك بيلجر جبينه «تخيلي أني فعلت ذلك ماذا سأقول له، سيدي لقد استأجرت ذات الشقة التي كانت تسكن فيها طبيبة مصابة

WWW.REWITY.COM

بالغيبوبة ولكنها اختطفت من المستشفى ليل الأحد الفائت. وأنك أعدت وصل التيار الكهربائي والمياه إلى منزلك في كارمل يوم الجمعة، أي قبل يومين من وقوع الجريمة. أعطني تفسيراً لهذا. لا شك سينتصب واقفاً أمامي ويقول «صدقني حضرة المفتش إني لا أفهم معنى تساؤلك».

- وساعتئذٍ أقول له إنك الوحيد الذي أشك فيه، فوالله، لن يكون مخطئاً إن قذفني من الطابق العاشر إلى الأرض.

- إسمع جورج، أعرف أنك شرطي ناجح، علينا الآن إيجاد الفتاة إنها ما تزال بالغيبوبة، وفي الوقت ذاته مجهولة المكان، لا نعرف إن كانت ما تزال على قيد الحياة أم لا، إذن ما عليك إلا الذهاب إلى كارمل فمن يدري؟ ربما...؟

قاطعها قائلاً «لا عليك .. لا عليك». دفع الفاتورة ونهض فجأة، قبل جبين ناتالي وطلب منها العودة إلى الدائرة فيما هو استقل سيارته متجهاً نحو كارمل، وفي رأسه أفكار وأفكار.

14

شيئاً فشيئاً أخذ البيت يستعيد شكله القديم وعادت الحياة تدب فيه غرفة فغرفة، كان آرثر ولورين ينتقلان، يشرعان النوافذ، فيدخل النور والهواء، ينفضان الغبار، يكنسان الأرض، يلمعان الأثاث والأدوات المنزلية والمطبخية.

يوم الخميس، كان الطقس عاصفاً، مياه المحيط تندفع نحو الصخور في محاولة لإزاحتها، حتى لا تبقى سداً يحول دون وصولها إلى مسافات أبعد.

بعد الظهر، وقفت لورين على الشرفة مشدوهة بما ترى، لقد تغير لون المياه، أوراق الأشجار من كل نوع تطفو على سطحها، تروح وتأتي مع حركات الموج، وكأنها تأبى الإنصياع لهياج الطبيعة، حتى لون السماء يتغير من ساعة لأخرى، فمن رمادي إلى أزرق ثم إلى قرمزي. لفتت هذه المشاهد إنتباهها وأدخلت السرور إلى قلبها. كان آرثر ينظف زجاج النوافذ المطلة على المحيط. ويلتفت إلى لورين من حين لآخر، يتبادل معها أطراف الحديث وكلمات الغزل والتعبير عن الحب. كل نظرة هي عبارة عن قصيدة أو قل ملحمة شعرية، وكثيراً ما يكون كلام العيون أوضح تعبيراً وأبلغ فصاحة من كلام الشفاه.

WWW.REWITY.COM
RAYAHEEN
WWW.REWITY.COM

برفق وهدوء، اقتربا، تعانقا، فأحسا باستراحة وجدانية ونفسية. كانت العتمة قد أخذت مكانها على الشرفة، وهما ما يزالان متعانقين، أحسا بالبرد يلسعهما فدخلا إلى غرفة الجلوس ارتميا أرضاً وهما متعانقان، حتى غرقا في النوم في حين كانت حركة المد والجزر تضعف. كان الحب بينهما يكبر، ليس يوماً بعد يوم، بل لحظة بعد لحظة.

عشية هذا اليوم، وصل بيلجر إلى كارمل ونزل في غرفة صغيرة مطلة على الطريق في أحد الفنادق. لم يسبق لبيلجر أن زار كارمل، وقف أمام النافذة، معجباً بتساقط المطر، والناس تحت المظلات في حركة دائمة. اشتاق إلى ناتالي وندم لعدم طلبه منها مشاركته هذه الرحلة. «آه، لو أنها الآن معي؟ لكنت أحسست بسعادة لا توصف، ولربما كنت نسيت لماذا أنا هنا». أخذ نفساً عميقاً ورفع السماعة محاولاً الإتصال بها، لكنه لم يفعل.

في الغرفة تناول عشاءه ومن ثم بعد كأس أو اثنين، خلد إلى النوم، استعداداً ليوم غد. حين استفاق مع شروق الشمس، أُعجب جورج بهذا المنظر، إنه يختلف عن منظر شروق الشمس في سان فرنسيسكو، إنه أروع جمالاً، عند الثامنة تجول حول منزل آرثر أما عند التاسعة، فقد تلبدت السماء بالغيوم من جديد واختفى نور الشمس. وعند الحادية عشرة صمم على البدء بمراقبة آرثر وتحركاته، لئلا يشتمّ منها ما يثير الشبهات أو لعل فيها ما يلفت النظر.

كان آرثر يرفع الغطاء عن سيارة الفورد صنع 1961. والغبار يعبق مع كل لمسة للغطاء، سنوات مرت ولم تمسه يد، سنوات مرت والغبار

يتراكم، ابتسم آرثر حين عادت الذكريات إليه، تذكر أنطوني واهتمامه الشديد بالمنزل ومقتنيات ليلي، تذكر أناقته وإبتساماته. فتح أبواب السيارة، فتنشق رائحة المقاعد الجلدية، راح يتجول حولها، معجباً بها، كانت الفورد تبدو وكأنها تحفة فنية نادرة. عاد آرثر طفلاً، ففتح يديه وشرع صدره للريح حتى بدا وكأنه طائرة ورقية. ومن ثم عاد إلى الفورد ليزيل ما تبقى عليها من غبار، متسائلاً «وهل سيدور محركها؟». ولكن الذي لفت نظره، ورقة ملصوقة على مقود القيادة.

«عزيزي آرثر، إن أردت إدارة محركها ما عليك إلا إعادة شحن البطارية، هناك شاحن على الرف في الجهة اليمنى، دسْ على دواسة البنزين مرتين أو ثلاثاً قبل المحاولة وهكذا يصل البنزين إلى المحرك. لا تتعجب إن سمعت صوت محركها. فهذه من صنع عام 1961. أما إذا أردت تعبئة الإطارات بالهواء فستجد المنفاخ في صندوق قرب شاحن البطارية».

قبلاتي: أنطوني

نزل آرثر من السيارة وأغلق الأبواب، واتجه إلى حيث يوجد صندوق العدة. نظر حوله فرأى المجاذيف عند الزاوية اليسرى. تقدم ومسح الغبار عنها وكذلك وجد عدة صيد السمك. إنها ما تزال كما كانت ذلك الصباح الذي أمضاه مع ليلي. شعر بمدى عاطفة أنطوني، كل شيء مرتب ويبدو واضحاً. تناول الشاحن عن الرف وعاد إلى الفورد، فتح غطاء المحرك وأوصل أسلاك الشاحن بالبطارية والكهرباء، ثم خرج وأغلق باب المرآب.

WWW.REWITY.COM

جورج بيلجر كان يراقب حركاته، واحدة تلو الأخرى، رآه وهو يتناول الفطور، وكذلك حين استلقى على المقعد في فناء المنزل. فعل كل هذا وهو يتناول فطوره، حتى حين عاد آرثر إلى المرآب، كان جورج ما يزال يراقب تحركاته، فسمع صوت محرك الفورد يهدر ورأى السيارة تتوقف خارج المرآب عند الرواق الخارجي، عند الرابعة، تلبدت السماء بالغيوم، وحلت العتمة محل النور، قرر جورج ترك آرثر وشأنه والعودة إلى الفندق ليجلس وحيداً لعله يستنتج شيئاً مما رآه اليوم.

أمسك سماعة الهاتف وطلب ناتالي.

ـ إذن. قالت ناتالي «هذا أنت أما تزال هناك؟ وهل من جديد؟».

ـ لا شيء على الإطلاق، لا شيء غير اعتيادي، بشكل عام لا شيء، إنه منهمك بأشغاله الخاصة، ينظف، يرتب، يرمم، يتعب فيستريح قليلاً ثم يعود إلى عمله. علمت أنه ورث المنزل عن أمه التي توفيت منذ زمن طويل، بعد ذلك كان هناك رجل اسمه أنطوني يهتم بالمنزل إلا أن هذا الأخير توفي هو أيضاً منذ خمس سنوات، وأعتقد أن من حقه العودة إلى منزل أمه والعيش فيه.

ـ قلت بشكل عام لا شيء؟ قالت ناتالي.

أثنى جورج على سرعة البديهة عند ناتالي «نعم قلت كذلك، ولكن عنده أشياء غريبة، يتكلم مع نفسه أحياناً، ويتصرف على المائدة وكأن أحداً يشاركه الطعام، وكثيراً ما يجلس عند الشاطىء ويده مرفوعة في الهواء ولدقائق عدة».

ـ ماذا أيضاً؟

ـ وشاهدته وكأنه يقبل فتاة بحرارة.. أقول وكأنه.. وفيما عدا ذلك فلا شيء.

ـ لربما يرغب بتحقيق أحلامه على طريقته الخاصة.

ـ قد يكون ذلك.

ـ أما تزال تعتقد أنه قد يكون الفاعل؟

ـ لست أدري حبيبتي، ولكن هناك ما يثير شكوكي في تصرفاته.

ـ أيتصرف بغباء؟

ـ ما من مجرم يتصرف بالهدوء الذي يتصرف به؟

ـ إذن ما تزال تعتقد أنه هو؟

ـ سأمنح نفسي يوماً آخر قبل إصدار حكمي.. غداً سأزوره وأعود بعدها إلى سان فرنسيسكو.

ـ إنتبه لنفسك.

ـ قبلاتي ناتالي.

بعد الظهر، وبعد العناية بجسد لورين، جلس آرثر أمام البيانو وأخذ يعزف معزوفة «كلير دي لا لين». إنها المعزوفة التي طالما عزفتها ليلي، وطالما شاركها أنطوني الغناء. واليوم يعزفها آرثر إحياء لروح ليلي، لورين كانت تقف في الموقع الأحب إلى قلبها، هناك عند الباب، تتكيء بظهرها على عارضته، رجل على العتبة والأخرى ممدودة إلى الوراء.

ـ إلى متى ستبقى هكذا آرثر؟ متجاهلاً أعمالك وكأنك ستموت غداً؟ تساءلت لورين.

WWW.REWITY.COM

- وهل هذا هو الوقت المناسب لمثل هذه المناقشة؟

- ولماذا لا؟ قد أبقى أنا سنوات على هذه الحال.. فما ذنبك أنت؟ وماذا عن عملك والتزاماتك المهنية ماذا عن عالمك الخاص؟

- وماذا تعنين بعالمي الخاص؟ اسمعي لورين، منذ سنوات لم أستفد من أية إجازة، فامنحيني بعضاً من الوقت. فنحن لم نكمل الأسبوع.

- عليك أن تحقق ذاتك، أن تكون لك حياتك الخاصة. أن تحب شخصاً آخر. حبك لي لا يعني أبداً أنك بلغت السعادة، فالحب يجب أن يكون بين اثنين متوافقين قادرين على العطاء كما الأخذ، اثنين قادرين على الاستمرار في الحياة. وهذا لا ينطبق عليّ وعليك.

- وهل أعلنت حبي لك؟ قال آرثر بلهجة ساخرة.

- لقد قدمت مليون برهان على ذلك، ولا ضرورة لقوله. أنا لا أؤمن بالحظ.. أتعلم؟ هناك سبب نجهله أنت وأنا، لماذا أنت وحدك من دون خلق الله، تسمعني وتراني وتلمس جسدي. منذ أن صدقت قصتي شعرت بحبك لي، وإن لم تكن تحبني فلماذا غامرت وأجبرت بول على المغامرة معك لإختطاف جسدي.. بودي لو أعلم لماذا تقدم لي كل هذا؟

- لأنك كل شيء في حياتي.. أنت عندي لذة الإندهاش التي يعيشها الطفل وهو يلعب بلعبة جديدة. أنتِ دموع الطالب وهو يتناول شهادة تخرجه الجامعية. أنت عندي نقطة الماء في فم من قد يقتله العطش.. إني أفعل ما أفعل لأمنع الموت عنك، ولإبقائك إلى جانبي.

- أبعد كل هذا الكلام تسألني إن كنت أعلنت حبك ؟ هنا تكمن

WWW.REWITY.COM

المشكلة.. نحن أمام مجهول. وأنا خائفة من الذي لم نصل بعد إليه.

- غداً أمر غامض للجميع وليس لنا وحدنا... لذا نجد أنفسنا خائفين منه، مع أنه قد يجلب السعد. أمسك يدها وشدها إليه وقبل جبينها. نحن الآن في الآن، دعينا نستمتع بهذه اللحظة ، هذا كل ما يهمني.

صباح اليوم التالي، كان آرثر يغسل سيارة الفورد، حين لاحظ سيارة قادمة نحوه عبر الطريق الترابية، إنه جورج بيلجر جاء وتوقف قربه.

- صباح الخير أيمكنني مساعدتك؟ قال آرثر.

- أسعد الله صباحك. إني قادم من مونتيري. قال بيلجر وهو يترجل من سيارته ويمد يده لمصافحة آرثر «أخبرني السمسار أن هذا البيت شاغر ولا أحد يسكنه، وكوني أبحث عن منزل لشرائه أردت معاينته، ولكن يبدو أني جئت متأخراً وسبقتني أنت إليه». «هذا المنزل لم يكن يوماً معروضاً للبيع ولن يكون». أجاب آرثر وتابع.

- إنه منزل والدتي، ولم أعد إليه إلا منذ أيام. وسأل آرثر ضيفه عما إذا كان يرغب تناول شيء من القهوة، لكن بيلجر اعتذر بحجة أنه لا يريد الاستمرار في إزعاجه، أصر آرثر على دعوته. وطلب من بيلجر الجلوس على كرسي على الشرفة ريثما ينتهي من عمله، وبالفعل ما هي إلا دقائق حتى كانت القهوة جاهزة على الطاولة الخشبية الصغيرة أمام بيلجر.

- إنه منزل جميل. قال بيلجر وهو يجول بنظره هنا وهناك « لا أعتقد وجود مثيل له في المنطقة».

ـ لست أدري. فأنا لم أكن مقيماً هنا، عدت منذ أيام فقط.

ـ وما الذي أعادك فجأة هكذا؟

ـ لا ليس فجأة.. بل أعتقد أنه حان الوقت لعودتي.

ـ هكذا، بدون أي سبب معين؟

صدم آرثر لهذا السؤال. فأسئلة هذا الغريب تدعو للشك والريبة وكأنه يريد معرفة شيء محدد. إنما يلف ويدور حول موضوع ما يبدو أنه يراوغ. راودته أفكار كثيرة. قد يكون رجل شرطة؟ قد يكون يبحث عن جسد لورين؟ قد...؟ قد...؟ لكنه استبعد قضية لورين

ـ بالنسبة لي. قال آرثر «لا أفكر أبداً ببيعه».

ـ إنك محق بذلك، فمن العار بيع منزل العائلة.

ازدادت شكوك آرثر، ولاحظ بيلجر ذلك، لذا قرر عدم الاستمرار في طرح الاسئلة، ووقف مودعاً طالباً من آرثر العودة إلى عمله، شاكراً إياه على حسن استقباله، شد على يده واستقل سيارته وغادر.

تقدمت لورين من آرثر «ما الذي جاء به؟».

ـ لشراء المنزل.. هكذا ادعى.

ـ إنه يثير شكوكي.

ـ كذلك أنا، لست أدري لماذا؟

ـ أتعتقد أنه شرطي؟

ـ لا.. لا أعتقد ذلك، أعتقد أنه سمسار أو رجل أعمال. لا تبالي به.. سأقوم بنزهة في هذه السيارة.. أتأتين معي؟

ـ ولما لا؟

بعد عشرين دقيقة من مغادرة آرثر، عاد بيلجر ليتفقد المنزل، قام بجولة حوله فوجد أن جميع النوافذ مشرعة باستثناء واحدة.. غرفة واحدة مغلقة النوافذ، أمر كافٍ ليزيد شكوك هذا الشرطي المشهود له بكفاءته. إذن هناك فرضية مهمة قد تقود إلى كشف الحقيقة. اكتفى بما رأى وعاد إلى الفندق فوراً، واتصل بناتالي ليخبرها أنه ما يزال بحاجة للدليل القاطع، لكنه يعتقد جازماً أن آرثر هو من قام باختطاف الجسد. كانت ناتالي واثقة من قدرة بيلجر وكفاءته. وتدرك أن لا مجال لاعتقال آرثر دون إذن النائب العام، ولكن ما الدافع لارتكاب الجريمة؟ لا شك أن هناك دافعاً مهماً جداً. ولكن ليس مالياً. جال بيلجر برأسه كل الدوافع التقليدية التي تدفع إنساناً ما لارتكاب جريمة، فلم يجد أياً منها منطقياً. لذا قرر المواجهة والمراوغة، قرر مواجهة آرثر بالحقيقة ليتعرف إلى ردة فعله والإنتباه إلى كل كلمة يقولها لعلها تحمل في معانيها ما يقوده إلى توجيه الاتهام المباشر. فما كان منه إلا أن غادر الفندق متجهاً نحو منزل آرثر، الذي كان ما يزال يقوم في نزهته برفقة لورين.

بعد ساعة عاد آرثر، فوجد بيلجر بانتظاره. ترجل من السيارة غاضباً وتقدم من ضيفه غير المرغوب فيه.

ـ أود إخبارك أمرين: أولاً، هذا البيت غير معروض ولن يكون يوماً معروضاً للبيع، وثانياً، هذه أملاك خاصة وعليك احترام ذلك.

ـ أعرف هذا. قال جورج «وأنا فعلاً غير مهتم إن كان المنزل معروضاً للبيع أم لا.. ولكن حان الوقت لأقدم نفسي، أنا المفتش

WWW.REWITY.COM
RAYAHEEN

جورج بيلجر». قال هذا ومد يده إلى جيبه، سحب بطاقته الوظيفية ووضعها أمام عيني آرثر «أنا بحاجة للتكلم معك».

- إنك تفعل ذلك، أولست تتحدث معي؟

- أيمكنني الدخول؟

- لا.. ليس بدون إذن رسمي.

- إسمع بني إنك ترتكب خطأً مميتاً.

- أنت من فعل ذلك، كذبت عليّ. لقد سبق واستقبلتك وقدمت لك شراباً.

- أيمكننا الجلوس في الرواق؟

- تفضل... لا مانع عندي.

جلس الإثنان على الأرجوحة. لورين جلست بعيدة بضع خطوات والخوف ينتابها. بإيماءة من عينيه، أكد آرثر لها أنه سيكون بخير ولا ضرورة للخوف.

- أخبرني ما هو الدافع الذي دفعك إلى ذلك؟ قال جورج.

- دافعي؟.. أي دافع؟

- سأكون صريحاً معك.. أنا متأكد من أنك...

قاطعه آرثر «من أني ماذا؟ منذ ولادتي حتى اليوم لم أرتكب إثماً حتى ولو كان تافهاً، لا في طفولتي ولا في مراهقتي ولا في أيامي هذه. إذن ما الذي تتحدث عنه؟».

أخذ بيلجر يتكلم عن لورين كلاين واتهمه بشكل مباشر بأنه من قام بسرقة جسدها من مستشفى سان فرنسيسكو التذكاري،

بالتواطوء مع سائق سيارة إسعاف ليل الأحد الفائت. أخبره أنه وجد سيارة الإسعاف. وباعتقاده، لا بل، أنه متأكد من وجود جسد لورين كلاين هنا، وفي الغرفة التي ما تزال نوافذها مغلقة «إن الذي يقلقني هو لماذا؟ إنه أمر يؤرق ليلي ونهاري.. اسمعني. منذ ثلاثين عاماً ونيف وأنا أعمل في قسم الشرطة الجنائية، وبعد شهور سأحال على التقاعد، ولم أعجز عن إلقاء القبض على أي مجرم، ولا أريد أن أنهي خدمتي دون الوصول إلى معرفة من اختطف جسد لورين كلاين. أعرف في حال ثبوت التهمة عليك ستسجن لمدة خمسة أعوام. هذا ليس همي.. كل ما أريد معرفته هو لماذا؟... لماذا سرقت جسدها؟».

أراد آرثر عدم التعليق على ما قاله المفتش «وماذا عن الجسد وسيارة الإسعاف؟».

- لن آخذ المزيد من وقتك، ولكن هل لي الدخول إلى الغرفة المغلقة النوافذ؟

- لا...

- ولماذا لا إذا كنت لا تخفي شيئاً فيها.

- لأنها كانت غرفة أمي، ومنذ وفاتها لم يدخل أحد إليها. بالنسبة لي إنها مقدسة، إنها ما تزال كما تركتها أمي، ولهذا السبب وليس لأي سبب آخر، ما تزال نوافذها مغلقة والحقيقة إني أفكر بالدخول إليها، ولكن لوحدي وعندما أريد، أو قل عندما أكون مستعداً نفسياً، ولن أفعل هذا بناءً لطلب شرطي مجنون يعتبرني مجرماً». وقف آرثر «أتمنى أن تكون قد استوعبت ما قلته».

WWW.REWITY.COM

ـ حسناً... إذن ما عليّ إلا الذهاب.

ـ أتمنى أن تفعل ذلك.

وقف بيلجر ودون أن يصافح آرثر اتجه نحو سيارته. فتح الباب، ثم التفت إلى آرثر وراح يحدق بعينيه، تردد للحظة، لكنه عاد وقرر الاستمرار في تحديه.

ـ إذا أردت أن تدخل تلك الغرفة وحيداً، ما عليك إلا أن تقوم هذه الليلة، أنا عائد غداً مع إذن من المحكمة. وهذا يعني أني لن أعود بحاجة لموافقتك. بالطبع قد تفكر بنقل الجسد قبل عودتي، ولكن كن على ثقة، ليس بإمكانك أن تلعب معي لعبة القط والفأر، كما سبق وقلت لك، ثلاثون عاماً أمضيتها من عمري في هذا المجال، أرجو أن لا تصبح أحلامك كوابيس. هذه بطاقتي هنا، عليها أرقام هواتفي حتى الخلوي. فهمت ما أعني؟

ـ لن تحصل على إذن من المحكمة.

ـ أنت فعلت ما عليك وأنا سأفعل ما بوسعي. إلى اللقاء. قال هذا وانطلق بسيارته، فيما آرثر يلاحقه بنظراته التائهة ونبضات قلبه تتسارع. إنه فعلاً خائف.

15

ـ كان عليك قول الحقيقة وعقد إتفاق معه. قالت لورين.

ـ علينا الإسراع في إيجاد مكان جديد ننقل الجسد إليه.

ـ لا.. لا تفعل هذا، لأنه لا شك لن يغمض عينيه عنك. وإن فعلت، ستضبط بالجرم المشهود، لا تفعل ذلك آرثر، إنها حياتك أما سمعت ما قال: خمس سنوات في السجن.

لكن آرثر كان يرى أن لا دلائل لدى المفتش، وأنه يلجأ إلى اسلوب المراوغة، ولن يكون قادراً على الاستحصال على إذن بالملاحقة.

ـ ما يزال أمامك متسع من الوقت يا آرثر، كن صريحاً معه، قل الحقيقة فلربما يقدم بعض الإعفاءات.. إفعل هذا اليوم قبل غد. وقبل فوات الآوان.. أرجوك أن تهتم بنفسك.

ـ إنها حياتك لورين!!!

ـ كن منطقياً يا آرثر، إنك تحاول تأجيل ما لا بد من حدوثه، عليك تقبل هذا حبيبي ، هذا الصباح كنت تقول لا شيء يحدث دون سبب. لا خيار أمامك. ما عليك إلا قول الحقيقة.

خرج آرثر لركن السيارة في المرآب، ولما عاد جلسا متباعدين،

WWW.REWITY.COM

حتى بدون أن يكلم أحدهما الآخر، كان الجو مشحوناً بالتوتر النفسي.

إنما، في ساعة متأخرة من بعد الظهر، اعترضت لورين طريقه وأخذته بين ذراعيها.

ـ لست قادراًعلى جعلهم يبعدونك عني، لا شك إنك تتفهمينني أليس كذلك؟

ـ أتفهم هذا. قالت. «ولكن، وفي الوقت ذاته، لا أوافق أن تضع نفسك في موقف حرج، ولا أن تتعرض للخطر، نحن هنا معاً، أنا ما أزال معك إلى جانبك، دعنا لا نتكلم عن الغد، بل لنتمتع باللحظة التي نحن فيها. إنها لحظتنا».

ـ لكنني غير قادر على ذلك، يصعب عليّ عدم التفكير بما هو آتٍ غداً.

قررت لورين فعل أي شيء يجعل آرثر لا يفكر بالغد أو بالمفتش «تعال نلعب لعبة كبيرة، لعبة تلهيك عن التفكير بغيرها. تخيل يا آرثر، أن مصرفاً قدم لك عرضاً مغرياً، إنما ضمن شروط. تخيل أن المصرف قرر أن يفتح لك حساباً يومياً بقيمة ستة وثمانين ألفاً وأربعماية دولار، إنما عليك إنفاق هذا المبلغ خلال اليوم ذاته، وأن أي مبلغ يبقى في الحساب، لا يحول إلى رصيد حساب اليوم التالي، بل يعتبر وكأنه لم يكن، وليس بامكانك تحويل ما عجزت عن إنفاقه إلى حساب آخر. فقط يمكنك إنفاق الستة وثمانين ألفاً وأربعماية دولار، كيفما تشاء. وفي صباح اليوم التالي سيقيد المصرف لك حساباً جديداً بقيمة ستة وثمانين ألفاً وأربعماية دولار وبذات

الشرط الأول. أما الشرط الثاني فهو أنه يحق للمصرف أن يغلق الحساب ساعة يشاء ودون سابق إنذار، بمعنى أنه قد تستفيق غداً ولا تجد في رصيدك حتى بنساً واحداً. فماذا ستفعل؟».

لم يستوعب آرثر ما قالته لورين

ـ إنه أمر بسيط جداً.. حين تنهض من نومك كل صباح، يعطيك المصرف ستة وثمانين ألفاً وأربعماية دولار، إنما شرط أن تنفق هذا المبلغ بكامله قبل خلودك للنوم وأن أي مبلغ يبقى في الحساب، أي لم تتمكن من إنفاقه، لا يحول إلى الرصيد اليوم التالي، أي يعود للمصرف وتخسره أنت، و يحق للمصرف أن يتوقف عن مدك بالمال، ساعة يشاء ودون سابق إنذار. أفهمت؟ إنما سؤالي هو: ماذا كنت ستفعل لإنفاق المبلغ بكامله خلال يوم واحد؟

دون تردد أجاب «أبحث عن الفقراء والمعوزين أسدّ جوعهم، أروي عطشهم، أعطيهم ما يزرع الأمل في نفوسهم، أذهب إلى المستشفيات، أدفع فواتير علاج من هم عاجزون عن دفعها، أحقق حلم عاشقين غير قادرين على تحقيقه، أقدم الهدايا لأهلي وأحبائي وأصدقائي والذين أعرفهم أو حتى الذين لا أعرفهم، ومن ثم. أشتري ثياباً من أرقى المحلات وأفخمها، أقتني أجمل سيارة، أبحث عن أية وسيلة أنفق فيها ما يقدمه لي هذا «المصرف السحري». ولكن أين هو هذا المصرف؟».

انتبهت لورين إلى أن أول ما فكر هو مساعدة المعوزين والفقراء والمرضى ومن ثم فكر بأهله، وترك نفسه إلى الأخير. ابتسمت لورين وقالت «كل واحد منا، دونما استثناء، يتعامل مع هذا المصرف

WWW.REWITY.COM
RAYAHEEN
WWW.REWITY.COM

السحري، كل صباح يُفتح لنا حساب جديد غير قابل للتجيير أو التحويل إلى أي حساب آخر أو يمكننا إضافة رصيده إلى حساب اليوم التالي. عندما نستفيق كل صباح يكون أمامنا ستة وثمانون ألفاً وأربعماية ثانية وعندما نأوي إلى أسرتنا نكون قد خسرنا ما تبقى من هذه الثواني. وهكذا دواليك. إن كل ثانية لا نحياها هي ثانية ضائعة، هي لذة مهدورة».

- كل صباح يمنحنا هذا المصرف السحري رصيداً بقيمة ستة وثمانين ألفاً وأربعماية ثانية، وبذات شروط اللعبة، لا تجيير ولا تحويل، ويحق لهذا المصرف أن يغلق الحساب ساعة يشاء ودون سابق إنذار، في أية لحظة، ودونما سبب، أو بناء لسبب، قد تنتهي حياتنا، إذن، بعد أن تنتهي الحياة، ماذا بمقدورنا أن نفعل. تعال حبيبي إجلس جانبي ودعنا نستفيد من كل ثانية حتى لا تضيع هدراً.

منذ أن تعرضت للحادث، تأكدت أن كثيرين لا يقدّرون أهمية الوقت «إذا أردت أن تعرف ماذا يعني انتظار عام من العمر، إسأل الطالب الذي أنهى للتو امتحان نهاية السنة، وإذا أردت أن تعرف معنى الشهر، تكلم مع إمرأة ولدت طفلاً قبل أوانه وهي الآن تنتظر الساعة التي يمكنها ضمه إلى صدرها دون تعريضه للخطر، وإذا أردت معرفة أهمية الأسبوع، قابلْ عاملاً في مصنع أو منجم يكد ويتعب من أجل إطعام أطفاله وزوجته، وإذا أردت أن تعرف قيمة اليوم. إسأل عاشقين، مغرمين بجنون، كيف يترقبان موعد لقائهما في اليوم التالي، وإذا أردت معرفة قيمة الساعة، فكر بالمصابين بمرض الخوف من العتمة، إذا انقطع التيار الكهربائي ليلاً. وإذا أردت

WWW.REWITY.COM

معرفة قيمة الثانية، أنظر إلى التعابير التي ترتسم على وجه رجل خرج سالماً من حادث سير مروع، أما بالنسبة للجزء من الثانية فراقب أولئك الرياضيين الذين يتنافسون على نيل الميدالية الذهبية بالألعاب الأولمبية بفارق جزء من الثانية، فكر بهذا الرياضي الذي يمضي حياته يتدرب ويتمرن كي يفوز على خصمه بفارق جزء من الثانية. الحياة هي ذاك المصرف السحري يا آرثر. منذ تعرضي للحادث، صرت أقدر الحياة، أثمن قيمة كل لحظة، أرجوك حبيبي دعنا نعش كل ثانية .

ضمها آرثر إلى صدره وهمس في أذنها «كل ثانية بقربك هي أفضل من عام بدونك».

أمضيا فترة ما بعد الظهر متعانقين قرب المدفأة. وعند السادسة مساءً رن جرس الباب. فإذا بيلجر يعود ليقدم اعتذاره عما بدر منه. الأمر الذي حير آرثر، هل هو صادق فيما يدعي، أم أنه لجأ إلى أسلوب جديد في المراوغة، دعاه آرثر بإلحاح لتناول العشاء، لعله يثبت له أنه ما يزال قادراً على إبعاد الشبهات عنه. كانت لورين تراقب حركات بيلجر والحزن واضح على ملامح وجهها. لكن آرثر لم ينتبه إلى ابتسامتها الحزينة.

معاً، وجهاً لوجه جلسا لتناول طعام العشاء المؤلف من شرائح لحم الدجاج وبعض أنواع السلطات إضافة إلى شراب رائع المذاق.

- حسناً فعلت أيها الفتى. لم أكن أتوقع أن تكون هادىء الأعصاب هكذا؟

- ولماذا تتوتر أعصابي ؟ أبسبب افتراضياتك السخيفة؟

ـ إذا كانت سخيفة كما تعتقد. فلن أزعجك بعد اليوم. أنت مهندس أليس كذلك؟

ـ أنت تعلم ذلك.

ـ أي اختصاص في الهندسة؟

ـ اختصاص ترميم وتجديد الأبنية الأثرية والزخرفة الداخلية.

ـ وبما يُعنى هذا الإختصاص؟

«إعطاء حياة جديدة لمنزل قديم، إيجاد تناغم بين شخصية الزبون ونوع المفروشات وزخرفتها.. أحب إعادة بناء قديم إلى مجده السابق مع إضفاء طابع عصري عليه».

تبخرت الشكوك من رأس المفتش. إذ وجد نفسه مأسوراً بما يقوله هذا المهندس. وجده إنساناً عاطفياً محباً لعمله مثابراً عليه. صار المفتش في حيرة من أمره، فهو يشك في تصرفاته، لكنه الآن بات معجباً به.

قدم آرثر له نبذة عن تاريخ الهندسة المعمارية في سان فرنسيسكو التي تتسم بطابع الحداثة، رغم أنها قديمة العهد. كلام آرثر سلب لب المفتش العتيق، فراح يسأله السؤال بعد الآخر، وما من سؤال إلا ووجد له جواباً عنده، دام الحديث أكثر من ساعة، تعرف بيلجر خلالها كيف أعيد بناء مدينته بعد الحريق الكبير الذي ابتليت به منذ عقود، تعرف إلى تاريخ بنايات يراها كل يوم، وأصغى باهتمام إلى ما قاله آرثر عن أن أهم مواصفات البناء هي تلائمه مع العوامل المناخية والجغرافية.

بعد العشاء، جاء دور القهوة. صدمت لورين لهذه العلاقة

الحميمة التي صارت تربط بين الإثنين. بعدما أسهب آرثر في حديثه عن إعادة بناء جسر البوابة الذهبية الذي يربط طرفي الخليج، وضع بيلجر يده على كتف آرثر وقال «أريد التحدث معك من رجل لرجل. إنسَ أني مفتش في الشرطة الجنائية». قال هذا وسحب بطاقة الوظيفة ووضعها على حافة الطاولة. وأخذ نفساً عميقاً

«كما سبق وقلت لك، منذ زمن طويل وأنا أحب عملي كما أنت تحب عملك، وما أخطأ إحساسي ولو مرة واحدة. أنا مقتنع كل القناعة أن جسد لورين كلاين هو هنا، في الغرفة المغلقة النوافذ تحديداً. ولكن الذي يحيرني هو لماذا فعلت هذا؟ لماذا اختطفت جسد مريض مصاب بالغيبوبة التامة من المستشفى؟».

نظر بيلجر إلى آرثر وتابع يقول «إنك فتى رائع، بهي الطلعة، مثقف، طموح، محب لعملك، بإمكانك تحقيق كل ما تريد، تمتلك الإرادة وتتقن التخطيط والتصميم. إذن لماذا؟ لماذا أقدمت على ارتكاب هذا الجنون، لماذا سرقت جسد تلك المرأة؟ هذا هو السؤال الذي، لم أجد له جواباً».

إنتفض آرثر «ما هذا؟ اعتقدتُ أننا أصبحنا أصدقاء؟».

ـ ومن قال غير ذلك؟ وهنا بيت القصيد، أنا أعتبرك صديقاً وأنت لا. أنا مقتنع أن لديك أسباباً مقنعة لأسئلتي ولكنك ترفض التعاون معي، ولأنك صديقي أنا أقدم لك يد العون والمساعدة».

ـ أنا منذ البداية، كنت صادقاً معك، أعرف ليس بمقدوري الاستحصال على الإذن من المحكمة خلال يوم ويومين، إذ عليّ مقابلة القاضي في سان فرنسيسكو ومناقشة الأمر، محاولاً إقناعه

WWW.REWITY.COM

بشكوكي وظنوني وقد يستغرق هذا ثلاثة أو أربعة أيام، تكون أنت خلالها نقلت الجسد إلى مكان آخر، أقول مع أنك لو أقدمت على هذا العمل، تكون كمن يحفر قبره بيده...

حتى الآن، ما يزال أمامي متسع من الوقت لمساعدتك. ثق، إني راغب بذلك، وبكل نية صافية، كل ما هو مطلوب منك أن تعلل فعلتك أن تشرح لماذا أقدمت على مثل الجرم؟

وجاء رد آرثر واضحاً وجلياً «أقدر لك صداقتك وشهامتك، وفعلاً فوجئت بأنك تعرفني جيداً، مع أنه لم يمضِ وقت على تعارفنا، أنا فعلاً غير قادر على فهمك. أنت الآن هنا، في منزلي، تناولنا الطعام معاً، وتجاذبنا أطراف الحديث كصديقين، وما تزال تصر على إتهامي بدون أي إثبات بجريمة هي فعلاً جريمة نكراء. يبدو أنك عنيد».

- من العنيد؟ أنا أم أنت؟

- ولماذا ترغب بمساعدتي طالما أنت مقتنع بعدم براءتي؟ أمن أجل التفرغ لقضية أخرى؟

وجاء جواب المفتش فيه كثير من الإقناع والصدق، ففي حياته المهنية، حقق بالكثير من القضايا ومن كل أنواع الجرائم التي ما من واحدة منها إلا وكانت بناء لدافع معين، منها ما هو سخيف وتافه ومنها ما هو وسخ وقذر، ولكن يبقى هناك شيء وراء ارتكاب الجريمة، تعرّف إلى قتلة محترفين، إلى مجرمين، إلى لصوص، إلى مفتعلي شغب. ولكن حالة آرثر مختلفة كلياً. وإذا كان بيلجر وضع مئات الفتيان وراء السجن، فإنه اليوم يرغب بصدق أن يساعد آرثر، إنه

يرغب أن يقوم بهذه العمل الإنساني ولو لمرة واحدة في حياته.

«حسناً صديقي، وأعني ما أقول». قال بيلجر «وضعك دقيق وأنت لا تتعاون معي، ثق أني لن أخدعك، ولكن عليّ القيام بما هو مطلوب مني، فلربما نلتقي ثانية ونتحدث أكثر».

وقف بيلجر والحزن بادٍ على محياه، ارتدى معطفه الواقي من المطر وبرفقة آرثر هبط الدرج من الطابق العلوي إلى الطابق الأرضي وتبعتهما لورين. وقف أمام غرفة ليلي وعيناه على مسكة الباب.

- كثيراً ما يكون صعباً علينا العودة إلى الماضي، هذا يتطلب قدراً من القوة والشجاعة. قال بيلجر.

«فعلاً إنه لكذلك، وسأسعى لامتلك القوة والشجاعة». قال آرثر.

- إني لعلى يقين أنك هو من أبحث عنه، حدسي لا يخطىء.

كان آرثر على وشك أن يطلب منه الخروج من المنزل، حيث أخذت مسكة الباب تتحرك وكأن أحداً يحركها من الداخل ومن ثم فتح الباب، أصيب آرثر بالذهول لرؤية لورين تقف وسط الغرفة وعلى شفتيها ابتسامة حزينة.

- لماذا فعلتِ هذا؟

- لأني أحبك.

نظر بيلجر إلى داخل الغرفة فوجد الجسد على السرير، وأنابيب المصل والأدوية موصولة إليه، وكذلك آلة تخطيط القلب وقياس النبض

WWW.REWITY.COM
RAYAHEEN
WWW.REWITY.COM

ـ شكراً لك ربي إنها ما تزال حية. دخل بيلجر الغرفة وتقدم من الجسد وتفحصه بإمعان.

لورين وضعت يدها على كتفي آرثر وقبلته بحنان.

ـ ليس بمقدوري السماح لك بتدمير بقية حياتك من أجلي. أريدك أن تحيا بأمان وسعادة.

ـ لكنكِ أنت سعادتي.

وضعت لورين إصبعها على شفتيه «ولكن ليس بهذه الطريقة ولا في مثل هذه الظروف».

ـ مع من تتكلم؟

ـ معها...!!.

ـ إذن ما عليك الآن إلا قول الحقيقة، هذا إذا أردت مساعدتي.

تطلع آرثر إلى لورين بعينين حائرتين

ـ أخبره الحقيقة كاملة. قالت لورين «قد يقتنع بما ستقول وقد لا يقتنع.. إنما عليك قول الحقيقة».

التفت آرثر إلى بيلجر «تفضل لنجلس معاً في غرفة الجلوس، تأكد سأخبرك الحقيقة كاملة».

في غرفة الجلوس جلسا جنباً إلى جنب وبدأ آرثر يروي لبيلجر القصة منذ ذلك المساء الذي عاد فيه إلى شقته ليجد إمرأة غريبة تختبيء في غرفة الحمام وتقول له «إن ما سأخبرك به، ليس من السهل فهمه ويستحيل تصديقه، ولكن، إن أصغيت لي، إن أصغيت

بقناعة، يعني أنك ستصدقني. والأهم، أنك أنت، ـ أنت على الأخص ـ عليك أن تثق بي، لأنك الإنسان الوحيد في هذا العالم الذي بمقدوري إطلاعه على سري».

كان بيلجر يصغي إلى آرثر وهو بين الشك واليقين. وما إن انتهى آرثر من القصة حتى نظر إليه نظرة تحدٍ.

ـ أترى أيها المفتش، قصة كهذه جعلتك تتعرف إلى إنسان أحمق جديد؟.

ـ وهل هي هنا؟

ـ نعم إنها تجلس على الكرسي المواجه وتنظر إليك، أتعرف أمراً مهماً؟ هي من فتح باب الغرفة.

ـ يا إلهي. صاح بيلجر، فعلاً فتح الباب من تلقاء نفسه.

ـ والآن... ماذا ستفعل؟ قال آرثر.

ـ سأثق بك، أتعرف لماذا؟ الجواب بسيط جداً، لأنه حتى ولو كنت تتوهم أن هذا جرى معك، وسرقت الجسد بناء لهذا الوهم. فهذا يعني أنك فاقد للعقل ولكنك أنت أطلعتني على تاريخ العمران للمدينة التي خدمتها ثلاثين سنة، وهذا يعني أنك إنسان واعٍ ومدرك وما تزال بكامل قواك العقلية، أنا لست متديناً، ولكني أؤمن بالروح البشرية. بالروح التي فتحت الباب. وفي مطلق الأحوال، ما هي إلا شهور قليلة وأحال على التقاعد، وهذا ما يجعلني أثق بك حتى ولو كنت مجنونا.

ـ وماذا ستفعل؟

WWW.REWITY.COM

- أيمكنني إعادة الجسد إلى المستشفى بسيارتي دون أن أسبب له الأذية؟

- نعم إنما عليك الإهتمام به. قال آرثر بصوت حزين.

- في هذه أعدك أن أسعى لإخراجك من القضية.

- ولكن يصعب عليّ جداً فراقها، ولا أريدها أن تموت، أتعدني؟

- هذه قضية أخرى لا حول لي فيها ولا قوة. قال بيلجر، وأضاف «يكفيني أن أخاطر بإعادة الجسد إلى المستشفى.. سأذهب الآن للنوم، أمامي مشوار طويل،وعليّ التفكير جيداً، بإيجاد مبرر للعثور على المخطوفة دون معرفة الخاطف. الأهم أنها ما تزال حية، مما يبعد النية الجرمية، سأتركما الآن معاً، وغداً عند الثامنة صباحاً سأكون هنا».

ـ ولماذا تفعل هذا؟ تساءل آرثر.

- سبق وأخبرتك أني أحببتك واحترمتك، بغض النظر عن مدى واقعية القصة التي أخبرتني إياها أو عدمها. منظرك يدل على اهتمامك بحمايتها من الموت، وهذا يعني أنك فعلت ما فعلت لا لغاية شخصية، إنما لأسباب إنسانية، والبشر الأقويا، الأصحاء التفكير، لا يقعون في الخطأ عن قصد، إنهم يخاطرون بأنفسهم من أجل الآخرين.. كفى، تحدثنا كثيراً اليوم إلى اللقاء غداً.

- إلى اللقاء غداً. قال آرثر وهو يشد يد بيلجر مودعاً.

لم ينم آرثر تلك الليلة. عند الفجر قصد غرفة والدته، جهز جسد لورين لنقله مجدداً إلى المستشفى، أغلق النوافذ والأبواب، وجهز الفورد للعودة بها إلى سان فرنسيكو. «سنلحق نحن به». قال آرثر للورين.

- سنعود إلى شقتنا، أنا أعرف أنه لا يمكنك الإبتعاد عن جسدك، سنعود إلى حيث كنا، وسيعود الجسد إلى الغرفة 505 وأتمنى أن تكون أمك قد تعلمت درساً، وترفض فكرة الموت الرحيم.

عند الثامنة تماماً، كان المفتش أمام المنزل. وكان كل شيء جاهزاً. نقل الجسد إلى سيارته وأعيد وصل أنانبيت المصل وغطي بالشراشف. وانطلق المفتش عائداً إلى سان فرنسيسكو فرحاً لما توصل إليه وخلفه سار آرثر بسيارة الفورد ولورين إلى جانبه.

WWW.REWITY.COM

16

عند الساعة الحادية عشر والنصف، كان جسد لورين كلاين ممدداً في قسم الطوارئ بمستشفى سان فرنسيسكو التذكاري. وبعد ساعة أعيد إلى الغرفة 505 في الطابق الخامس.

تأكد بيلجر من ذلك، وعاد إلى دائرة الشرطة مباشرة دخل إلى مكتب رئيس قسم الشرطة الجنائية ليمضي ما يقارب الساعتين. خرج بعدها واتجه نحو مكتب ناتالي، رمى ملف القضية على الطاولة وقال «أوسميه بخاتم انتهى التحقيق». نظرت ناتالي مندهشة «ماذا تقول يا جورج؟».

ـ أقول انتهى التحقيق ليس أكثر ولن أخبرك المزيد إلا قبل إحالتي على التقاعد بأسبوع واحد ليس أكثر.

قال هذا وخرج مسرعاً، حتى دون كلمة غزل واحدة لناتالي، التي رافقت خروجه بنظراتها وعلى شفتيها ألف سؤال وسؤال، مستغربة تصرفاته.

عاد بيلجر إلى المستشفى لسببين: الأول ليتأكد من أن جسد لورين يلقى العناية الطبية اللازمة، والثاني هو مقابلة والدتها ومناقشة أمر القرار الذي سبق واتخذته حول إنهاء حياة ابنتها وإقناعها بالعدول عنه، في محاولة للوفاء بوعده لآرثر الذي ترك أثراً طيباً عنده. أعجب بثقافته

WWW.REWITY.COM

وبسعة إطلاعه على تاريخ سان فرنسيسكو، أعجب بشجاعته وقدرته على اتخاذ القرار دون التفات للمصاعب والمتاعب.

آرثر ولورين، أمضيا بعد الظهر على شاطىء المارينا، يتنزهان، وكل واحد يحاول إخفاء مخاوفه عن الآخر، آرثر، كما لورين، كان يعول كثيراً على قدرة المفتش بإقناع السيدة كلاين بتغيير موقفها السابق.

بدورها لورين كانت خائفة، ولكن كانت تأمل، أن يستمر الحاضر كما هو، فالغد مجهول غامض، فلماذا نشغل بالنا بما لا قدرة لنا على سبر أغواره أو معرفة ما يخبيء لنا. كانت سعيدة، لأن المفتش لم يلقِ القبض على آرثر. وإلا لكان عليها العودة إلى حياة ما قبل ذاك المساء حين التقته في الشقة بعد عودته من عمله.

بدا واضحاً، أن آرثر ولورين، قررا عيش حياة طبيعية دون تفكير بما يعكر صفو سعادتهما.

آرثر ينهض كل صباح ويذهب إلى مكتبة كالمعتاد، أما بعد الظهر فهذا وقت مخصص لإسعاد لورين، معاً يقصدان دور السينما، يشاهدان العروض المسرحية، يتنزهان عند الشاطىء، يراقبان غروب الشمس وشروقها.

لم يتركا في سان فرنسيسكو مكاناً إلا وقصداه، إنهما يعيشان كل يوم بيومه، لا بل كل ساعة بساعتها، رافضين التفكير بما سيأتي، فقط يفكران باللحظة الآتية، وفقاً لنظرية البنك السحري الذي يقيد لنا كل صباح حساباً بقيمة ستة وثمانين ألفاً وأربعماية ثانية، أو ما سمياه فيما بعد نظرين لورين كلاين في فلسفة الثواني.

كان الناس الذين يراقبون حركات آرثر، يعتبرونه مجنوناً يكلم

نفسه، يمشي وحيداً ويبدو وكأنه يتأبط ذراع أحد. حتى خدم المطاعم اعتبروه مجنوناً «ماذا يفعل هذا المجنون، يد من يمسك ويد من يقبل؟ لا أحد يشاركه الطاولة، إذن مع من يتكلم؟... أيتكلم مع إنسان غير مرئي؟ ولكن هل هناك إنسان غير مرئي إلا في أفلام السينما؟». هذه بعض من الأسئلة التي كانت تراود خدم المطاعم والمقاهي والأغرب أنه كان يفسح المجال لدخول شخص آخر معه إلى المطعم أو ما شابه. وكثيراً ما كان يقدم الكرسي لها لتجلس. فيتساءل الناس «ماذا يفعل هذا؟ لمن يقدم الكرسي ومن يجلس عليها. لماذا هذه الإبتسامات على شفتيه؟».

اعتقد البعض أنه مجنون والبعض الأخر رأى فيه أرمل ما يزال يعيش على ذكرياته مع زوجته الراحلة، «كم كان يحبها؟ كانا سعيدين؟». تساءلت سيدة في أحد المطاعم.

لم يكترث بول للأمر، ولكن شيئاً كان يؤرقه ويحيره. منذ زمن بعيد وهو صديق لآرثر، ولم يره يوماً بهذه السعادة، عهده نشيطاً محباً للعمل معطاءً ولكن ليس بالقدر الذي هو عليه اليوم. حتى أنه بات يتساءل «أكل هذا بسبب لورين الشبح؟».

ومرت الأيام والأسابيع القليلة حتى. ذات ليلة خميس عادا باكراً إلى الشقة، شاهدا التلفاز وهما متعانقان، مارسا الحب، كما كل ليلة بجنون لا يوصف وبحب لم تعرفه البشرية إلا بالقصص والروايات، وبعدها أنهيا قراءة رواية وغرقا في النوم متعانقين.

عند السادسة من صباح اليوم التالي، نهضت لورين معتكرة المزاج، وجلست متشابكة الأرجل على السرير «آرثر.. آرثر أحبك

WWW.REWITY.COM
RAYAHEEN
WWW.REWITY.COM

يا آرثر». نهض آرثر، نظر إليها فوجدها شاحبة اللون، وجسدها يبدو شفافاً

- ما الخطب حبيبتي؟

- خذني بين ذراعيك آرثر، لا تدع أحداً يبعدني عنك.

ضمها آرثر إلى صدره بكل ما أوتي من قوة وبحنان، لكنه أحس أن جسدها، لم يعد صلباً كما كان، إنه يتبخر شيئاً فشيئاً.

- لورين.. لورين.. ما بك يا حبيبتي؟

«أبقني بين ذراعيك آرثر». شدها إليه أكثر، والدموع تبلل خديه، نظر إليها فرأى وجهاً مضطرباً وعينين متسعتين خوفاً «لقد جاءت الساعة يا حبيبي، إني أختفي، إني أبتعد عنك».

- لا.. لا تفعلي ذلك لورين.

- ومن قال إني أفعل... أنا لا أرغب أن أتركك. أحب أن أستمر معك، لقد جعلتني أعشق العيش.

- لا يمكنك الذهاب.. عليك ألا تفعلي ذلك. قاومي.. قاومي تمسكي بإرادة البقاء جانبي يا لورين.

- لا تقل شيئاً. فقط إصغ إليّ آرثر.. أمامي وقت قصير. أعطيتني ما لا يعطى، ما تخيلت يوماً أن الحب قادر على جعل الأمور الصغيرة التافهة السخيفة، أموراً كبيرة، رائعة. تذكر آرثر أني أحببتك بكل جوارحي.. أنا الآن ذاهبة ولا أدري إلى أي شاطىء أنا ذاهبة، ولكن سأبقى أحبك حتى بعد رحيلي عن هذا الوجود، سأبقى أحبك أكثر كما أحبك الآن وسأتذكر كل ثانية أمضيتها معك.

كانت تتكلم وجسدها يزداد شفافية، حتى بدا وكأنه ماء صاف لا لون له، وصار آرثر يحس وكأنه لا يغمر شيئاً.. إنها تزول.

- آرثر.. أسألك أن تعيش حياتك بعد رحيلي. أسألك أن تعيش كل ثانية.

- لا ترحلي، أرجوك لورين، حاولي العودة.

- لست قادرة. إن هناك شيئاً أقوى مني. أنا لا أتألم جسدياً ولكن الذي يؤلمني هو ابتعادي عنك، كلماتك لم تعد واضحة، ولا أراك بوضوح.. أنا خائفة، ليس بمقدوري أن أكون إلا إلى جانبك، ضمني إليك.

- إني أضمك يا لورين أنت بين ذراعي يا ملاكي.

معاً كان يبكيان وينتحبان، معاً أدركا معنى ثانية واحدة من العمر، أدركا قيمة لحظة عابرة، أهمية قول ولو كلمة واحدة. كانا يتبادلان القبل ولكن من يقبل آرثر، اختفت لورين، يدا آرثر تشدان على صدره ولا تضمان أحداً.

راح آرثر يبكي.. يبكي، نزل عن السرير اتجه نحو النافذة حيث كانت لورين تحب أن تقف، حيث كان يحلو لها البقاء لساعات وساعات تنظر إلى مياه المحيط إلى مراكب الصيادين إلى تلك الأفاعي اللماعة التي تتسلق هضاب تلال سان فرنسيسكو. «لم يعد هناك شيء مهم». تمتم آرثر.

أحس آرثر أنه فقد جزءاً من نفسه، جزءاً عزيزاً عليه، نبضات قلبه تتسارع، الأفكار في رأسه تتزاحم. والذكريات تتراكم. لم يعد للأمسيات معنى وقيمة، وكذلك للفجر وللصباح. فلماذا تشرق

WWW.REWITY.COM

الشمس بعد اليوم ولماذا تغرب؟ لماذا عطلة نهاية الأسبوع؟ لماذا العمل؟ حول الحزن حياته يأساً وقنوطاً، شكوكاً وظنوناً. غيرةً ليس من الآخرين، بل من الجسد الممدد على السرير في الغرفة 505.

أُخذتْ لورين منه، فعرف معنى الشوق والاشتياق، عرف معنى الإفتراق. إنه يحن لملامسة يدها. لقبلاتها، ليديها تلامسان وجهه، لأناملها على شفتيه، لابتساماتها، لتفاؤلها. الدموع تحجب الرؤيا عن عينيه، فلا يرى إلا الذكريات. ذكريات أيام مضت، إنه يتذكر كل لحظة، كل ثانية، كل جزء من مليون من الثانية، كلما نظر إلى النافذة يراها واقفة هناك، وكلما نظر إلى الباب رأها تتكيء إلى عارضته، رجل على العتبة والأخرى مثنية إلى الوراء بشكل مستقيم وكأنها تحاول دعم العارضة.

أيام وليالي مرت، وهو على هذه الحال، لم يعد يداوم في مكتبه بل راح يمضي الوقت في شقته يكتب رسائل الحب، يبعثرها هنا وهناك وهنالك. في غرفة الجلوس، في غرفة النوم، في المطبخ، وصار يكثر التردد إلى الغرفة الملحقة بالحمام لعلها تكون هناك، لعله يجدها مختبئة هناك كما التقاها لأول مرة.

امتنع عن الخروج وعن تلقي المخابرات الهاتفية، حتى أنه أقفل الهاتف فلم يعد يرن، وذات مرة، بعد ظهر يوم أحس أنه لم يعد قادراً على التنفس، خرج إلى الشارع وهو يرتدي المعطف الواقي من المطر، كانت السماء تمطر، والشمس تحجبها الغيوم، عند الجهة الثانية المقابلة من الشارع وقف يتأمل الضوء المنبعث من غرفة الجلوس في شقته. أخذ يحدق بالنافذة لعله يرى لورين

هناك. لعله يرى يدها تلوح له كما كانت تفعل كل يوم حين يعود من عمله.

أخذ ينظر إلى نهاية الشارع الضيق. لعله يرى لورين عائدة إليه. دس يديه في جيبي معطفه، هز منكبيه، وراح يسير، عبر ذاك الطريق وكأنه يتبع خطواتها. كان يمشي الهوينا، حتى لا يزعج صمتها وسكينتها، كلما مر أحد، وكلما لاح خيال بشري، كان يركض إليه، «ها هي آتية.. ها هي عائدة» لكنه تأكد أخيراً أن هذه مجرد أوهام. غير آبه ببرودة الطقس جلس على حافة الرصيف. وأخذ يستعيد ذكريات كل لحظة عاشها مع لورين، هذه الحياة التي لم تدم طويلاً، هذه الحياة التي انتهت فجأة.. تذكر فلسفة لورين للثواني.

قبيل الفجر، عاد آرثر إلى شقته، «من يدري قد تكون لورين عادت من حالتها الإختفائية...».

يوم الإثنين الذي تلى رحيل لورين، كان آرثر يجلس وسط غرفة الجلوس، في ذات المكان الذي كان يحلو للورين أن تجلس فيه وهي تتكلم، فإذ بطرق شديد على الباب، طرق عنيف ومتواصل، إلا أن آرثر بقي مكانه ولم يتحرك.

- آرثر.. آرثر هل أنت هنا؟ أعرف أنك هنا، إفتح الباب بحق الله افتح الباب. صاح بول «إفتح الباب وإلا حطمته». بالفعل أخذ بول يحاول تحطيم الباب من خلال الشد عليه بكتفيه.

- إفتح آرثر، وإلا حطمت الباب حتى ولو تحطم عمودي الفقري، افتح هذا الباب.

قام آرثر، فتح الباب وعاد ليتقوقع مكانه، دخل بول، ذهل لما

WWW.REWITY.COM

يرى: أوراق مبعثرة هنا وهناك. أوعية طعام نصف فارغة، أطباق على المجلى، فوضى عارمة لا نظافة لا ترتيب ولا من يحزنون.

ـ أهذه شقة، أم ساحة حرب؟ قال بول «ما هذا الذي أراه يا صديقي؟».

بقي آرثر صامتاً.

ـ لماذا لم تأتِ اليوم إلى العمل؟ يبدو أنك نسيت رفيق العمر.. أنا بول أنسيتني يا آرثر؟

أيضاً بقي آرثر صامتاً.

ـ حسناً أيها الجلمود، أأنت مخمور؟ أنا شريكك بول.

جلس بول إلى جانب آرثر ووضع يده على كتفيه «ما الذي يجري يا صديقي؟».

ـ لقد ماتت.. إنها تموت يا بول.. هكذا.. إنهم يقتلونها. لم أتمكن من الحؤول دون ذلك، أنا عاجز عن فعل شيء يمنع قتلها.

ـ أقدر موقفك.. إبكِ.. إبكِ يا صاحبي. أما تدري أن البكاء يخفف الألم؟

لاحظ بول أن الهاتف مرمي على الأرض، وغير موصول بالشبكة، فنهض من مكانه وأعاد وصله.

اتصلت مئات المرات لكن هذا اللعين لم يجب؟ لم أكن أدري أنك قطعت الاتصالات، ولماذا؟

ـ أعد قطع الهاتف يا بول.

ـ ما هذا الهراء الذي تتفوه به؟.. اسمعني جيداً. الشبح ذهب ولن يعود، عليك الآن أن تعود إلى واقعيتك، عد إلى حياتك الطبيعية. أيعقل هذا؟ وقعت في حب إمرأة مصابة بالغيبوبة، ومن ثم اخترعت حكاية هي أشبه بالهلوسة، والآن تتعذب. ومن أجل ماذا؟ من أجل شبح..؟ أنت بحاجة للمساعدة يا صديقي. لا خيار آخر أمامك. إنما المساعدة الأهم هي تلك التي تقدمها أنت لنفسك. أما أنا لن أدعك وحيداً بعد الآن، كنت تعيش حلماً اعتقدته جميلاً لكنه تحول كابوسا.

كان بول يرغب بالإستمرار في حديثه، لكن رنين جرس الهاتف منعه من ذلك. أمسك السماعة وناولها لآرثر.

ـ قسم الشرطة، لأمر عاجل جدا.

ـ لا شيء عندي أقوله بعد. وحاول آرثر إعادة السماعة إلى موضعها، لكن بول منعه وقال «تكلم.. تكلم وإلا جعلتك تبلع السماعة».

استجاب آرثر لإلحاح صديقه وأصغى لما يقوله المتكلم، ووقف فجأة يبحث عن مفاتيح السيارة.

ـ ما الذي يجري أيها المجنون أخبرني ؟

ـ ليس هذا الوقت، وقت كلام.. أين المفاتيح؟

ـ ولماذا؟ هل سيقبض عليك؟

ـ لا.. أين المفاتيح؟

WWW.REWITY.COM
RAYAHEEN
WWW.REWITY.COM

- لا بد أن شيئاً حصل. أفهمني.

وأخيراً وجد آرثر مفاتيحه، اعتذر من بول، واعداً أن يتكلم إليه لاحقاً.

- والله لست أدري إلى أين أنت ذاهب بهذا المنظر، اقترح عليك يحلق ذقنك وتصفيف شعرك وغسل وجهك وإلا سيقبض عليك بتهمة تشويه سمعة السياحة في هذه المدينة.

نظر آرثر إلى المرآة في غرفة الجلوس، واستدار فجأة وقصد الحمام، وبأسرع من البرق، حلق ذقنه، غسل وجهه، رتب هندامه وهبط الأدراج قفزاً.

كان يقود سيارته وسط شوارع المدينة بسرعة جنونية غير آبه بمخالفة قانون السير، وما إن أوقف سيارته أمام مستشفى سان فرنسيسكو التذكاري حتى قفز منها وراح يعدو، دون إقفال الأبواب.

في الطابق الخامس، كانت السيدة كلاين تنتظره خارج غرفة لورين، وما إن وصل آرثر حتى غمرته وقبلته على خديه.

- أنا لا أعرفك، ولكن سبق والتقينا على شاطىء المارينا، يومها أدهشني أمر غريب هو أن كلب لورين ألف إليك. يومها لم أدرك السبب، أما اليوم فصرت أعرف كل شيء. أعرف أنك سرقت جسدها لتمنعني من السماح للأطباء بنزع الآلات عن جسدها وتركها تموت. الآن أنا مدينة لك بالشكر طيلة حياتي.

جلسا جنباً إلى جنب في الممر «إسمع آرثر، حتى يوم الجمعة كنت حائرة إن كان عليّ أشكرك أم ألعنك؟ إنما يوم الجمعة الفائت فجأة حركت لورين أصابعها ويديها».

نظر آرثر إليها باندهاش كلي «وماذا أيضاً؟».

«خرجت من غيبوبتها يا آرثر..وليل أمس فتحت عينها لأربع ساعات، أجالت النظر في الغرفة وكأنها تستوضح معالمها، لكنها حتى الآن ما تزال غير قادرة على الكلام. قال الأطباء إن هذا يعود إلى أنابيب التغذية التي قد تكون أثرت مؤقتاً على أوتارها الصوتية وإن العلاج الفيزيائي سيعيد الحركة إلى أطرافها، وتعود طبيعية.

خاصة وأن اختبار التصوير الرنيمي دل على صحة الدماغ.

تنهدت السيدة كلاين وعادت وضمته إلى صدرها وأخذت تقبل وجنتيه.

قفز آرثر من مكانه واتجه نحو غرفة لورين، دون السماح للسيدة كلاين من متابعة كلامها، نظر إلى آلة تخطيط القلب فرأى أن القلب يعمل بانتظام. لورين نائمة طبيعياً، شاحبة الوجه، إنما جمالها ما يزال هو هو، أخذ يحدق بها ودقات قلبه تتسارع وشريط الذكريات يتراءى أمام عينيه. جلس على الكرسي جانب السرير، مد يده وشد على يديها، انحنى وقبلها واستمر هكذا ساعات، لا بل طيلة الليل.

صباح اليوم التالي، فتحت لورين عينيها، نظرت إليه فابتسمت .

«كل شيء على ما يرام، هذا أنا هنا يا حبيبتي». قال أرثر بصوت متهدج والدموع تبلل خديه « لا تتعبي نفسك فقريباً ستتمكنين من الكلام.

قبضت حاجبيها، لكنها ابتسمت له ثانية وعادت لتغط في النوم.

WWW.REWITY.COM

خاتمة

يومياً، كان آرثر يعود لورين في المستشفى، يتحدث إليها بانتظام. يخبرها عما يجري، يروي لها قصص حب، يعبر عن مشاعره. كانت تسمعه دون أن تكون قادرة على قول حتى ولو كلمة واحدة. لكن عينيها كانتا تتكلمان. كان هو يتكلم وهي تحدق به. عيناها لم تعد كما كانت منذ شهرين، لونها صار أكثر وضوحاً إنها تشبه عيون طفل حديث الولادة.

ما من يوم مر على لورين وحيدة في سريرها. آرثر والسيدة كلاين يتقاسمان الوقت، يتناوبان على مسامرتها ليلاً نهاراً.

ذات يوم، ما إن وطأت قدما آرثر الممر المؤدي إلى الغرفة 505، حتى استقبلته السيدة كلاين بعينين تشعان نوراً أخذته بين ذراعيها، شدته إليها، أشبعته بقبلاتها والدموع تبلل خديها. آرثر لم يعد قادراً على أن يخطو ولو خطوة واحدة، تناوبته الخواطر «أدموع فرح هذه على خديها أم دموع حزن؟» تراجعت السيدة كلاين قليلاً إلى الوراء وصاحت «آرثر... آرثر لقد تكلمت لورين، لقد استعادت قدرتها على النطق يا آرثر، حدثتني اليوم بصوت متهدج».

راح آرثر يقفز مكانه. حائراً ماذا يفعل، ماذا يقول؟ غمر السيدة كلاين «منذ نيف وعشرين سنة فقدت أمي، أتقبلين أن تكوني لي أماً كما أنتِ أماً لها؟». لم تتردد السيدة كلاين «أنت فعلاً إبني يا آرثر،

WWW.REWITY.COM
RAYAHEEN

WWW.REWITY.COM

لولاك، لكانت هذه الدموع دموع حزن، لكنك حولتها دموع فرح.. إذهب إليها».

قبل آرثر يد السيدة كلاين وأسرع إلى غرفة لورين التي كانت تغط في نوم عميق. جلس إلى جانبها، داعب شعرها بيده وكذلك وجنتيها، انحنى وهمس في أذنها «كم اشتقت لنبرة صوتك؟».

فتحت لورين عينيها ومدت يدها لتمسك يده وتشد عليها، فيما عيناها تحدقان به «من أنت؟ ولماذا تزورني كل يوم، لماذا أنت هنا كل يوم؟».

قفز قلب آرثر من مكانه وانهمرت دموعه، أمسك يديها وراح يلثم الواحدة بعد الأخرى وبصوت العاشق الولهان أجاب

ـ من أنا؟ ولما أنا هنا كل يوم؟

ـ إن ما سأخبرك عنه، ليس من السهل فهمه ويستحيل تصديقه. ولكن إن أصغيت إليّ، إن أصغيت بقناعة، يعني أنك ستصدقني. والأهم، أنك أنت ـ أنت على الأخص ـ من عليها أن تثق بي، لأنك الإنسان الوحيد في هذا العالم الذي بمقدوري إطلاعه على سري.

ولا بد من الشكر

ناتالي أندريه ـ بول بو جيناه ـ كامل بركاني ـ برنارد فيكسو ـ فيليب غيز ـ ربيكا حياه ـ ريمون ودانيال ليفي ـ لورين ليفي ـ ريمي مانغان ـ كوكر ميللر ـ مانون سبياز ـ آلين سولتيير وبرنارد باررول ـ غرير كيلس هندريك وأخيراً سوزاتالي.

WWW.REWITY.COM
RAYAHEEN
WWW.REWITY.COM